

كِتَاب

الَاخْبَار الطَّوَال

فيه ذكر ملوك الأرض من لدن آدم عليه السلام الى انصاء ملك
يرد حرد بن شهريار بن كسرى ابروير * ود كر من ملك من ملوك قحطان
وملوك الروم وملوك الترك في كل عصر وأوان - ود كر الأئمة والخلفاء والحروب
التي كانت مثل يوم القادسية وفتوح العراق وانصرام دولة العجم وحرب
الحمل وصقين ويرم الهروان ومقتل الحسين بن علي عليهما السلام وقته
بن الربير وحروح الأزارقة وحروهم وأيامهم وحبر المختار بن أبي عبيد
وقصة * وسب حروحة * وحروح عبد الرحمن بن الأنتعت على الحجاج وما
كان يمسها * ود كر خلافة عبد الملك والوليد بن عبد مالك وعمر بن عبد العزيز
الى انصاء ملك بني ميه * وحبر لدولة العباسية وقصة ابي مسلم الى خلافة
لمعمر بن مائة مائة مدنة بغداد وأيام الخلفاء بن بعده في انصاء عمر محمد بن
* وحبر الامور الى آخر آدم المعتصم * وحبر مالك وحروته رأيتمه مختصراً
ر اسير مقتصر على الاقتصاد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(فرقة أولاد آدم)

قال أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري رحمه الله وجدت فيما كتب أهل العلم بالأخبار الأولى أن آدم عليه السلام كان مسكنه الحرم وإن ولده كثروا في زمان مهليل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم وكان سيّد ولد آدم في دهره والقائم بأمرهم وكذلك كان آباؤه إلى آدم عليه السلام ووقع بينهم التنازع في الأوطان ففرّقهم مهليل في مهبّ الرياح الأربع وخص ولد شيث بأفضل الأرض فأسكنهم العراق

(ادريس ونوح)

وكان أول نبي بعد شيث ادريس واسمه أخنوخ بن يرد بن مهليل وسمى ادريس لكثرة دراسته . ثم بعث الله نوحا عليه السلام إلى أهل عصره وكان مسكنه بأرض العراق وهو نوح بن لمك بن متوشلخ «فكذبوه» فأغرقهم الله ونجّى نوحا ومن كان معه في السفينة وكان جنوح السفينة واستقرارها على رأس الجوديّ جبل بقرديّ وبازبديّ من أرض الجزيرة . فلما مات نوح استخلف ابنه ساماً فكان أول من وطّد السلطان وأقام منار الملك بعد

ثم ان الضحاك البيوراسف طلبه ليقتنه عن دينه فهرب منه بأهله وولده من مدينة بابل حتى حلّ بمفازة من أرض الروم فقبره بها ويقال ان مكان قبره معروف حتى الآن

(نمرود بن كنعان)

قالوا ولما أهلك الله عادا مع شداد ضعف ركن الضحاك وهي أمره واجترأ عليه ولد أرخشد بن سام وكان الوباء وقع في جنده ومن كان معه من الجبابرة فخرج يريد أخاه غام بن علوان الذي ملكه شديد على ولد يافث ويستعين به على أمره فاستغم ولد أرخشد بن سام خروجه فأرسلوا الى نمرود بن كنعان بن جم الملك وكان مستترا هو وأبوه في طول ملك الضحاك بجبل دنباوند فأتاهم فلكوه عليهم فصمد صمد من كان بأرض بابل من أهل بيت الضحاك فقتلهم أجمعين واستولى على ملك الضحاك وبلغ ذلك الضحاك فأقبل نحوه فظفر به نمرود وضربه على هامته بجزر حديد فأنخنه ثم شده وثاقا وأقبل به الى غار في جبل دنباوند فأدخله فيه وسدّ عليه واستتب الملك نمرود واستوسق وهو الذي يسميه العجم فريدون قالوا ولما توفى هود صلى الله عليه وسلم اجتمع ولد ارم بن سام من أقطار الارض فلكوا مرثد بن شداد وذلك في أول ملك نمرود بن كنعان فغزاهم نمرود في آخر ملكه وقد وهى أمرهم فقدر عليهم . وقالوا فالغ وقحطان اخوان وهما ابنا غابر فبالغ جدّ ابراهيم صلى الله عليه وسلم وأما قحطان فأبو اليمن . ويروى ان ابن المقفع كان يقول يزعم جهال العجم ومن لا علم له ان جمّ الملك هو سليمان

ابن داود وهذا غلط فين سليمان وبين جمّ أ كثر من ثلاثة آلاف سنة .
 ويقال ان نمرود بن كنعان فرعون ابراهيم من ولد جمّ وكان ابن عمّ آزر
 ابن تارخ أبي ابراهيم وهو ابراهيم بن آزر بن تارخ بن ناحور بن ارغو بن
 شالخ بن ارفخشذ الذي سمّته العجم ايران ومن ولد ارفخشذ جميع العرب .
 ومنهم أيضاً ملوك العجم وأشرفهم من أهل العراق وغيرهم

(ذكر قحطان)

قالوا ولما انقرضت عاد من أرض اليمن وبادوا وذلك في عصر نمرود
 ابن كنعان اقطعها نمرود ابن عمه قحطان بن غابر فسار اليها في ولده حتى نزلها
 وبها بقايا قليلة ممن آمن بهود عليه السلام من عاد فجاورهم قحطان بها فلم يكن
 إلا قليل حتى انقرضوا وبادوا وصفت الأرض لقحطان . ويقال ان السائر
 اليها يعرّب بن قحطان بعد وفاة أبيه فسار اليها في اخوته وأولادهم فقطتها
 فكانت أم يعرب دون اخوته امرأة من عاد فتكلّم بلسان أمه . وذُكر
 عن ابن الكيّس النّمري أنه قال ان قحطان تزوّج امرأة من العماليق فولدت
 يعرّب . وجرّهم . والمُعتمر . والمُتلّمس . وعاصما . ومنيعاً . والقُطاميّ . وعاصياً
 وحمسيرا . فتكلّموا جميعاً بلسان أمهم بالعربية وكان قحطان في عصر نمرود
 وذُكر عن ابن الشريفة انه قال كان الذي خرج اليها يعرب بن قحطان في
 ولده وكان أكبرهم سنّاً وأعظمهم قدراً

(ذكر ثمود)

قالوا وان ثمود قفت ما كانت عليه عاد من الكفر بالله والعتوّ عليه

فأرسل الله إليهم صالحاً رسولاً فكان من أشرفهم منصباً وأكرمهم حساباً فدعاهم إلى توحيد الله فلم يقبلوا منه ولم يراعوا فأهلكهم الله عز وجل كما نصّ في كتابه وهو أصدق الحديث . ويقال انه كان بين مهلك عاد ومهلك ثمود خمسمائة عام وكان ذلك في عصر ابراهيم عليه السلام

(نمرود و ابراهيم)

وفي آخر ملك نمرود وتسميه العجم فريدون تجبر نمرود وعتا ولهج بعلم النجوم واجتلب المنجمين من آفاق الأرض وجباهم بالأموال واختار سبعة نفر من أهل بيته فسماهم الكوهبارين فولاهم أموره ووكل كل رجل منهم بعمل أفرد به وكان آزر أبو ابراهيم أحد السبعة الذين اختار . وقد كان دان له الشرق والغرب فكان من أمر مولد ابراهيم ما قد جاءت به الآثار وكان أول من آمن بابراهيم امرأته سارة وكانت من اجمل أهل عصرها . ولوط كان ابن اخته فأقام ابراهيم مع أبيه ما شاء الله ثم خرج مهاجراً له . وخرجت معه سارة وكان أبو لوط من أهل مدينة سدّوم وكانت أمه بنت آزر وإنما كان قدم إلى بابل زائراً لجدته آزر فأمن بابراهيم فأقام معه ببابل . موازراً له على أمره فلما خرج ابراهيم عليه السلام مهاجراً خرج معه لوط فلحق بأبيه وأهل بيته بمدينة سدّوم وهي فيما بين أرض الأردنّ وتخوم أرض العرب وسار ابراهيم حتى أتى أرض مصر

(هجرة جرهم والمعتمر)

قالوا وان ولد قحطان كثروا بأرض اليمن فوقع بينهم التباغى والتعاسد-

فاجتمع ولد يعرب بن قحطان على ولد جرهم بن قحطان وولد المعتمر بن قحطان فنقوم عن اليمن وأرضه فسارت جرهم نحو الحرم وسار بنو المعتمر نحو الحجاز ورئيس جرهم مُضاض بن عمرو بن عبد الله بن جرهم بن قحطان وأرادوا نزول الحرم فمنعهم العماليق من ذلك فاقتلوا فغلبتهم جرهم على الحرم ونقوم منه ونزلت جرهم الحرم فلما قطنوه بلغ ذلك بنى المعتمر بن قحطان فاقبلوا من أرض الحجاز حتى أتوا الحرم وسألوا جرهم السكنى معهم فأبت عليهم جرهم ورئيس بنى المعتمر السَّمِيدَع بن عمرو بن قنطور بن المعتمر بن قنطور بن المعتمر بن قحطان فتداعى الفريقان الى الحرب فبحر بهم هذه سُميت قَمَيْقِمان والمطابخ وأجباد وقاضح لان به فُضحت بنو المعتمر وقُتل السَمِيدَع وكان الظفر لجرهم

(تمليك نمرود أولاده)

قالوا وكان نمرود ثلاثة بنين. ايرج. وسلّم. وطوس ففوّض الى ايرج ملكه وجعل سلما على ولد حام . وطوسا على ولد يافث ففسد ايرج اخواه اذ خصه أبوه بالأمر دونهما وهو أصغر سنّا منهما فاغتلاه فقتلاه فصير الملك الى ابن ابنه منوشهر بن ايرج وصرفه عن ابنيه سلم وطوس ثم مات فملك منوشهر بن ايرج وفي عصر منوشهر كثرت قحطان بأرض اليمن فملكوا عليهم سَبَأً بن يَشْجُبْ واسم سبأ عبد شمس

(أولاد اسماعيل)

قالوا وفي ذلك العصر توفى اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام وخلف

ثلاثة بنين قيذر بن اسماعيل ونابت بن اسماعيل وهو كان القيم بأمر مكة
والحرم بعد ابراهيم ومدين بن اسماعيل وهو الذي سار الى أرض مدين
قتلها ومن ولده شعيب النبي عليه السلام وقومه الذين ارسل اليهم

(غلبة جرهم على الحرم)

قالوا ولما توفي نابت بن اسماعيل غلبت جرهم على البيت والحرم فخرج
قيذر بن اسماعيل بأهله وماله يتبع مواقع القطر فيما بين كاظمة وغمرذى كندة
والشعبيين وما والى تلك الارضين حتى كثر ولده وانتشروا في جميع أرض
تهامة والحجاز ونجد

(بنو قحطان)

فملك سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان أرض اليمن طول ملك
منوشهر مائة وعشرين سنة ثم مات وملك بعده ابنه حمير بن سبأ وجعل
ابنه كهلان وزير حمير

(انقضاء ملك منوشهر وابتداء ملك فراسياب)

قالوا ولما أتى لملك منوشهر مائة سنة وعشرون سنة سار اليه فراسياب بن
فايش بن نؤذسف بن الترك بن يافث بن نوح وذلك حين ملك حمير أرض
اليمن وكان مسيره من ناحية المشرق في جموع من ولد يافث بن نوح حتى
اتتهى الى أرض بابل وخرج اليه منوشهر الملك في جنوده ففضت جموع
منوشهر وقفا فراسياب أثر منوشهر حتى لحقه فقتله واستولى على ملكه وجلس
على سريره . وسام ولد ارفخشذ الخسف وهدم ما كان بأرض بابل من الحصون

وعور ما كان فيها من العيون وطم ما كان فيها من الأنهار وقحط الناس في ملكه قحطاً شديداً وكان أهل إيران شهر في ملكه في أعظم بلاء

(ملك زاب بن بودكان)

فلما تمّ لملك فراسياب تسع سنين ظهر زاب بن بودكان بن منوشهر بن ايرج بن نمرود بارض فارس فخلع فراسياب ودعا لنفسه فقال اليه جميع ولد سام بن نوح للجهد الذي نالتم في ملك فراسياب فسار الى فراسياب حتى نفاه عن مملكته وعمد الى المدن والحصون التي هدمها فراسياب فاعاد بناءها وحفر الأنهار والفتى التي كان طمها وأصلح كل ما كان فراسياب أفسده . وكري بالعراق أنهاراً عظماً سماها الزوابى اشتق اسمها من اسمه وهي الزابى الأعلى والزابى الأوسط والزابى الأسفل وابتنى المدينة العتيقة وسماها طيسفون ثم سار في أثر فراسياب وقد أقام بخراسان في جموعه وعساكره فزحف اليه فراسياب فالتقوا وأقبل ارسناس الذي كان منوشهر أمره بتعليم الناس الرمي بالنشاب وقد وتر قوسه وفوق فيها نشابة فاقبل حتى دنا من فراسياب فلما تمكن رماه رمية خالطت فؤاده وخرت ميتاً وانصرف ولد يافث حين قُتل ملكهم حتى لحقوا بارضهم وكان زاب قد أصابه جراحة كثيرة فمات منها بعد مهلك فراسياب بشهر . وفي ذلك العام أيضاً مات حمير بن سبأ . وقالوا كان ملك الوليد بن مُصعب فرعون موسى عليه السلام على جميع أرض ولدحام وهي المملكة التي تعرف بملك مصر بن حام . قالوا ولما توفى يوسف بن يعقوب واخوته بأرض مصر بقي أعقابهم بها وكثروا فيها وكانوا في زمان موسى عليه

السلام ستمائة الف رجل وكان ملك اليمن في زمن موسى الملقطاط بن عمرو
ابن حمير بن سبأ .

(كيقباز بن زاب)

وكان ملك أرض بابل كيقباز بن زاب وكان الملقطاط يلقب بالرائش لانه
راش قومه وأغنامهم وكانت ملوك الارض كلها قد دانوا لكيقباز واتقوه باللاتوة
وكان له ثلاثة بنين . قابوس وهو الذي ملك من بعده . وكيا بنه وهو جد أبراسف
الذي ملك بعد سليمان بن داود عليه السلام . وقبوس وهو جد الاشغانيين الذين
كانوا ملوك الجبل في زمان الطوائف وفي عصره خرج موسى بن عمران
من مصر هاربا من فرعون حتى أتى أرض مدين ونزل على شعيب فأجره
نفسه ثمانى حجج كما ذكر الله جل ثناؤه في الكتاب الناطق . ثم خرج من
عند شعيب لما قضى الأجل وسار بأهله فكان من أمره واكرام الله اياه بتكليمه
ورسالته ما قد قصه علينا في كتابه . وانصرف الى شعيب ورد أهله اليه
ومضى حتى بلغ رسالة ربه وفي ذلك العصر بعث شعيب الى قومه فكان
منهم . احكاه الله في كتابه .

(ملك أبرهة باليمن)

قالوا ثم ملك أرض اليمن أبرهة بن الملقطاط وهو أبرهة ذو المنار سمي
بذلك لانه أمر بعمل المنار والايقاد عليها بالليل ليتهدى بها جنوده وتوفى
موسى بن عمران عليه السلام وتولى أمر بني اسرائيل من بعده يوشع بن نون فخرج
بيني اسرائيل من أرض مصر الى أرض الشام فأسكنهم بفلسطين . قالوا وان

أبرهة تجهز وسار في بشر كثير يؤمّ أرضَ المغرب واستخلف على ملكه ابنه
 أفريقيس فأوغل في أرض السودان فأعطوه الطاعة فجاز أرضهم وسار حتى
 انتهى إلى أمة من الناس أعينهم وأفواههم في صدورهم ويقال أنهم أمة من
 ولد نوح عليه السلام غضب الله عليهم فبدّل خلقهم فأعطوه الطاعة وانصرف
 راجعا فرآه أمة من الناس يقال لهم النسناس للرجل والمرأة منهم نصف رأس
 ونصف وجه وعين واحدة ونصف بدن ويد واحدة ورجل واحدة ينقزون
 تقزا في أسرع من حُضر الفرس الجواد وهم يهيمون في الغياض التي على شاطئ
 البحر خلف رمل عاجل يعني رمل بلاد اليمن فسأل عنهم فأخبر أنهم أمة من
 ولد وبّار بن إرم بن سام بن نوح .

(ملك كيكوس بن كيقباز)

قالوا وكان ملك العجم في عصر أبرهة بن الملطاط كيكوس بن كيقباز
 وكان متشددا على الاقوياء رحيمًا بالضعفاء وكان منصورًا محمودًا إلى ان
 خطرت منه خطرة ضلال فيما كان همّ به من الصعود إلى السماء فهو صاحب
 التابوت والنسور . وكان قد وجد على ابنه سياوش ولم يكن له ولد غيره فأراد
 قتله فهرب منه فلحق بملك الترك فحلّ منه محلا لطيفا لما بلاه واختبره ورأى
 عقله وآدابه وبأسه ونجدته ففوّض إليه أمره فلما رأى ذلك أهل بيت الملك
 حسدوه وخافوا أن يبرّهم الأمر فدسّوا إليه الغوائل عند الملك حتى أقدم
 عليه فقتله وقد كان زوجته ابنته وحملت منه فأراد أن يقر بطنها عن جنينها
 فناشده أبريان الوزير فيها وفي ولدها ان يقتلها من غير جرم فقال له دونك

فخذها اليك فاذا ولدت فاقتل ولدها فكانت عنده حتى ولدت غلاما وهو
كيخسرو الذي ملك بعده فأخرجه عن المصر واسترضع له في سكان
الجبال من الاكراد فنشأ عندهم وقال للملك انها ولدت جارية وقد قتلها
فصدقه .

(ملك كيخسرو)

وان أهل فارس شنئوا كيكاسوس لما أظهر من الجبروت والعتو والجرأة
على الله وتآمروا في خلعه ونشأ ذلك حتى بلغ أم الغلام وقد أتى له سبع
عشرة سنة فدست رسولا الى أهل فارس تعلمهم مقتل سياوش وأمر الغلام
فاختاروا رجلا من أفاضلهم يسمى زو فوجهوه الى ابريان الوزير في الاقبال
بالغلام فقدم عليه وأفرشه ما أجمعت عليه فارس فسلم اليه الغلام وحمله على فرس
ايه سياوش الذي قدم عليه من العراق فسار به زو يكن النهار ويسير الليل
حتى ورد يم جيحون وهو نهر بلخ مما يلي خوارزم فعبره سباحة على فرسه
وأقبل به حتى أورده دار الملك فخلعوا كيكاسوس وملكوا الغلام وسموه
كيخسرو ومنحوه الطاعة فأمر بجده فحبس فلم يزل محبوسا حتى هلك

(ملك افريقيس على اليمن)

قالوا وكان ملك كيخسرو وملك افريقيس بن ابرهة في عصر واحد
وان افريقيس تجهز يريد المغرب حتى أوغل في أرض طنجة والاندلس
فرأى بلادا واسعة فابتنى هناك مدينة وسمّاها افريقية اشتق اسمها من اسمه
ونقل اليها سكانا وهي المدينة التي ينزلها اليوم سلطان ذلك البلد وعظماؤها ثم

انصرف الى وطنه وفي ذلك العصر نشأ معدّ بن عدنان وفيه انقرض ولد إرم
من جميع أرض العرب الا بقايا من طسم وجديس غبروا بئمان والبحرين واليمامة

(ملك ذى جيشان بن افريقيس وهلاك طسم وجديس)

ولما مات افريقيس بن ابرهة ملك ابنه ذو جيشان بن افريقيس فتجهز
لغزو كبخسر و ملك فارس وجمع جنوده وسار حتى نزل بنجران وكان بئمان
والبحرين واليمامة بشر كثير من ولد طسم وجديس ابني إرم بن سام وكانوا
من العرب العاربة وكان ملكهم رجلا من طسم يسمى عمليقا وكان جائرا
ظلوما وبلغ من عتوه ان امران لا تزف امرأة من جديس الى زوجها الا
بدووه بها فكثوا بذلك دهرا طويلا وان رجلا من جديس تزوج عفيزة
بنت غفار أخت الاسود بن غفار عظيم جديس وسيدها فلما أرادوا اهداءها
أدخلت على الملك فافترعها ثم خلى سبيلها فخرجت الى قومها في دماها رافعة
ثوبها عن عورتها وهي تقول

أيصلح ما يؤتني الى قتياتكم وأنتم رجالٌ ثورةٌ عدد النمل
فلو أننا كنا رجالاً وكنتم نساءً لكننا لا نقرُّ على الذلِ
فبعداً لبعل ليس فيه حميةٌ ويختالُ يمشي مشية الرجل الفحلِ

فحسبت من ذلك جديس فاغتالوا عمليقا فقتلوه بغرة واما مهم الاسود بن غفار
يرتجز ويقول

يا ليلة ما ليلة العروس جاءت تمشي بدم جيس
يا طسم ما لاقيت من جديس إحدى ليالك فهيس هيس

فأبادوا طسما فلم يفلت منهم إلا رجل يقال له رياحُ بن مَرَّة فانه مضى على وجهه حتى أتى ذا جيشان وهو معسكر في جنوده بنجران فمثل بين يديه ثم قال

انك لم نسمةَ يوم ولا ترى كيوم اباد الحى طسماً به المكر
 آتيناهم في أزرنا ونعالنا علينا الملاء الحمر والحلل الخضر
 فصرتنا لحوماً بالعرء وطعمةً تنازعها ذيب الوثيمة والنمر
 فدونك قوماً ليس لله فيهم ولا لهم منه حجاب ولا ستر

فقال الملك كم بيننا وبينهم قال ثلاث فقال من حضر كذب أيها الملك بينك وبين القوم عشرون ليلة فأمر جنوده بالمسير نحو اليمامة ففى مسيرهم وقصة الزرقاء يقول الاعشى بعد ذلك بدهر طويل

قالت أرى رجلاً فى كفه كتفٌ أو يخصف النعل لهنى آية صنعا
 فكذبوها بما قالت فصبتهم ذو آل جيشان يزجى الموت والشرعا
 فاستنزلوا أهل جورٍ من مساكنهم وهدموا مشرف البيان فاتصعا
 فأمّ جديسا واستأصلهم ثم ارتحل نحو العراق يريد كبخسرو وزحف اليه
 كبخسرو فالتقى ققيل ذو جيشان وانقضت جموعه

(ملك الفند ذى الاذعار)

فلكت العين ابنه الفند ذى الاذعار وانما لقب ذى الاذعار لرعب الناس منه فلم تكن له همة الا الطلب بثأر ابيه

(هجرة ربيعة الى اليمامة والبحرين)

قال وبقيت اليمامة والبحرين بعد قتل جديس ليس بها أحده الى أن
 (٢ - الاخبار)

كثرت ربيعة وانتشرت وتفرقت في البلاد فسارت عنزة بن أسد بن ربيعة تلّبع مواقع الغيث وتقدّمها عبد العزّي بن عمرو والعزّي حتى هجم على اليمامة فرأى بلادا واسعة ونخلا وقصورا واذا هو بشيخ قاعد تحت نخلة مسحوق يرتجز ويقول

تَقَاصِرِي أَجْنِ جِنَاكِ قَاعِدًا إِنِّي أَرَى حَمَلَكِ بِنِي صَاعِدًا
 فقال له عبد العزّي من أنت أيها الشيخ قال أنا من هزان الضراغمة الاقران
 غزانا ذو جيشان . الملك القرم اليمان . فأعمل فينا المران . فلم يبق بهذا
 المكان . غيري واني لفان . فقال عبد العزّي ومن هزان قال هزان بن طسم .
 أخو النهي والحزم . وابن الشجاع القرم . فأقام عبد العزّي أياما ثم تبرّم
 بمكانه فمضى سائرا حتى سقط الى البحرين فرأى بلادا أوسع من اليمامة وبها
 من وقع اليها من ولد كهلان حين هربوا من سيل العرم فأقام معهم . وسارت
 بنو حنيفة على ذلك السميت يتبعون مواقع الغيث وتقدّمهم عبيد بن ربوع
 وكان سيدهم قنزل قريبا منها فمضى غلام له ذات يوم حتى هجم على اليمامة
 فرأى نخلا وريفا واذا هو بشي من تمر قد تناثر تحت النخل فأخذه وأتى به
 عبيدا فأكل منه فقال وأبيك ان هذا الطعام طيب فارتفع حتى أتى اليمامة
 فدفع فرسه فخط على ثلاثين دارا وثلاثين حديقة فسمّى ذلك المكان حجرا
 فهو اليوم قصبة اليمامة وموضع ولاتها وسوقها وتسامعت بنو حنيفة بما أصاب
 عبيد بن ربوع فاقبلوا حتى أتوا اليمامة فقتلونها فعقبهم بها الى اليوم . قال
 وكان داود النبي عليه السلام في عصر الفند ذي الاذعار وكان ملك العجم

(ملك داود)

وكان سلطان بنى اسرائيل قد وهى فكان من حولهم من الامم يغزونهم فيقتلون ويأسرون فأتوا نبهم شعيا فقالوا ابث لنا ملكا تقاتل فى سبيل الله فملك عليهم طالوت صمويل وكان من سبط يوسف صلى الله عليه وسلم وكان الملك فى ولد يهوذا وقد كان بقى فى ذلك العصر من ولد عاد جالوت الجبار فسار غازيا لبنى اسرائيل فى جنوده فجمع طالوت بنى اسرائيل وخرج لمحاربه فمروا بالنهر الذى نهاهم طالوت عن شربه وشربوا منه الا ثلثمائة رجل وسبعة عشر رجلا عدد أهل بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان داود النبي حينئذ حدث السن فلما توافق الفريقان وضع داود عليه السلام حجرا فى قدافة ثم قتلها ورماه فصك بين عيني جالوت فكانت نفسه فيه وانهم جنوده وغنم بنو اسرائيل أموالهم فاجتمع بنو اسرائيل عند ذلك على تملك داود صلى الله عليه وسلم وخلع طالوت برضا منه وداود من سبط يهوذا بن يعقوب قالوا وكان ملك الروم فى ذلك العصر دقيانوس صاحب الفتية أصحاب الكهف وذكر عن عبد الله بن الصامت قال وجهنى أبو بكر الصديق رضى الله عنه سنة استخلف الى ملك الروم لادعوه الى الاسلام أو آذنه بحرب قال فسرت حتى أتيت القسطنطينية فأذن لنا عظيم الروم فدخلنا عليه فجلسنا ولم نسلم ثم سألنا عن أشياء من أمر الاسلام ثم صرفنا يومنا ذلك ثم دعا بنا يوما آخر ودعا خادما له فكلمه بشئ فانطلق فاتاه بعيدة فيها بيوت كثيرة وعلى كل بيت باب

صغير ففتح بابا منها فاستخرج خرقة سوداء فيها صورة بيضاء كهيئة رجل
أجل ما يكون من الناس وجهاً مثل دائرة القمر ليلة البدر فقال أتعرفون هذا
قلنا لا قال هذا أبونا آدم عليه السلام ثم رده مكانه . وفتح بابا آخر فاستخرج
خرقة سوداء فيها صورة بيضاء كهيئة شيخ جميل الوجه في وجهه تقطيب
كهيئة المحزون المهموم فقال أتدرون من هذا قلنا لا قال هذا نوح . ثم فتح
بابا آخر فاستخرج خرقة سوداء فيها صورة بيضاء على صورة نبينا محمد صلى
الله عليه وسلم وعلى جميع الانبياء فلما نظرنا اليه بكينا فقال . لكم قلنا هذه
صورة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقال أبا دينكم أنها صورة نبيكم قلنا نعم
هي صورة نبينا كانا نراه حيا فطواها وردّها وقال أما انها آخر البيوت الا أنى
أحببت أن أعلم ما عندكم . ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه خرقة سوداء فيها
صورة بيضاء أجل ما يكون من الرجال وأشبههم بنبينا محمد صلى الله عليه
وسلم ثم قال وهذا ابراهيم . ثم فتح بيتا آخر فاستخرج صورة رجل آدم
كهيئة المحزون المفكر ثم قال هذا موسى بن عمران . ثم فتح بيتا آخر
فاستخرج صورة رجل له ضفيران كان وجهه دائرة القمر ثم قال وهذا داود .
ثم فتح بيتا آخر فاستخرج صورة رجل جميل على فرس له جناحان ثم قال
وهذا سليمان وهذه الريح تحمله . ثم فتح بيتا آخر فاستخرج صورة شاب
جميل الوجه في يده عكازة وعليه منزرعة صوف ثم قال وهذا عيسى روح
الله وكلمته . ثم قال ان هذه الصورة وقعت الى الاسكندر فتوارثها الملوك
من بعده حتى أفضت الى . قالوا وان ذا الاذعار خرج في جنوده يطلب

بثارأيه ذى جيشان الذى صار الى أرض فارس فخارب كىخسرو و قتل فى المعركة فمات ذو الاذعار فى طريقه قبل أن يدرك ماأراد .

(ملك الهدهاد و بنته بلقيس)

فلكت اليمين عليهم الهدهاد بن شرحبيل بن عمرو بن مالك بن الرائش وكان الهدهاد يُلقب بذى شَرخ فأمر بجسم ذى الاذعار فحمل ورجع بقومه الى أرض اليمن فأمر به فدُفن بصنعاء فى مقبرة الملوك . قالوا وان الهدهاد تزوج ابنة ملك الجن بأرض اليمن فولدت له بلقيس وهذا حديث منتشر قد حملته الرواة . قالوا فلما أتى لها ثلاثون سنة حضر الهدهاد الموت فجمع وجوه حمير فقال يا قوم انى قد عجمتُ الناس واختبرت أهل الرأى والعقل فله أر مثل بلقيس وانى قد وليتها أمركم لتقيم لكم الملك الى أن يبلغ ابن أخى ياسر ينعم بن عمرو وفرضوا بذلك فماتت بلقيس

(أسفار سليمان وماكه)

وفى أول ملككم توفى داود عليه السلام وورث سليمان ملكه وذلك كله فى عصر كىخسرو بن سياوش فلما ملك سليمان سار من أرض الشام الى أرض العراق بأهله و خزائنه فلحق بخراسان فنزل مدينة بلخ وكان هو الذى بناها قبل ذلك وأقبل سليمان حتى نزل العراق فبلغ كىخسرو نزول سليمان بأرض العراق وما أعطي من عظيم السلطان فدخله فزع وأسف خامره فتهكه فلم يلبث الا قليلا حتى مات وان سليمان سار من العراق الى مَرَوْث ثم سار منها الى بلخ ثم سار من بلخ الى بلاد الترك فوغل فيها وجاوزها الى بلاد

الصين ثم عطف متيامناً عن مطلع الشمس على ساحل البحر حتى أتى
القنْدَهَار وسار منها الى مُكْران وكرمان ثم جازها حتى أتى أرض فارس فتزلها
أياماً ثم سار منها الى كَسْكَر ثم عاد الى الشام فوافى تَدْمُر وكانت موطنه. قالوا
ووجد في صخر بكسك

غَدَوْنَا طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ أَرْضِ فَارِسٍ فَهَانَحْنُ قَدْ قَلْنَا يَبْلُدَةَ كَسْكَرٍ
وَنَحْنُ وَلَا حَوْلَ سِوَى حَوْلِ رَبَّنَا نَرْوِحُ إِلَى الْإِطْوَانِ مِنْ أَرْضِ تَدْمُرٍ
وكان داود عليه السلام ابتداءً ببناء مسجد بيت المقدس فتوفى قبل
استتمامه فاستتمه سليمان واستتمَّ بناء مدينة ايليا وقد كان أبوه ابتدأها قبله فبنى
مسجدها بناءً لم ير الناس مثله وكان يُضَى في ظلمة الليل الحندس اضاءة
السراج الزاهر من كثرة ما كان جعل فيه من الجواهر والذهب وجعل اليوم
الذي فرغ فيه منه عيداً في كل سنة فلم يكن في الارض عيداً أبهى ولا أعظم
خطراً منه ولا أحسن منظراً فلم يزل المسجد على ما بناه سليمان حتى غزبته نصر
بيت المقدس فأخربها وتقص المسجد وأخذ ما كان فيه من الذهب
والفضة والجواهر فنقله الى العراق قالوا وكان سليمان مطعماً للطعام فكان
يُدْبِجُ فِي مَطْبَخِهِ كُلَّ غَدَاةٍ سِتَّةَ آلَافِ ثَوْرٍ وَعِشْرُونَ أَلْفَ شَاةٍ قَالُوا وَلِمَا فَرَّغَ
سليمان من بناء مسجد ايليا تجهَّز سائراً الى تهامة يريد بيت الله الحرام فطاف
به وكساه وذبح عنده وأقام سبعا ثم سار الى صنعاء وتفقد الطير فلم ير الهدد
فكان من حديثه وحديث صاحبة سبأ وهي بلقيس ما قد قصه الله تبارك وتعالى
في كتابه الى ان تزوجها. وبنى بأرض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها وهي

سَلْحِين وِينُون وُعَمْدَان وَاَنْصَرَفَ سَلِيمَانُ إِلَى الشَّامِ فَكَانَ يَزُورُهَا فِي كُلِّ شَهْرٍ
فَيَقِيمُ عِنْدَهَا ثَلَاثًا. وَانْهَزَهَا بِلَادَ الْمَغْرِبِ الْأَنْدَلُسَ وَطَنْجَةَ وَفِرَنْجِيَّةَ وَإِفْرِيْقِيَّةَ
وَنَوَاحِيهَا مِنْ أَرْضِ بَنِي كَنْعَانَ بْنِ حَامَ بْنِ نُوحٍ وَعَلَيْهِمْ مَلِكُ جَبَّارَاتٍ عَظِيمٍ
الْمَلِكُ قَدَعَاهُ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَخَلَعَ الْأَنْدَادَ فَمَرَّدَ عَلَيْهِ قَتَلَهُ وَأَصَابَ ابْنَتَهُ لَهُ
مِنْ أَجْمَلِ النَّاسِ قَتَسَرَّاهَا وَوَقَعَتْ مِنْهُ مَوْقِعًا لَطِيفًا وَقُفِلَ إِلَى الشَّامِ فَأَمَرَ بِمَقْصُورَةٍ
فُبْنِيَتْ لَهَا وَأَفْرَدَهَا فِيهَا مَعَ ظَوِّوْرَتِهَا وَخَدَمِهَا وَكَانَ سَلِيمَانُ لَا يَدْخُلُ عَلَيْهَا إِلَّا
وَجَدَهَا بِأَكِيَّةٍ حَزِينَةٍ فَكَدَّرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ حَبَّهُ لَهَا وَعَجِبَهُ بِهَا وَهِيَ الْمَرْأَةُ الَّتِي نَالَ
سَلِيمَانُ فِي أَمْرِهَا مَا نَالَ مِنْ سَلْبِ مَلِكِهِ وَزَوَالِ سُلْطَانِهِ وَبِهَاتِهِ حِينَ اتَّخَذَتْ
تِلْكَ الْمَرْأَةَ تَمَثَالًا أَيْبَاهَا فِي دَارِهِ وَعَبَدْتَهُ سِرًّا مِنْ سَلِيمَانَ إِلَّا أَنْ اتَّخَذَهَا التَّمَثَالَ
كَانَ عَنْ عِلْمٍ مِنْ سَلِيمَانَ وَاذْنِ لَهَا أَرَادَ بِذَلِكَ أَنْ تَسْكُنَ إِذَا نَظَرَتْ إِلَيْهِ
فَتَسْلَى. وَيُقَالُ إِنَّ سَلِيمَانَ بْنَ فِي أَقْصَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ مَدِينَةَ مِنْ نَحَاسٍ فِي
مَقَاوِزِ الْأَنْدَلُسِ وَأَوْدَعَهَا خَزَائِنَ مِنْ خَزَائِنِهِ وَإِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ كَتَبَ
إِلَى عَامِلِهِ عَلَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ مُوسَى بْنَ نُصَيْرٍ وَكَانَ مِنْ أَبْنَاءِ الْعَجْمِ غَيْرَ أَنْ
وَلَاءَهُ كَانَ لَقَيْسٌ يَأْمُرُهُ بِالْمَسِيرِ إِلَى هَذِهِ الْمَدِينَةِ لِيَعْلَمَ لَهُ عِلْمَ خَبَرِهَا وَيَكْتُبَ إِلَيْهِ
وَإِنَّ مُوسَى بْنَ نُصَيْرٍ سَارَ إِلَيْهَا وَانْصَرَفَ رَاجِعًا حَتَّى سَارَ إِلَى الْقَيْرَوَانَ وَكَتَبَ
بِالْخَبَرِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ وَيَصِفُ لَهُ الْمَدِينَةَ وَمَا لَقِيَ فِي سَفَرِهِ إِلَيْهَا وَمَا رَأَاهُ عِنْدَ
مَصِيرِهِ نَحْوَهَا

(مَلِكُ أَرْخَبِيمِ بْنِ سَلِيمَانَ)

قَالُوا وَمَا تُوْفِي سَلِيمَانَ قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ أَرْخَبِيمُ بْنُ سَلِيمَانَ فَتَفَرَّقَتْ بَنُو

اسرائيل ووهى أمره فكث بذلك الى أن سار بخت نصر وهو بوخت نرسي
عند العجم الى بيت المقدس فهدمه

(ملك ياسر ينعم)

قالوا وقام بالملك باليمن بعد بلقيس ياسر ينعم بن عمرو بن شرحبيل بن
عمرو وكان ابن أخي الهدهاد وانما سمي ياسر ينعم لانعامه على قومه . قالوا
وان ياسر ينعم تجهز غازيا لأرض المغرب حتى بلغ وادي الرمل ولم يبلغه ملك
قبله فأراد أن يعبره فلم يجد مجازا لأنه رمل فيما زعموا يجرى كما يجرى الماء
فعسكر على حافته ونصب عليه صنما وكتب على جبهته ليس ورأى مذهب
فانصرف وانصرف الى بلاده

(ملك لهراسف واغارة بخت نصر)

قالوا وان فارس لما مات سليمان بن داود اجتمع عطاؤها وأشرافها
ليختاروا رجلا من ولد كيقباز الملك فيملكوه عليهم فوَقعت خيراً لهم على
لُهراسف بن كيميس بن كيانبه بن كيقباز الملك فملكوه عليهم وان لهراسف
عقد لابن عمه بخت نصر بن كانجار بن كيانبه بن كيقباز في اثني عشر ألف
رجل من خيله وأمره أن يأتي الشام فيحارب أرخبعم بن سليمان فان كان الظفر
له قتل من قدر عليه من عطاء بني اسرائيل وهدم مدينة إيليا فسار بخت نصر
حتى أتى الشام فشن فيها الغارات وعاث فانهزم ملوك الشام منه وهرب أرخبعم
من بيت المقدس فنزل فلسطين فتوفى بها وأقبل بختنصر حتى ورد مدينة
بيت المقدس فدخلها لا يمتنع منه أحد فوضع في بني اسرائيل السيف وسبي

أبناء الملوك والعظماء وهدم مدينة ايليا فلم يدع فيها بيتا قائما وتقض المسجد وحمل ما كان فيه من الذهب والفضة والجوهر وحمل كرسي سليمان وقفل راجعا الى العراق وكان في السبي دانيال النبي عليه السلام فسار حتى قدم على لهراسف الملك وهو نازل بالسوس فمات دانيال عنده بالسوس

(ملك بشتاسف على العجم وشمر على اليمن)

قالوا ولما حضر لهراسف الموت أسند الملك الى ابنه بشتاسف وفي ذلك العصر مات ياسر بن نعم صاحب اليمن وقام بالأمر بعده شمر بن افرقيس بن أبرهة بن الرائش وهو الذي يزعمون أنه أتى الصين وهدم مدينة سمرقند فيزعمون أن وزير صاحب الصين مكر به وذلك انه أمر الملك أن يجده ويخلى سبيله فسار الأجدع الى شمر فأخبره انه نصح لصاحبه يعني ملك الصين وأمره بالخروج اشمر واعطائه للطاعة والالتواة فغضب عليه وجدعه وانه سار الى شمر ليدله على عورة صاحب الصين جزاء بما فعل به فاعتز شمر بذلك وسأله عن الرأي فقال ان بينك وبينه مفازة تُقَطَعُ في ثلاثة أيام ومأتاه منها قريب فاحمل الماء لثلاثة أيام وسر حتى أفاجئه بك من كَشَب قستبيح بلده وتأخذه سلما وأهله وماله ففعل فسلك به مفازة لا ترام فلما ساروا ثلاثا ونفذ الماء ولم يروا علما ولا انتهوا الى ماء قالوا له أين ما زعمت فأعلمه انه مكر به ووقى أهل بيته بنفسه لأنه قد علم أن سيقتله وقال قد أهلكتك فاصنع ما أنت صانع فما لك ولمن تبعك في الحياة مطمع فوضع شمر درعه تحت رأسه وترس حديد كان معه فوق رأسه يستكن به من الشمس قالوا وقد كان

المنجمون قالوا له انك تموت بين جبلي حديد فمات بين درعه وترسه عطشا فلم يبق من جنوده أحد الا هلك وقد سمعنا نحن بهذا الحديث في غير قصة شمر

(دعوة زرادشت)

قالوا وكان زرادشت صاحب المجوس أتى بثتاسف الملك فقال اني رسول الله اليك وأناه بالكتاب الذي في أيدي المجوس فأمن له بثتاسف ودان بدين المجوسية وحمل عليه أهل مملكته فأجابوه طوعا وكرها . وكان رُسمُ الشديد عامله على سجستان وخراسان وكان جبارا مديد القامة شديد القوة عظيم الجسم وكان ينتمى الى كيقباذ الملك لما بلغه دخول بثتاسف في المجوسية وتركه دين آباءه غضب من ذلك غضباً شديداً وقال ترك دين آباءنا الذين توارثوه آخرا عن أوّل وصبا الى دين محدث ثم جمع أهل سجستان فزَيّن لهم خلع بثتاسف وأظهروا عصيانه فدعا بثتاسف ابنه أسفندياذ وكان أشدّ أهل عصره فقال له يا بُنيّ ان الملك مُنّض اليك وشيكا ولا تصلح أمورك كلّها الا بقتل رسم وقد عرفت شدته وقوته وأنت نظيره في الشدة والقوة فانتخب من الجنود ما أحيت ثم سِرّ اليه فانتخب أسفندياذ من جنود آبيه اثني عشر ألف رجل من أبطال العجم وسار نحو رسم وزحف اليه رسم فالتقيا ما بين بلاد سجستان وخراسان فدعاه أسفندياذ الى إعفاء الجيشين من القتال وأن يبرز كلّ واحد منهما لصاحبه فأيهما قتل صاحبه استولي على أصحابه فرضي رسم بذلك وعاهده عليه وحالفه فوقف العسكران ناحية

وخرج كل واحد منهما الى صاحبه فاقتلا بين الصفين فيقول العجم في ذلك
 قولا كثيرا الا ان رستم هو الذي قتل أسفندياذ وانصرف جنوده الى أبيه
 بشتاسف فأخبروه بمصاب ابنه أسفندياذ فخامره حزن أنهكه فمضى من ذلك
 فمات وأسند الملك الى ابن ابنه بهمن بن أسفندياذ . قالوا ولما رجع رستم
 الى مستقره من أرض سجستان لم يلبث ان هلك .

(ملك أبي مالك بن شمر على اليمن)

قالوا وان أهل اليمن لما بلغهم مهلك شمر و جنوده بارض الصين اجتمعوا
 فمكوا عليهم أبا مالك بن شمر وهو الذي ذكره الأعرابي في قوله
 وخان النعيم أبا مالك وأى امرئ صالح لم يُخَن
 وهو الذي يزعمون انه هلك في طرف الظلمة التي في ناحية الشمال فدُفن
 على طرفها قالوا وذلك أنه بلغه مسير ذى القرنين اليها وانه أخرج منها جوهرها
 كثيرا فتجهز يريد الدخول فيها فقطع اليها أرض الروم وجاوزها حتى انتهى
 الى طرف الظلمة وتها لاقتحامها فمات قبل أن يدخلها فدُفن في طرفها فانصرف
 من كان معه الى أرض اليمن .

(ملك بهمن بن اسفندياذ على العجم و خلاص بني اسرائيل)

قالوا وملك بهمن بن أسفندياذ فأمر ببقايا ذلك السبي الذي سباهم بخت نصر
 من بني اسرائيل ان يُردّوا الى أوطانهم من أرض الشام . وقد كان تزوج
 قبل أن يُفصى الملك اليه إيراخت بنت سامال بن أرخيم بن سليمان
 ابن داود وملك زويل أخا امرأته أرض الشام وأمره أن يُخرج معه من بقي

من ذلك السبي وان يعيد بناء ايليا ويسكنهم فيه كما لم يزالوا ويرد كرسى سليمان
فينصبه مكانه فخرج روييل بذلك السبي حتى ورد بهم ايليا وأعاد بناءها
وبنى المسجد وسار بهم الى سجستان وقتل من قدر عليه من ولد رستم
وأهل بيته وأخرب قريته . قالوا وقد كان بهم من دخل في دين بني اسرائيل
فرفضه أخيرا ورجع الى المجوسية وتزوج ابنته خمانى وكانت أجمل أهل
عصرها فأدركه الموت وهى حامل منه فأمر بالتاج فوضع على بطنها وأوعز الى
عظماء أهل المملكة أن يتقادوا لأمرها حتى تضع مافي بطنها فان كان غلاما
أقروا الملك في يدها الى أن يشب ويدرك ويبلغ ثلاثين سنة فيسلم له الملك .
قالوا وكان ساسان بن بهمن يومئذ رجلا ذا رُواء وعقل وأدب وفضل وهو
أبوملوك فارس من الأكاسرة ولذلك يقال لهم الساسانية فلم يشكّ الناس ان
الملك يفضى اليه بعد أبيه فلما جعل أبوه الملك لابنته خمانى أنف من ذلك أنفا
شديدا فانطلق فاقتنى غنما وصار مع الاكراد في الجبل يقوم عليها بنفسه وفارق
الحاضرة غيظاً من تقصير أبيه . قالوا فمن ثم يُعير ولد ساسان الى اليوم برعى
الغنم فيقال ساسان الكردى وساسان الراعى .

(ملك خمانى زوج بهمن)

فلت خمانى فلما تم حملها وضعت غلاما وهو دارا بن بهمن . ثم انها
تجهزت غازية لارض الروم فسارت حتى أوغلت في بلاد الروم وخرج اليها
ملك الروم في جنوده فالتقوا واقتلوا فكان الظفر لخمانى فقتلت وأسرت
وغنمت فقتلت وقد حملت معها بنائين من بنائى الروم فبنوا لها بأرض فارس

ثلاثة ايوانات أحدها وسط مدينة اصطخر والثاني على المَدْرَجَة التي يسلك فيها من اصطخر الى خراسان والثالث على طريق دارا بجزء على فرسخين من اصطخر

(ملك دارا بن بهمن)

فلما أتى لابنها دارا ثلاثون سنة جمعت عظام المملكة ودعت بابنها دارا فاقعدته على سرير الملك وتوجته بالتاج وولته الامر

(ملك تبع بن أبي مالك)

قالوا ولما هلك أبو مالك بطرف الظلة اجتمع أشرف أهل اليمن فلكوا أمرهم ابنه تبع الأقران وانما سُمي لنجدته تبع الأقران وقد قيل بل هو تبع الأقران كل ذلك يقال . فلما ملك تجهيز يريد بلاد الصين طالبا بثأر أبيه وجدّه فسار إليها فرّ بسمرقند وهي خراب فأمر ببنائها فأعيد ثم ركب المفازة حتى انتهى الى بلاد التبت فرأى مكانا واسعا طاهر المياه مكتنشا فابتنى هناك مدينة فأسكن فيها ثلاثين ألف رجل من أصحابه فهم التبعيون وزيّهم الى اليوم زيّ العرب وهيتهم هيئة العرب ثم سار الى أرض الصين فقتل وأخرب مدينة الملك فهي خراب الى اليوم ثم قفل راجعا الى اليمن وامتد ملكه الى ان ملك الاسكندر فخرج الملك عنه فصار في المَاقول . قالوا وفي ذلك العصر نشأ النصر بن كنانة

(حرب دارا مع الروم)

قالوا وان دارا بن بهمن لما ملك تجهز غازيا الى أرض الروم فسار حتى

أوغل في أرضهم فخرج اليه الفيلفوس ملك الروم في جنوده فالتقوا فاقتلوا
فكان الظفر لدارا فصالحه الفيلفوس على اتاوة يؤديها اليه كل عام وهي مائة
ألف بيضة ذهب في كل بيضة أربعون مثقالا وتزوج ابنته ثم انصرف الى فارس
(ملك داريوش)

فلما تمّ لدارا اثنتا عشرة سنة في الملك حضرته الوفاة فأسند الملك الى
ابنه دارا بن دارا وهو الذي يعرف بداريوش مقارع الاسكندر فلما أفضى
الملك الى دارا بن دارا تجبر واستكبر وطمع . وكانت نسخة كتبه الى عماله
من دارا بن دارا المضيء لأهل مملكته كالشمس الى فلان وكان عظيم
السلطان كثير الجنود لم يبق في عصره ملك من ملوك الأرض الا بضع له
بالطاعة واتباعه بالاتاوة

(نشأة الاسكندر)

ونشأ الاسكندر وقد اختلف العلماء في نسبه فأما أهل فارس فيزعمون
أنه لم يكن ابن الفيلفوس ولكن كان ابن ابنته وان أباه دارا بن بهمن . قالوا
وذلك ان دارا بن بهمن لما غزا أرض الروم صالحه الفيلفوس ملك الروم على
الاتاوة فخطب اليه دارا ابنته وحملها بعد تزويجها اياه الى وطنه فلما أراد
مباشرتها وجد منها ذفرا فعافها وردّها الى قيمة نساءه وأمرها أن تحتال لذلك
الذفر فعالجتها القيمة بحشيشة تسمى السندر فذهب عنها بعض تلك الرائحة ودعا
بها دارا فوجد منها رائحة السندر فقال آل سندر أي ما أشد رائحة السندر
وآل كلمة في لغة فارس يراد بها الشدة وواقعها فعلقت منه وبنوا قلبه عنها

لتلك الذفرة التي كانت بها فردّها الى أبيها الفيلفوس فولدت الاسكندر فاشتقت له اسما من اسم تلك العُشبة التي عولجت بها على ماسمعت دارا قاله ليلة واقعا فنشأ الاسكندر غلاما ليبياً أديبا ذهنا فولاه جده الفيلفوس جميع أمره لما رأى من حزمه وضبطه ما رأى . ولما حضر الفيلفوس الوفاة أسند الملك اليه وأوعز الى عظماء المملكة بالسمع والطاعة له

(غابة الاسكندر على دارا)

فلما ملك الاسكندر لم تكن له همة إلا ملك أبيه دارا بن بهمن فسار الى أخيه دارا بن دارا فخاربه على الملك . وأما علماء الروم فيأبون هذا ويزعمون أنه ابن الفيلفوس لصلبه وانه لما مات الفيلفوس وأفضى الملك الى الاسكندر امتنع على دارا بن دارا بتلك الضريبة التي كان يؤديها أبوه اليه فكتب اليه دارا بن دارا يأمره بحمل تلك الاتاوة ويُعلمه ما كان بين أبيه وبينه من المواعدة عليها فكتب اليه الاسكندر ان الدجاج التي كانت تبيض ذلك البيض ماتت فغضب دارا من ذلك وآلى ليغزون أرض الروم بنفسه حتى يخرّبها فلم يحفل الاسكندر بذلك ولم يعأبه وكان الاسكندر أيضا جبارا معجبا وقد كان عتافي بدء أمره عتوا شديدا واستكبر وكان بأرض الروم رجل من بقايا الصالحين في ذلك العصر حكيم فيلسوف يسمى أرسطاطاليس يوحد الله ويؤمن به ولا يُشرك به شيئا فلما بلغه عتو الاسكندر وفضاظته وسوء سيرته أقبل من أقاصي أرض الروم حتى انتهى الى مدينة الاسكندر فدخل عليه وعنده بطارقه وروّساء أهل مملكته فمثل قائما بين يديه غير هائب له فقال أيها الجبار العاتي

ألا تخاف ربك الذي خلقك فسوّاك وأنعم عليك ولا تعتبر بالجبابرة الذين
 كانوا قبلك كيف أهلكهم الله حين قلّ شكرهم واشتدّ عتوّهم « في موعظة
 طويلة » فلما سمع الاسكندر ذلك غضب غضبا شديدا وهمّ به ثم أمر بحبسه
 ليجعله عظة لأهل مملكته ثم ان الاسكندر راجع نفسه وتدبر كلامه لما أراد
 الله به من الخير فرقع منه في نفسه ما غير قلبه فبعث اليه على خلاء فأصغى اليه
 واستمع لموعظته وأمثاله وعبره وعلم أن ما قال هو الحق وان ما خلا الله من
 معبود باطلٌ فارعوى واستجاب للحق وصحّ يقينه . فقال لذلك العابد فاني
 أسئلك أن تلزمني لأقتبس من علمك وأستضيء بنور معرفتك فقال له إن
 كنت تريد ذلك فاحسم أتباعك عن الغشم والظلم وارتكاب المحارم فتقدّم
 الاسكندر بذلك وأوعد فيه وجمع أهل مملكته ورؤساء جنوده فقال لهم اعلموا
 أنا انما كنّا نعبد الى هذا اليوم أصناما لم تكن تنفعنا ولا تضرنا واني آمركم
 فلا تردوا علىّ أمرى وأرضى لكم ما أراضاه لنفسي من عبادة الله وحده
 لا شريك له وخلع ما كنّا نعبده من دونه فقالوا بأجمعهم قد قبانا قولك
 وعلمنا أن ما قلت الحق وآمنا باللهك والهنا فلما صحت له نيّات خاصته واستقامت
 له طريقتهم وطابقوه على الحق أمر أن يُعلن للعامة إنا قد أمرنا بالأصنام التي
 كنتم تعبدونها أن تُكسّر فان ظننتم أنها تنفعكم أو تضرّكم فلتدفع عن
 أنفسها ما يحلّ بها واعلموا أنه ليس لأحد عندي هوادة في مخالفة أمرى وعبادة
 غير إلهي وهو الاله الذي خلقنا جميعا ثم أمر بتفريق الكتب بذلك في
 شرق الارض وغربها ليعامل الناس على قدر القبول والاباء فضت رسله

بكتبه بذلك الى ملوك الارض فلما انتهى كتابه الى دارا بن دارا غضب من ذلك غضبا شديدا وكتب اليه من دارا بن دارا المضى لاهل مملكته كالشمس الى الاسكندر بن الفيلفوس انه قد كان بيننا وبين الفيلفوس عهد ومهادنة على ضريبة لم يزل يؤدّيها الينا أيام حياته فاذا أتاك كتابي هذا فلا أعلن ما بطأت بها فأذيقك وبال أمرك ثم لأقبل عذرك والسلام. فلما ورد كتابه على الاسكندر جمع اليه جنوده وخرج متوجّها نحو أرض العراق وبلغ ذلك دارا بن دارا فأحرز خزائنه وحرمه وأولاده في حصن همدان وكان من بنائه ثم لقي الاسكندر جادا مستنفرا فواقعه وقائع كثيرة لم يجد الاسكندر مطعما فيه ولا في شيء منها ثم انه دس الى رجلين من أهل همدان كانا من بطائنه وخاصة حرسه وأرغبهما فرغبا وغدرا بدارا أتياه من ورائه حين صاف الاسكندر في بعض أيامه ففتكا به فوقع صريعا وانفضت جموع دارا وأقبل الاسكندر حتى وقف على دارا صريعا قتل فجعل رأسه في حجره وبهرمق فجزع عليه وقال يا أخى ان سلت من مصر عك خلّيت بينك وبين ملكك فاعهد الى بما أحببت أف لك به فقال دارا اعتبرني كيف كنت أمس وكيف أنا اليوم الست الذي كان يهابني الملوك ويذعنوا لي بالطاعة ويتقونى بالاتاوة وها أنا اليوم صريع فريد بعد الجنود الكثيرة والسلطان العظيم فقال الاسكندر يا أخى ان المقادير لا تهاب ملكا لثروته ولا تحقر فقيرا لفاقته وانما الدنيا ظل يزول وشيكا وينصرم سريعا. قال دارا قد علمت ان كل شيء بقضاء الله وقدره وان كل شيء سواه فان وأنا وصيك لمن خلّفت من أهلي

(٣ - الاخبار)

وولدى وسألك أن تزوج رؤوسك ابنتى فقد كانت قرّة عيني وثمرّة قلبي
قال الاسكندر أنا فاعل ذلك فأخبرني من فعل هذا بك لا تتقم منه فلم يُجر
في ذلك جوابا دارا واعتقل لسانه بعد ذلك ثم قضى فأمر الاسكندر بقاتليه
فصلبا على قبر دارا فقالا أيها الملك ألم تزعم أنك ترفعنا على جنودك قال قد
فعلت ثم أمر بهما فرُجما حتى ماتا . ثم كتب الى أم دارا وامرأته بالتعزية وهما
بمدينة همدان وكتب الى أمه وهى بالاسكندرية أن تسير الى أرض بابل
فُجهز رؤوسك بنت دارا بأحسن جهاز وتوجهها اليه الى أرض فارس ففعلت .

(غزو الاسكندر الهند واليمن)

ثم شخص الاسكندر نحو فور ملك الهند فالتقيا على تخوم أرض الهند
وان الاسكندر دعا فورا الى البراز والى يقتل الجمعان بعضهم بعضا بينهما
فاهتلبها منه فور وكان رجلا مديدا عظيما أيّدا قويا فرأى الاسكندر قليلا
قضيئا وبرزاليه فأجلى النقع عن فور قتيلا واستسلم له جنوده فقبل سلمهم
وسار حتى دخل أرض السودان فرأى ناسا كالغربان عراة حفاة يهيمون
في الغياض ويأكلون من الثمار فان أسنتوا وأجدبوا أكل بعضهم بعضا
فجاوزهم حتى انتهى الى البحر فقضى الى ساحل عدن من أرض اليمن فخرج
اليه تبّع الاقرن ملك اليمن فأذعن له بالطاعة وأقرّ بالاناوة وأدخله مدينة
صنعا فأنزله وألطف له من الطاف اليمن فأقام شهرا

(وصول الاسكندر الى مكة ومقابلته للنضر بن كنانة)

ثم سار الى تهامة وسكان مكة يوهئذ خزاة قد غلبوا عليها فدخل عليه

النضر بن كنانة فقال له الاسكندر ما بال هذا الحى من خزاعة نزولا بهذا الحرم ثم أخرج خزاعة عن مكة وأخلصه للنضر ولبنى أبيه وحجّ الاسكندر بيت الله الحرام وفرّق في ولد معدّ بن عدنان القاطنين بالحرم صلوات وجوائز

(وصول الاسكندر الى بلاد المغرب)

ثم قطع البحر من جدة يومّ بلاد المغرب . وروى عن ابن عباس ان نوحا عليه السلام قسم الارض بين ولده الثلاثة فخصّ ساما بوسط الارض التى تسقيه الانهار الخمسة الفرات ودجلة وسيحان وجيخان وفينسون وهو نهر بلخ وجعل لحام ماوراء النيل الى منفح الدبور وجعل ليافت ماوراء فيسون الى منفح الصبا . وقالوا الارض أربعة وعشرون الف فرسخ فبلاد الاتراك من ذلك ثلاثة آلاف فرسخ وأرض الخزر ثلاثة آلاف فرسخ وأرض الصين الفا فرسخ وأرض الهند والسند والحبشة وسائر السودان ستة آلاف فرسخ وأرض الروم ثلاثة آلاف فرسخ وأرض الصقالبة ثلاثة آلاف فرسخ وأرض كنعان وهى مصر وما وراءها مثل أفريقية وطنجة وفرنجة والاندلس ثلاثة آلاف فرسخ وجزيرة العرب وما والاها ألف فرسخ قالوا وبلغ الاسكندر أمر قنداقة ملكة المغرب وسعة بلادها ونخصب أرضها وعظيم ملكها وان مدينتها أربع فراسخ وان طول الحجر الواحد من سور مدينتها ستون ذراعا . وأخبر عن حال قنداقة وعقلها وحزمها فكتب اليها من الاسكندر بن الفيلفوس الملك المُسلّط على ملوك الارض الى قنداقة ملكة سمرة أما بعد فقد بلغك ما أفاء الله علىّ من البلاد وأعطاني من العدا والنصرة

فان سمعتِ وأطعتِ وآمنتِ باللهِ وخلمتِ الانداد التي تُعبد من دون الله وحملتِ اليّ وظيفة الخراج قبلتُ منك وكففت عنك وتكبتِ أرضك وان آيتِ ذلك سرتُ اليك ولا قوّة الاّ بالله فكتبت اليه ان الذي حملك على ما كتبت به فرط بغيك وعجبك بنفسك فاذا شئت أن تسير فسيرتدق غير ما ذقت من غيرى والسلام فلما رجع جواب كتابه أرسل اليها بملك مصر وكان في طاعته ليدعوها الى الطاعة ويُنذرها وبال المعصية فسار اليها في مائة رجل من خاصته فلم يجد عندها ما يجب فرجع الى الاسكندر فأعلمه فتجهز الاسكندر اليها ومضى في جنوده حتى انتهى الى مدينة القيروان وهي من مصر على شهر فافتحها بالمجانيق ثم سار الى القنடைة فكانت له ولها قصص وأنباء فعاهدتها على المودعة والمسألة والاّ يطور بسطانها وشيء مما في مملكتها ثم سار من هناك قاصدا الظلمة التي في الشمال حتى دخلها فسار فيها ما شاء الله . ثم انكفأ راجعا حتى اذا صار في تخوم أرض الروم ابني هناك مدينتين يقال لاحداها قافونية وللأخرى سُورية

(مسير الاسكندر الى مشرق الشمس وبلاد الصين)

ثم همّ بالاجتياز الى أرض المشرق فقال له وزراؤه كيف يمكنك الاجتياز الى مطلع الشمس من هذه الجهة ودون ذلك البحر الاخضر ولا تعمل فيه السفن لان هاءه شبيه بالقيح ولا يصبر على تنن ريحه أحد فقال لا بد من المسير ولو لم أسر الا وحدي قالوا نعمن معك حيث سرت فسار حتى قطع أرض الروم يومّ مشرق الشمس ثم جازهم الى أرض الصقالبة فأذعنوا له

بالطاعة فجازهم الى أرض الخزر فأذعنوا له فجازهم الى أرض الترك فأذعنوا له فسار في أرضهم حتى بلغ المفازة التي بينهم وبين بلاد الصين فركبها وسار حتى اذا قرب من أرض الصين أجلس وزيراً له يقال له فيناؤس في مجلسه وأمره أن يتسمى باسمه وتسمى هو فيناوس وقصد الملك حتى وصل اليه فلما دخل عليه قال له من أنت قال أنا رسول الاسكندر المساط على ملوك الارض قال واين خلفته قال على تخوم أرضك قال وبما ذا أرسلك قال أرسلني لانطلق بك اليه فان أجبت أقرّك في أرضك وأحسن جباءك وان أبيت قتلك وأخرب أرضك فان كنت جاهلاً بما أقول فسل عن دارا بن دارا ملك ايران شهر هل كان في الارض ملك أعظم ملكاً منه وأكثر جنوداً وأقوى سلطاناً وكيف سار اليه واغتصبه نفسه وسلبه ملكه وسل عن فور ملك الهند الى ما آل أمره . قال ملك الصين يافيناوس انه قد بلغني أمر هذا الرجل وما أعطى من النصر والظفر وكنت على توجيهه وفد اليه أسأله الموائد وأصلحه على الهدنة فأبلغه أنّي له على السمع والطاعة وأداء الاتاوة في كل عام فليست به حاجة الى دخول أرضي ثم بعث اليه بتاجه وبهدايا من تحف أرضه من السمور والقاقم والخز والحزير الصيني والسيوف الهندية والسروج الصينية والمسك والعنبر وصحاف الذهب والفضة والدروع والسواعد والبيض فقبض ذلك الاسكندر

(مسير اسكندر الى يا جوج وما جوج)

وسار راجعاً الى عسكره وتنكب أرض الصين وسار الى الأمة التي قصّ

الله جل ثناؤه قصتها في (قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون
 في الأرض) فكان من قصته وبنائه الردم ما قد أخبر الله به في كتابه
 فسألهم عن أجناس تلك الأمم فقالوا نحن نسمي لك من بالقرب منا منهم فأما
 ما سوى ذلك فلانعرفه هم يأجوج ومأجوج وتاويل وتاريس ومنسك وكمازي
 فلما فرغ من بناء السد بينهم وبين تلك الأمم رحل عنهم فرقع إلى أمة من
 الناس حمر الألوان صبب الشعور رجالهم معتزلون عن نساءهم لا يجتمعون
 الا ثلاثة أيام في كل عام فمن أراد منهم التزويج فإما يتزوج في تلك الثلاثة
 الأيام واذا ولدت المرأة ذكرا وفطمته دفعته إلى أبيه في تلك الثلاثة الأيام
 وان كانت أنثى حبستها عندها فارتحل عنهم وسار حتى صار إلى فرغانة فرأى
 قوماً لهم أجسام وجمال فأعطوه الطاعة فسار من فرغانة إلى سمرقند فتنزلها وأقام
 شهراً ثم رحل فسلك على بخارى حتى انتهى إلى النهر العظيم فعبره في السفن
 إلى مدينة أمويه وهي أمل خراسان ثم سلك المفازة حتى خرج إلى أرض قد
 غلب عليها الماء فصارت آجاءاً ومروجا فأمر بتلك المياه فسدت عنها حتى جفت
 الأرض فابتنى هناك مدينة وأسكنها قطاناً وجعل لها رساتيق وقرى وحصونا
 وسماها مرخانوس وهي مدينة مزرو وتسمى أيضاً ميلانوس ثم اجتاز بنيسابور
 وطرس حتى وافى الري ولم تكن أيامئذ وإنما بُنيت بعد ذلك في ملك فيروز بن
 يزدجرد بن بهرام جبر ثم اجتاز من هناك على الجبل وحلوان حتى وافى العراق
 فنزل المدينة العتيقة التي تسمى طيسفون فأقام حولاً ثم سار يريد الشام حتى
 أتى بيت المقدس

(تولية الاسكندر ابناء الملوك)

فلما اطمان بها قال لمودبه ارسطاطاليس انى قد وترت اهل الارض
 جميعاً لقتلي ملوكهم واحتوائى على بلادهم واخذى اموالهم وقد خفت ان
 يتظافروا على اهل ارضى من بعدى فيقتلونهم ويبيدونهم لحنقهم علىّ وقد
 رأيت ان أرسل الى كل نبيه وشريف ومن كان من اهل الرياسة فى كل
 ارض والى ابناء الملوك فأقتلهم فقال له مودبه ليس ذلك رأى اهل الورع
 والذين مع أنك ان قتلت ابناء الملوك وأهل النباهة والرياسة كان الناس عليك
 وعلى اهل ارضك أشدّ حنقا من بعدك ولكن لو بعثت الى ابناء الملوك
 وأهل النباهة فتجمعهم اليك فتتوجههم بالتيجان وتملك كل رجل منهم كورة
 واحدة وبلدا واحدا فانك تشغلهم بذلك بتنافسهم فى الملك وحرص كل
 واحد منهم على أخذ ما فى يدي صاحبه عن اهلاك بلادك فتأتى بأسهم
 بينهم وتجعل شغلهم بأنفسهم فقبل الاسكندر ذلك منه وفعله وهم الذين
 يقال لهم ملوك الطوائف

(مهلاك اسكندر)

ثم هلك الاسكندر ببيت المقدس وقد ملك ثلاثين سنة جال الارض
 منها اربعا وعشرين سنة وأقام بالاسكندرية فى مبتدأ أمره ثلاث سنين
 وبالثام عند انصرافه ثلاث سنين فجعل فى تابوت من ذهب وحمل
 الى الاسكندرية

(مدن اسكندر)

وبني اثنتي عشرة مدينة الاسكندرية بأرض مصر ومدينة نجران بأرض
العرب ومدينة مَرُو بأرض خراسان ومدينة حَجِيّ بأرض أصبهان ومدينة عَلِي
شاطئ البحر تُدعى صَيْدُودَا ومدينة بأرض الهند تُدعى جروين ومدينة
بأرض الصين تُدعى قَرْنِيَّة وسائر ذلك بأرض الروم

(ملوك الطوائف)

قالوا ولما توفي الاسكندر حتى كل رجل من اولئك الذين ملكهم
حِيْزَه ودفَعوا الحرب فلم يكن يغلب أحدهم صاحبه الا بالحنكة والآداب
يتراسلون بالمسائل فان أصاب المستؤل حمل اليه السائل وان بغى أحد منهم
على الآخر وانتقصه شيئاً من حيزه أنكروا جميعاً ذلك عليه فان تمادى أجمعوا
على حربه فسُموا بذلك ملوك الطوائف

(ملوك اليمين الأربعة)

وزعموا أن الملوك الأربعة الذين لعنهم النبي صلى الله عليه وسلم ولعن
أختهم أبضعة لما هموا بنقل الحجر الأسود الى صنعاء ليقطعوا حجّ العرب
عن البيت الحرام الى صنعاء وتوجهوا لذلك الى مكة فاجتمعت كنانة الى
فِهْر بن مالك بن النضر فلقبهم فقاتلهم فقتل ابن لفهر يُسمى الحارث لم يُعقب
وقتل من الملوك الأربعة ثلاثة وأسر الرابع فلم يزل مأسورا عند فهر بن مالك
حتى مات وأما أبضعة فهي التي يقال لها العنقفير ملكت بعد اخوتها بأخبث
سيرة كانت تتخيّر الرجال على عينها فمن أعجبها دعت الى نفسها فوقع بها

لا يقدر أحد أن يُنكر عليها وإنما أبصرت فتى من قيس فأعجبها فدعته الى
نفسها فوقع بها فألقحها غلامين في بطن فسَمَّت أحدهما سهلاً والآخر عوقاً
وفي ذلك يقول شاعر من شعراء قيس

وذى ثومة في أذنه وضميرته وسيم جميل لا يُخيل مخايله
إذا ما رآته قبلة حميرية تجر له جبل الشموس تُهزله

قالوا وكان ذو الشنار ملك عَنَسَ ويُحابر وكان عظيم الملك كثير الجنود وكان
ملكه على عُمان والبحرين واليمامة وسواحل البحر
(ملك أردوان بن أشه)

قالوا ولم يكن في ملوك الطوائف الذين كانوا بأرض العجم ملك أعظم
ملكاً ولا أكثر جنوداً من أردوان بن أشه بن أشغان ملك الجبل كان
اليه الماهان وهمذان وماسبذان ومهرجاتقدق وحلوان وسائر الملوك إنما كان
يكون الى الرجل منهم كورة واحدة وبلد واحد وكان الملك منهم اذا مات
قام بالملك بعده ابنه أو حميمه وكان جميع ملوك الطوائف يُقرُّون لأردوان
ملك الجبل بفضلته لاختصاص الاسكندر إياه دونهم بفضل الملك وكان
مسكنه بمدينة نهاوند العتيقة . قالوا وفي ذلك العصر بُعث المسيح عيسى بن
مريم عليه السلام

(ملك أسعد بن عمرو اليمن)

قالوا وان أسعد بن عمرو بن ربيعة بن مالك بن صئح بن عبد الله بن
زيد بن ياسر نعم الملك الذي ملك بعد سليمان بن داود صلى الله عليه وسلم لما

نشأ وبلغ أنف من ابتزاز قبائل ولد كهلان بن ساء بن يشحب بن يعرب
 الملك خمير وكان الملك لهم وفي عصرهم فجمع اليه حمير وذلك بعد أن ملكت
 المقاول بأرض اليمن فكانوا سبعة ملوك توارثوا الملك مائتين وخمسين سنة
 فسار الى ملك همدان فخار به فظفر به ثم سار الى ملك عاس ويحابر ففعل به
 مثل ذلك وأتى ملك كندة وأعطى الظفر حتى اجتمع له ملك جميع أرض اليمن

(ملك القيطون بلاد الحجاز)

فلما استجمع لأسعد الملك وجه ابن عمه القبطون بن سعد الى تهامة
 والحجاز وجعله ملكا عليها فنزل يثرب فاعتدى وتجير حتى أمر أن لا تهدي
 امرأة الى زوجها حتى يبدئوه بها وسلك في ذلك مسلك عمليق ملك طسم
 وحديس الى أن زوّجت أخت لملك بن العجلان من الرضاة فلما أرادوا
 أن يذهبوا بها الى القيطون اندس معها مالك بن العجلان متنكرا فلما خلاله
 البيت عدا عليه سيفه فقتله وعدوا على أصحابه فقتلوا أجمعين وبلغ ذلك
 أسعد الملك فسار اليهم فنزل بالمدينة على نهر يسمى نهر الملك فكان من
 قصته ما هو مشهور قد كتبناه في غير هذا الموضع

(معث عيسى عليه السلام)

قالوا ولما ابعت الله عيسى بن مريم فأقبلت اليهود لقتله فرفعه الله اليه
 أتوا يحيى بن زكريا فقتلوه فسلط الله عليهم ملكا من ملوك الطوائف من
 ولد بخت نصر الاول فقتل نبي اسرائيل وضربت عليهم الذلة والمسكنة

(ملك أردشير بن بابك)

قالوا فلما تمّ ملوك الطوائف مائتا سنة وست وستون سنة ظهر أردشير ابن بابكان وهو أردشير بن بابك بن ساسان الاصغر ابن فافك بن مهران ابن ساسان الاكبر ابن مهران الملك بن اسفندياذ بن بنستاسف فظهر بمدينة اصطخر فذبّ في ردة ملك فارس في نصابه واتّسقت له الامور فلم يزل يغلب ملكا ويقتل ملكا ويحتوي على ما تحت يده حتى انتهى الى فرخان ملك الجبل وكان آخر من ملك ولد اردوان فكتب اليه اردشير بالدخول في طاعته فلما اتاه كتابه امتلاً غيظاً وقال لرسله لقد ارتقى ابن ساسان الراعي مُرتقى وعرا ولم يحفل به وكتب اليه ان الميعاد بيني وبينك صحراء الهُرْمُزْدجان في سلخ مهرمه فسبق أردشير الى المكان فوافاه فرخان في سلخ مهرمه فاقتلوا فقتله اردشير وسار من فوره حتى ورد مدينة نهاوند فنزل قصر الفرخان فأقام شهراً ثم سار الى الرمي ثم الى حراسان لاياتي حيزا الا أذعن له ملكه بالطاعة ثم سار الى سحستان ثم الى كرمان ثم سار الى فارس فقتل مدينة اصطخر فأقام حولاً ثم سار نحو العراق فلقاه من كان بها من ملوك الطوائف بالاهوار فقاتلهم فقتلهم ثم سار حتى عسكر بموضع المدائن اليوم فاختمها وبنها فلما استوسق له الملك دعا باندّة أخي الفرخان التي أخذها من قصر الفرخان بنهاوند وكانت ذات جمال ولبّ وقد كان أفصى اليها وسألها عن نسبها فأخبرته فقال لها قد أسأت حين أعلمتني لاني أعطيت الله عهداً ان أظهرني الله بالفرخان ان لا أدع من أهل بيته أحداً ثم دعا أبرسام وزيره

فقال انطلق بهذه الجارية فاقتلها فاخذ ابرسام بيد الجارية فأخرجها لينفذ فيها أمره فلما خرجت قالت لا برسام انى حامل لاشهر فلما قالت له ذلك انطلق بها الى منزله وأمر بالاحسان اليها وقال لاردشير قد قتلها وزعموا أنه جبّ نفسه وأخذ هذا كبره فجعلها فى حُوقٍ وختم عليه وأتى به اردشير وسأله أن يأمر بعض ثقاته باحرازه فانه سيحتاج اليه يوما فأمر اردشير بالحق فأحرز. ثم ان الجارية ولدت غلاما كاجمل ما يكون من العلمان وهو سابور بن اردشير الذى ملك بعده وان اردشير أقام بالعراق حولا ثم سار الى الموصل فقتل ملكها ثم انصرف وجعل يسير فسار الى عُمان والبحرين واليمامة فخرج اليه سنطرق ملك البحرين فخار به فقتله اردشير وأمر بمدينةنته فأخربت . قالوا وان ابرسام دخل على اردشير يوما وهو مستخلٍ وحده مُفكرٌ مهموم فقال أيها الملك عمرّك الله مالى أراك مهموما حزينا وقد أعطاك الله أمنيّتك وردّ الله اليك ملك آباءك فأنت اليوم شاهان شاه قال اردشير ذلك الذى أحزنتنى انى قد استحوذت على الارض ودان لى جميع الملوك وليس لى ولد يرث ملكى الذى أنصبت فيه نفسى فلما سمع ذلك ابرسام قال فى نفسه هذا وقت اظهار أمر تلك المرأة الاشغانية وقد كان أتى على ابنها خمس سنين فقال أيها الملك انى كنت استودعتك يوم أمرتنى بقتل تلك المرأة الاشغانية حقا مختوما وقد احتجت اليه فمر باخراجه فأمر به اردشير فأخرج اليه ففتحه وأراه اردشير فاذا فيه هذا كبره قد يبست فى جوف الحق فقال له اردشير ما هذا فأخبره الخبر وأعلمه حال الغلام ففرح اردشير بذلك ثم قال لا برسام اتنى بالغلام واجعله

ما بين مائة غلام من أقرانه ففعل أبرسام ذلك فلما أدخلهم عليه تأملهم غلاما
غلاما حتى اذا بلغ الى سابور رأى تشابه ما بينه وبينه فتحرّك له قلبه فأمسك
نفسه ولم يكلمه وأمر بأن يُعطى الغلمان جميعا صوالجة ويُطرح لهم كرة في
الرحبة ليلعبوا بين يديه مقابل الايوان وقال لابرسام احتل أن تقع الكرة
عندي في الايوان ففعل ووقعت الكرة على بساطه فوقف جميع أولئك
الغلمان على باب الايوان ولم يجترئ واحد منهم أن يدخل فيتناول الكرة
من بين يديه الا الغلام فانه اقتحم من بينهم على أيه فتناول الكرة من بين
يديه فلما رأى ذلك أردشير مدّ يده فتناول الغلام وضعه اليه وقبله وأمر به
وبأمه ان تُردّ اليه وهو سابور الذي ملك بعده وأكرم أبرسام وأقطعته القطائع
الكثيرة وأمر ان تُصوّر صورة أبرسام على الدراهم والبسط حتى اتقضى
ملكهم . قالوا وفي ملك أردشير بعث الله تعالى عيسى عليه السلام ويزعمون
انه بعث بأحد حواريتيه الى أردشير وانه جاء الى مدينة طيسفون فنزل على
ابرسام فكان اذا أمسى استنرج له سراج فيصلى طول ليله ويتلو الانجيل
فسأله ابرسام عن قصته ودينه فأخبره انه رسول المسيح عيسى بن مريم فأفضى
ابرسام الخبر الى أردشير فدعا به فنظر الى سمته وهدوئه وأراه الشيخ آيات
من آيات المسيح فلم يبعد عند أردشير ولا حاجة بسوء

(حديث جرجيس مع ملك الموصل)

قالوا وفي زمان ملوك الطوائف كانت قصة جرجيس واتيانه ملك الموصل
وكان جبارا متمردا يعبد الاصنام ويحمل الناس على عبادتها وكان جرجيس

من أهل الجزيرة وكان من أمره وأمر ذلك الملك ماقد أتت به الاخبار .
 وكان أردشير هو الذي أكل آيين الملوك ورتب المراتب وأحكم السير
 وتفقد صغير الامر وكبيره حتى وضع كل شئ من ذلك على مواضعه وعهد
 عهدَه المعروف الى الملوك فكانوا يمثلونه ويلزمونه ويتبركون بحفظه والعمل
 به ويجعلونه درسهم ونصب أعينهم وبنى من المدن ست مدائن منها بارض
 فارس مدينة أردشير خرّه ومدينة رام أردشير ومدينة هرمزدان أردشير
 وهي قسبة الاهواز ومدينة أستاذ أردشير وهي كرخ ميسان ومدينة فوران
 أردشير وهي التي بالبحرين ومدينة بالموصل تسمى خرزاد أردشير .

(ملك ملكي كرب اليمين)

وملك بعد أسعد ملك اليمين الذي كسا البيت ونحر عنده وطاف به
 وعظمه ابن عمه ملكي كرب بن عمرو بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو
 ذي الاذعار فملك عشرين سنة لا يبرح بيته ولا يغزو كما كانت الملوك قبله
 تفعل نحرّجا من الدماء

(ملك التبابعة)

ثم ملك بعده ابنه تبع بن ملكي كرب وهو تبع الاخير وكانت التبابعة
 ثلاثة أولهم شمر أبو كرب الذي غزا الصين وأخرب مدينة سمرقند والثاني
 تبع أسعد الذي ذبح للبيت الحرام الذبائح وعلق عليه باب ذهب والثالث
 تبع بن ملكي كرب ولم يسم غير هؤلاء الثلاثة من ملوك اليمين تبعا . وكان تبع
 هذا الاخير في عصر سابور بن أردشير وفي عصر هرمز بن سابور وكان تبع

ابن ملكي كرب كبير الشأن عظيم السلطان وهو الذي غزا بلاد الهند فقتل ملكها وهو من أولاد فور الملك الذي قتله الاسكندر ثم انصرف الى اليمن ومات في ملك بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير . ثم ملك من بعد تبع ابنه حسان بن تبع بن ملكي كرب وهو الذي غزا أرض فارس فيما يزعمون وهو الذي ضجرت الحميرية لكثرة غزوه بها وقلة مقاومه بأرض اليمن فزيتوا لأخيه عمرو بن تبع قتله ليملكوه عليهم فطابقوه جميعا على ذلك الاذارعين فانه أبى ذلك ولم يدخل فيه مع اقرم فعدا عمرو على أخيه فقتله وملك من بعده وانصرف بقومه الى اليمن فسأط عليهم السهر .

(ملك سابور)

فلما ملك سابور بن أردشير غزا أرض الروم فافتتح مدينة قالوقية ومدينة قبدوقية وأتخن في الروم ثم انصرف الى العراق وسار الى أرض الاهواز ليرتاد مكانا يبني فيه مدينة يسكنها السبي الذي قدم بهم من أرض الروم فبنى مدينة جنديسابور واسمها بالخوزية نيلاط وأهلها يسمونها نيلاب فكان سابور قد أسر اليرياتوس خليفة صاحب الروم فأمره ببناء قنطرة على نهر تتر على أن يخذه فوجه اليه ملك الروم ناسا من أرض الروم والاموال فبناها فلما فرغ منها أطلقه

(ظهورماني)

وفي زمان سابور ظهرماني الزنديق وأغوى الناس ومات سابور قبل أن يظفر به وملك سابور احدى وثلاثين سنة

(ملك هرمز)

وأفضى الملك بعده الى ابنه هرمز بن سابور فأخذ ماني فأمر به فسلخ جلده وحشاه بالثبن وعلقه على باب مدينة جنديسابور فهو الى اليوم يُدعى باب ماني وتتبع أصحابه ومن استجاب له فقتلهم جميعا فملك ثلاثين سنة

(ملك بهرام بن هرمز واولاده)

وأسند الملك الى ابنه بهرام بن هرمز فملك سبع عشرة سنة ثم ملك ابنه بهرام بن بهرام ثم ملك ابنه نرسی بن بهرام بن بهرام فملك سبع سنين ومات فملك ابنه هرمزدان بن نرسی فملك سبع سنين ومات ولم يكن له ولد يرثه الملك غير أن امرأته كانت حاملا لا شهر فأمر بالتاج فوضع على بطنها وتقدم الى عطاء أهل فارس أن لا يملكوا عليهم أحدا حتى ينظروا ما يولد له فان كان ذكرا سموه سابور وأقرّوه على الملك ووكلوا به من يحضنه ويقوم بأمر الملك الى ادراكه وان كانت أنثى اختاروا رجلا لأنفسهم من أهل بيته فملكوه عليهم فولدت المرأة ذكرا وسموه سابور وهو المنبوز بذى الاكتاف

(ملك سابور ذى الاكتاف)

فشاع لما مات هرمزدان في أطراف الأرضين انه ليس لأرض فارس ملك وانهم يلودون بصبي في مهد فطمعوا في مملكة فارس فورد جمع عظيم من الاعراب من ناحية البحرين وكاظمة الى أبرشهر وسواحل أردشير خرو فشنوا بها الغارة وأتى بعض ملوك غسان على الجزيرة في جموع عظيمة حتى أغار على السواد فمكثت مملكة فارس حين لا يمتنعون من عدو لو هنى أمر

الملك فلما ترعرع الغلام كان أول ما ظهر من حزمه أنه استيقظ ليلة وهو نائم في قصره بمدينة طيسفون بضواض الناس لآزدحامهم على جسر دجلة مقبلين ومدبرين فقال ما هذه الضواض فأخبر فقال ليعقد لهم جسر آخر يكون أحدها لمن يقبل والآخر لمن يدبر ففعلوا وتباشروا بما ظهر من فطنته مع طفولته فلما أتت له خمسة عشر سنة تجرد لضبط الملك ونفي العدو عنه فتأهب وسار إلى أبر شهر فطرد من كان صار إليها من الأعراب وقتلهم أخبث قتلة وكذلك فعل بالجزيرة فصار إلى الضيزن الغسانی فحاصره في مدينته التي على شاطئ الفرات مما يلي الرقة فزعموا أن ابنة الضيزن واسمها مليكة وزعموا أن أمها عمه سابور دختنوس ابنة نرسی وان الضيزن كان سبها لما أغار على مدينة طيسفون فأشرفت مليكة على عسكر سابور وهو محاصر لأبيها فرأت سابور فعشقتة فراسلته على أن تدله على عودة أبيها على أن يتزوجها فوعدها سابور ذلك ففعلت فأسكرت بالحصن حرس أحد الأبواب حتى ناموا وأمرت بفتح الباب فدخل سابور وجنوده فأخذ الضيزن قتلته وخلع أكتاف أصحابه وخلاهم وكذا كان يفعل بمن أسر من الأعداء فبذلك سمى ذا الأكتاف ووفى لابنته بما وعدها ثم قتلها بعد ربطها بين فرسين وأجراها فقطعها وقال لها أنت إذ لم تصلحي لأبيك لا تصلحين لي وأمر سابور فبنيت له مدينة الأتبار وسمّاها فيروز سابور وكورها كورة وبني بالسوس مدينة وهي التي إلى جانب الحصن التي تسمى سادانيال الذي كان فيه جسد دانيال عليه السلام

(ملك مانوس على الروم وحروبه مع سابور)

قالوا وكان ملك الروم في ذلك العصر مانوس وكان يدين فيما ذكرنا
قبل أن يملك دين النصرانية فلما ملك أظهر ملة الروم الأولى وأحياها وأمر
بتحريق الأنجيل وهدم البيع وقتل الاساقفة فلما قتل سابور الضيزن الغساني
غضب لذلك فجمع من كان بالشام من غسان وأقبل فيهم ومعه جيوش الروم
حتى ورد العراق ووجه سابور عيوننا ليأتوه بخبرهم فانصرف اليه عيونهم وقد
اختلفوا عليه فخرج ليلا في ثلاثين فارسا ليشرف على عسكر الروم وقدم أمامه
عشرة منهم فأخذتهم الروم فأثروا بهم اليو بيانوس خليفة الملك وابن عمه فسألهم
عن أمرهم وتوعدهم القتل فقام اليه رجل منهم مسرًا عن أصحابه فقال له ان
سابور منك بالقرب فضم إلى خيلاً حتى آتيتك به أسيرا وكانت بين اليو بيانوس
وسابور مودة ووخلة فأرسل الى سابور يُنذره فانصرف راجعا وسار الملك
الرومي إلى باب مدينة طيسفون وخرج اليه سابور في جنوده فهزمه الرومي حتى
بلغوا قنطرة جازر واحتوى الرومي على مدينة طيسفون ولم يقدرُوا على القصر
لحصاته ومن فيه من الحماة عنه وثاب الناس الى سابور فزحف الى جمع الروم
ففتحهم عن المدينة وعسكر ببابها وراسل ملك الروم فينماهم في ذلك اذ أتى
ملك الروم سهم عاثر وهو في مضر به وحواله بطارقه فأصاب مقتله فسقط في أيدي
الروم لمكانهم الذي هم به واشراف عدوهم عليهم فطلبوا الى اليو بيانوس
أن يتملك عليهم فأبى وقال لست أتمالك على قوم مخالفين لي في ديني لاني على
دين النصرانية وأنتم على دين الروم الأول فقال له البطارقة والعطاء فانا نحن

جميعاً على مثل ما أنتم عليه غير أنا كنا نكتم بذلك خوفاً من الملك فتملك عليهم اليويانوس ولبس التاج وبلغ سابور أمرهم فأرسل اليهم أصبحتم اليوم في قبضتي وقدرتي ولا أقتلكم بمكانكم هذا جوعاً وهزلاً فأجمع اليويانوس على اتيان سابور لما كان بينهم من المودة فأبي عليه البطارقة والرؤساء فخالفهم وأتاه فعرف له سابور يده عنده في انذاره اياه تلك الليلة وجعل له اليويانوس نصيبين وحيزها عوضاً مما أفسدت الروم من مملكته وكتب له بذلك كتاباً وبلغ أهل نصيبين ذلك فانتقلوا عنها ضناً بالنصرانية وكراهيةً لتمليك الفرس عليهم فنقل سابور اليها اثني عشر ألف أهل بيت من اصطخر فأسكنهم فيها فعقبهم بها الى اليوم . وانصرفت الروم الى أرضها . فلما تم لسابور اثنتان وسبعون سنة حضره الموت فجعل الامر من بعده لابنه سابور بن سابور

(ملك سابور بن سابور)

فلما تم للملكه خمس سنين خرج يوماً متصيداً فنزل بمكان وضربت قبته فجلس فيها فأقبل قوم من الفتاك ليلا فقطعوا أطناب القبة فسقطت عليه فمات

(ملك بهرام بن سابور)

فملك بعده ابنه بهرام بن سابور وكان على كرمان فلما قتل أبوه قدم فقام بالملك فلما تم للملكه ثلاث عشرة سنة خرج يوماً متصيداً فرمى بنتاً به فأصابته فلما أحس بالموت أوصى الى ابن أخيه يزدجرد بن سابور بن سابور . وكان أصغر سناً منه

(ملك يزجرد بن سابور)

فقام بالملك بعده وهو يزجرد الذي يُلقب بالأثيم وكان غَلَقَاسِيءَ الخُلُقِ لا يكافيءُ على حسن بلاء وكان منّا لا يتجاوز عن زلة وان صغرت ويعاقب على الصغيرة كما يعاقب على الكبيرة ولم يكن أحد يقدر على كلامه لفظاظته وغلظته إلا إن وزراءه كانوا أخيارا مترققين متعاونين فوُلد له بهرام الذي يقال له بهرام جُور فدفعه الى المنذر أبي النعمان ليحضنه فسار المنذر بهرام الى الحيرة وكانت داره واختار له المنذر المراضع وأحسن حضائمه فلما بلغ التأديب بعث اليه أبوه بموَدِّين من الفرس وأحضره المنذر موَدِّين من العرب فأحکم الاديين وكل فيهما ونشأ نشأ محمودا وبرع في الادب والفروسية وخرج عاقلا لييا جميلا بهيّا ومكّنه المنذر من اللهو والقِيان فكان يركب النجائب ويُركب وراءه الصنّاجات يُلهينه ويُطربه وتجرّد لطرده الوحش على تلك الحال فضرب به المثل فتوةً ورخاءً بال

(قتل عمرو بن تبع وملك صهبان اليمين)

قالوا ولما قتل عمرو بن تبع أخاه حسان بن تبع وأشرف قومه تضعضع أمر الحميرية فوثب رجل منهم لم يكن من أهل بيت الملك يقال له صهبان ابن ذى خرب على عمرو بن تبع فقتله واستولى على الملك

(مسير صهبان الى حرب العدنانيين بتهامة)

قال وهو الذي سار الى تهامة لمحاربة ولد معدّ بن عدنان وكان سبب ذلك أن معدّا لما انتشرت تباغت وتظالمت فبعثوا الى صهبان يسألونه أن

يملك عليهم رجلا يأخذ لضعيفهم من قويمهم مخافة التعدي في الحروب فوجه اليهم الحرث بن عمرو الكندي واختاره لهم لان معدا أخواله . أمه امرأة من بني عامر بن صعصعة فسار الحرث اليهم بأهله وولده فلما استقر فيهم ولى ابنه حُجْر بن عمرو وهو أبو امرئ القيس الشاعر على أسد وكنانة وولى ابنه شرحبيل على قيس وتميم وولى ابنه معدى كرب وهو جد الأشعث بن قيس على ربيعة فكشوا كذلك الى أن مات الحرث بن عمرو فأقر صهبان كل واحد منهم في ملكه فلبثوا بذلك مالبثوا ثم ان بني أسد وثبوا على ملكهم حُجْر بن عمرو فقتلوه فلما بلغ ذلك صهبان وجه الى مضر عمرو بن نابل اللخمي والى ربيعة ليبد بن النعمان الغساني وبعث برجل من حمير يسمى أوفى بن عنق الحية وأمره أن يقتل بني أسد أبرح القتل فلما بلغ ذلك أسدا وكنانة استعدوا فلما بلغه ذلك انصرف نحو صهبان واجتمعت قيس وتميم فأخرجوا ملكهم عمرو بن نابل عنهم فلحق بصهبان وبقى معدى كرب جد الأشعث ملكا على ربيعة فلما بلغ صهبان ما فعلت مضر بعالمه آلى ليغزون مضر بنفسه وبلغ ذلك مضر فاجتمع اشرافها فتشاوروا في أمرهم فعملوا ألا طاقة لهم بالملك الا بمطابقة ربيعة اياهم فأوفدوا وفودهم الى ربيعة منهم عوف ابن منقذ التميمي وسويد بن عمرو الاسدي جد عبيد بن الابرص والاحوص ابن جعفر العامري وعدس بن زيد الحنظلي فساروا حتى قدموا على ربيعة وسيدهم يومئذ كليب بن ربيعة التغلبي وهو كليب وائل فأجابتهم ربيعة الى نصرهم وولوا الامر كليبيا فدخل على ملكهم ليبد بن النعمان فقتله ثم

اجتمعوا وساروا فلقبهم الملك بالسَّلَان فاقتلوا ففلت جموع اليمن وفي ذلك يقول الفرزدق لجرير

لولا فوارسُ تغلبَ ابنةِ وائلٍ نزل العدوُّ عليك كلَّ مكانٍ
وانصرف الملك الى أرضه مفلولا فكث حولا ثم تجهز لمعاودة الحرب وسار
فاجتمعت معه وعليها كليب فتوافوا بنخزازی فوجه كليب السِّفاح بن عمرو
أمامه وأمره اذا التقى بالقوم أن يُوقد نارا علامةً جعلها بينه وبينه فسار السِّفاح
ليلا حتى وافى معسكر الملك بنخزازی فأوقد النار فأقبل كليب في الجموع نحو
النار فوافاهم صباحا فاقتلوا قتل الملك صهبان وانفضت جموعه وفي ذلك يقول
عمرو بن كلثوم

ونحن غداةً أوقد في خزازی رَفَدْنَا فوق رَفَدِ الرَّافِدِينَا
فلما قتل صهبان زاد حميرَ قتلَهُ اتضاعا ووهنا

(ملك ربيعة بن نصر اللخمي اليمن)

فجمع ربيعة بن نصر اللخمي جد النعمان بن المنذر قومه ومن أطاعه من
ولد كهلان بن سبأ فاغتصب حمير الملك فاجتمعت له أرض اليمن فملكها
زمانا وهو ربيعة بن نصر بن الحرث بن عمرو بن نلم بن عدى بن مرة بن
زيد بن كهلان بن سبأ بن يعرب بن قحطان فلما استجمع لبيعة بن نصر
أمر اليمن رأى في منامه رؤيا هالته ووجل منها فبعث الى شقّ وسطيح
الكاهنين فأخبرها بما رأى فأخبراه في تأويلها بما يكون من غلبة السودان
على أرض اليمن وبغلبة فارس بعدهم ثم بمخرج النبي صلى الله عليه وسلم فلما

سمع بذلك أوجس في نفسه خيفة فأحب أن يُخرج ولده وخاصة أهله من أرض اليمن

(مسير عمرو اللخمي الى الحيرة)

فوجه ابنه عمرا الى يزدجرد بن سابور ويقال بل كان ذلك في عصر سابور ذي الاكتاف فأنزله الحيرة فيومئذ بنيت الحيرة فضم عمر واهله اخوته وأهل بيته فمن هناك وقع آل نخم الى الحيرة واتصلوا بالا كاسرة فجعلوا لهم على العرب سلطانا .

(ملك جذيمة الحيرة)

فلما مات خلفه من بعده ابنه جَدِيْمَة بن عمرو وفزّوج جذيمة أخته من ابن عمه عَدِيّ بن ربيعة بن نصر فولدت له عمرو بن عدى الذى استطار به الجن وله حديث فلم يزل جذيمة ملكا بالخورتق زمانا حتى دعته نفسه الى تزويج مارية ابنة الزباء الغسانية وكانت ملكة الجزيرة ملكت بعد عمها الضيزن الذى قتله سابور وكان له ولها حديث مشهور فقتلت جذيمة ثم قتلها قصير مولاه

(ملك عمرو بن عدى)

فلما هلك خلفه ابن أخته وابن ابن عمه عمرو بن عدى وهو جد النعمان ابن المنذر بن عمرو بن عدى بن ربيعة . قالوا وكان ذلك في عصر يزدجرد ابن سابور بن بهرام جور . قالوا وفي ذلك العصر توفى عبد مناف بن قُصَيّ وخلفه في سوّده ابنه هاشم بن عبد مناف . قالوا وهلك يزدجرد الاثيم وقد

ملك احدى وعشرين سنة ونصفاً وبهرام جور ابنه غائب بالحيرة عند المنذر بالخورنق فتعاهدت عطاء فارس ألا يملكوا أحداً من ولد يزدجرد لما نالهم من سوء سيرته منهم بسطام أصبهبند السواد الذي تدعى مرتبته هزارفت ويزدجشنس فاذوسفان الزوابي وفيرك الذي تدعى مرتبته مهزان وجودرز كاتب الجند وجشنساذر ييش كاتب الخراج وفناخسر وصاحب صدقات المملكة وغير هؤلاء من أهل الشرف والبيت فاجتمعوا واختاروا رجلاً من عترة أردشير بن بابكان يقال له خسر وفلكوه عليهم وبلغ ذلك بهرام جور وهو عند المنذر فأمر منذر بهرام بالخروج والطلب بتراث أبيه ووجهه معه ابنه النعمان فسار بهرام حتى قدم مدينة طيسفون فنزل قريبا منها في الابنية والفساطيط والقباب فلم يزل النعمان يسفر بينه وبين عطاء فارس وأشرفها الى أن أنابوا وثابوا الى بهرام

(ملك بهرام جور)

وبسط بهرام من آمالهم وشرط لهم المعدلة وحسن السيرة فخلوا بينه وبين الملك وسمعوا وأطاعوا . وحباً بهرام المنذر والنعمان وأكرمهما وكافأه بيده عنده في تربيته ومعاضدته ففوض اليه جميع أرض العرب وصرفه الى مستقره من الحيرة . ولما استتب لبهرام الملك آثر اللهو على ما سواه حتى عتب عليه رعيته وطمع فيه من كان حوله من الملوك فكان أول من شخص صاحب الترك فانه نهض في جموعه من الأتراك حتى أوغل في خراسان فشن فيها الغارات واتيى النبأ الي بهرام فترك ما كان فيه من الاستهتار باللهو وقصد

لعدوه فأظهر انه يريد اذربيجان ليتصيد هناك ويلهو في مسيره اليها فاتخب من أبطال رجاله سبعة آلاف رجل فحملهم على الابل وجنّبوا الخيل واستخلف على ملكه أخاه نرسي ثم سار نحو اذربيجان وأمر كل رجل من أصحابه الذين انتخبهم أن يكون معه باز وكلب فلم يشكّ الناس أن مسيره ذلك هزيمة من عدوه واسلام للملكه فاجتمع العظماء والاشراف فتأمروا بينهم فاتفق رأيهم على توجيه وفد منهم الى خاقان صاحب الترك بأموال يعشون بها اليه ليصدّوه عن استباحة البلاد وبلغ خاقان أن بهرام مضى هاربا وان أهل المملكة مجمعون على الخضوع له فاغتر وأمن هو وجنوده فأقام بمكانه ينتظر الوفد والاموال قالوا وان بهرام أمر بذبج سبعة آلاف ثور وحمل جلودها وساق معه سبعة آلاف مهر حوّلى وجعل يسير الليل ويكن النهار وأخذ على طبرستان وتبطن ضفة البحر حتى خرج الى جرجان ثم سار منها الى نسا ثم منها الى مدينة مرو وكان خاقان معسكرا بها بكشمين حتى اذا صار بهرام منهم على منقلة وخاقان لا يعلم شيئا من علمه أمر بتلك الجلود فنفتحت وألقى فيها الحصى وجفت ثم علقها في أعناق تلك المهارة حتى دنا من عسكر خاقان وكانوا نزولا على طرف المفازة على ستة فراسخ من مدينة مرو فحلّوا عن تلك المهارة ليلا وطردها من أديارها فارتفع لتلك الجلود والحجارة التي فيها وعدو المهارة بها وضربها ايها بأيديها أصوات هائلة أشد من هدة الجبال والصواعق وسمعت الترك تلك الاصوات فراعته ولا يدرون ماهي وجعلت تزداد منهم قربا فأجلوا عن معسكرهم وخرجوا هربا وبهرام في الطلب فتقطرت

دابة خاقان بخاقان وأدركه بهرام فقتله بيده وغنم عسكره وكل ما كان فيه من الاموال وأخذ خاتون امرأة خاقان ومضى بهرام على آثار الترك ليلته ويومه كله يقتل ويأسر حتى انتهى الى أموية ثم عبر نهر بلخ يتبع آثارهم حتى اذا صار بالقرب أذعن له الترك وسألوه أن يبنى لهم حدا يعلم بينه وبينهم لا يجاوزونه فحد لهم مكانا واغلا في أرضهم وأمر بمنارة فبُيت هناك وجعلها حدا ثم انصرف الى دار الملكة ووضع عن الناس خراج تلك السنة وقسم في أهل الضعف والمسكنة شطر ما غنم وقسم الشطر الآخر بين جنده الذين كانوا معه فعم السرور أهل مملكته فلهاوا جذلا وابتهاجا فبلغ أجر اللعاب في اليوم عشرين درهما وصارا كليل ريحان بدرهم . فلما أتى له في الملك ثلاث وعشرون سنة خرج متصيِّدا فرُفعت له عانة من الوحش فدفع فرسه في طلبها فذهبت به فرسه في جُرف مُنفض الى غمر من الماء فارتطم فيه ففرق وبلغ ذلك أمه فجاءت الى ذلك المكان وأمرت بطلبه في ذلك الهوار فاستخرجوا تلالا من الحصي والرمل فلم يدركوه ويقال ان ذلك المكان بموضع من الماء يسمى داي مرج سمي بأمه لان الأم بلسان الفرس تسمى داي وهو مرج معروف وهذا الحديث مشهور في الموضع هو كما وصفوا في الحديث هناك كرواة تفتح في الارض الى ماء لا يدرك له غور وذلك بقرب آجام وماء راكد

(ملك يزدجرد بن بهرام)

فلما هلك بهرام ملكوا ابنه يزدجرد بن بهرام فسار بسيرة أبيه سبع

عشرة سنة وحضره الموت وله ابنان فيروز وهرمزد وكان فيروز أكبر سنًا

(النزاع بين ولدي يزدجرد)

فاستأثر هرمزد بالملك دون أخيه فيروز فهرب فيروز حتى لحق ببلاد الهياطلة وهي تخارستان والصغانيان وكابلستان والارضون التي خلف النهر الاعظم مما يلي أرض بلخ فدخل على ملك تلك الارض فأخبره بظلم أخيه آياه واحتوائه على الملك دونه وهو أصغر سنًا منه وسأله ان يُمدّه بجيش حتى يسترجع الملك فقال لن أجيبك الى ما تسأل حتى تحلف أنك أكبر سنًا منه فحلف فيروز فأمدّه بثلاثين ألف رجل على أن يجعل له حدًا لترمذ فسار فيروز بالجيش واتبعه جلّ أهل المملكة ورأوا انه أحق بالملك من هرمزد لفظاظة هرمزد وشرارته فحاربه حتى استرجع الملك وأقال أخاه عشرته ولم يواخذه بما كان منه

(فيروز بن يزدجرد)

قالوا وكان فيروز ملكا محدودا وكان جلّ قوله وفعله فيما لا يُجدي عليه نفعه وان الناس قحطوا في سلطانه سبع سنين متواليات ففارت الأنهار وفاضت المياه والعيون وقحلت الأرض وجفت الشجر وموتت البهائم والطيور وهلكت الأنعام وقلّ ماء دجلة والفرات وسائر الأنهار فرقع فيروز الخراج عن الرعية وكتب الى عمّاله أن يسوسوا الناس سياسة وتوعدهم انه ان هلك أحد في أرض واحد منهم جوعا يُقيد العامل والوالى به فساس الناس في تلك الأزمنة سياسة لم يعطب فيها أحد من الناس جوعا ونادى في الناس

بالخروج الى فضاء من الأرض فخرج جميع الناس من الرجال والنساء والصبيان
 فاستسقى الله فأغاثهم فأرسل السماء وعادت الأرض الى حسن الحال وجرت
 الأنهار وجاشت العيون ورجع الناس الى أحسن عادة الله عندهم في الرفاهة
 والرفاهة والخصب وبنى فيروز مدينة الريّ وسماها رام فيروز وابتنى باذر بيجان
 مدينة اردبيل وسماها باذر فيروز ثم استعدّ وتأهب لغزو الترك وأخرج معه
 الموبذ وسائر وزرائه وحمل معه ابنته فيروز دخت وحمل معه خزائن وأموالا
 كثيرة وخلف على ملكه رجلا من عظماء وزرائه يُسمى شوخر وتدعى
 مرتبته قارن وسار حتى جاوز المنارة التي كان بهرام بناها حدّا بينه وبين الترك
 وأخربها ووغل في أرضهم وملك الاتراك يومئذ أخشوان خاقان فأرسل ملك
 الترك الى فيروز يعلمه أنه قد تعدّى ويحذّره عاقبة الظلم فلم يحفل فيروز
 بذلك فجعل خاقان يُظهر كراهة للحرب ويدافع الى أن هبّا خندقا عمقه في
 الأرض عشرون ذراعا وعرضه عشرة أذرع وبعدهما بين طرفيه ثم غمّاه
 بأعواد ضعاف وألقى عليه قصبا وأخفاه بالتراب ثم خرج لمحاربة فيروز فواقعه
 ساعة ثم انهزم منه وطلبه فيروز في جنوده فسلك خاقان مسالك قد فهمها بين
 ظهرى ذلك الخندق وجاء فيروز على عمياء فتورّط هو وجنوده في ذلك
 الخندق وعطف عليه أخشوان وطراخته فقتلوهم بالحجارة واحتوى أخشوان
 على معسكر فيروز وكل ما كان فيه من الأموال والحرم وأخذ الموبذ أسيرا
 وأخذ فيروز دخت ابنة فيروز ولحق الفلّ بشوخر فأعلموه بمصاب فيروز
 وجنوده فاستنهض شوخر الناس للطلب بثأر ملكهم فحفّ له جميع الناس من

الجنود وأهل البلاد فسار في جموع كثيرة حتى وغل في بلاد الترك وهاب
 اخشوان ملك الترك الاقدام على شوخر لكثرة جموعه وعدته فأرسل اليه
 يسأله المودعة على أن يردّ عليه الموبذ وفيروز دخت وكل أسير في يده
 وجميع ما أخذ من أموال فيروز وخزائنه وآلاته فأجابه شوخر الى ذلك
 وقبضه وانصرف الى بلاده وأرضه

(بلاس بن فيروز)

فلما بعد فيروز ابنه بلاس بن فيروز فملك أربع سنين ثم مات فجعل
 شوخر الملك من بعده لأخيه قباذ بن فيروز

(ملك قباذ بن فيروز)

قالوا وفي ملك قباذ بن فيروز مات ربيعة بن نصر اللخمي ورجع
 الملك الى حمير

(ملك ذى نواس اليمن)

فوليهم ذو نواس واسمه زُرعة بن زيد بن كعب كهف الظلم ابن زيد
 ابن سهل بن عمرو بن قيس بن جشم بن وائل بن عبد شمس بن الغوث
 ابن جدار بن قطن بن عريب بن الرأش بن حمير بن سبأ بن يشجب بن
 يعرب بن قحطان وانما سمي ذا نواس لندوابة كانت تنوس على رأسه قالوا
 وكان لذي نواس بأرض اليمن نار يعبدها هو وقومه وكان يخرج من تلك
 النار عنق تمتد فتبلغ مقدار ثلاثة فراسخ ثم ترجع الى مكانها ثم ان من كان
 باليمن من اليهود قالوا لذي نواس أيها الملك ان عبادتك هذه النار باطلة وان

أنت دنتَ بديننا أطفأناها باذن الله لتعلم أنك على غرر من دينك فأجابهم الى الدخول في دينهم ان هم أطفئوها فلما خرجت تلك العنق أتوا بالتوراة ففتحوها وجعلوا يقرؤونها والنار تتأخر حتى انتهوا الى البيت الذي هي فيه فما زالوا يتلون التوراة حتى انطفأت قهود ذونواس ودعا أهل اليمن الى الدخول فيها فمن أبى قتله ثم سار الى مدينة نجران ليهود من فيها من النصارى وكان بها قوم على دين المسيح الذي لم يُبدل فدعاهم الى ترك دينهم والدخول في اليهودية فأبوا فأمر بملكهم وكان اسمه عبد الله بن الثامر فضربت هامته بالسيف ثم أدخل في سور المدينة فضمّ عليه وخذّ للباقيين أخاديد فأحرقهم فيها فهم أصحاب الاخدود الذين ذكرهم الله عز اسمه في القرآن

(استيلاء الحبش على اليمن)

وأفلت دوس ذو ثعلبان فسار الى ملك الروم فأعلمه ما صنع ذو نواس بأهل دينه من قتل الاساقفة واحراق الانجيل وهدمه البيع فكتب الى النجاشى ملك الحبشة فبعث بأرياط فى جنود عظيمة وركب البحر حتى خرج على ساحل عدن وسار اليه ذو نواس فخار به فقتل ذو نواس ودخل أرياط صنعاء واسمها ذمارونما صنعاء كلمة حبشية أى وثيق حصين فبتلك سميت صنعاء فلما اطمان أرياط وقتل اليهود وضبط اليمن درت عليه الاموال فجعل يوثر بها من يحب فغضب حاشية الحبشة من ذلك فأتوا أبا يَكْسُومَ أبرهة وكان أحد قادتهم فشكوا اليه الذى يصنع أرياط وديعوه وانصرفت الحبشة فرقتين احدهما مع أرياط والاخرى مع أبرهة واصطفوا للحرب فدعاه أبرهة للبراز

فبرز اليه فدفع أرياط عليه حربته فوقعت في وجه أبرهة فشرمته ولذلك سمي الأشرم وضرب أبرهة أرياط بالسيف على مفرق رأسه فقتله وانحازت الحبشة اليه فلكمهم وأقره النجاشي على سلطان اليمن فكث على ذلك أربعين عاما وبني بصنعاء بيعة لم ير الناس مثلها وآذن في جميع أرض اليمن أن تحجها فاستفظمت العرب ذلك فدخل رجل من أهل تهامة ليلا فأحدث فيها فلما أصبح القوم نظروا الى السوءة السوءاء في الكنيسة فقال أبرهة من تظنونه فعل هذا قالوا لم يفعله الا بعض من غضب للبيت الذي بمكة لما أمرت بحج هذه البيعة فغضب أبرهة عند ذلك غضبا شديدا وتجهز للمسير الى مكة ليهدم الكعبة فأرسل الى النجاشي فبعث اليه بفيل كالجبل الراسي يقال له محمود

(مسير الحبشة لهدم الكعبة)

فسار الى مكة فكان من أمره ما قد قصه الله في سورة الفيل . قالوا ولما أهلك الله ابرهة خلفه في ملكه بأرض اليمن ابنه يكسوم بن ابرهة فكان شرا من أبيه وأخبث سيرة قلبت على اليمن تسع عشرة سنة ثم مات فلاك من بعده أخوه مسروق وكان شرا من أخيه وأخبث سيرة

(غابة سيف على اليمن)

فلما طال ذلك على أهل اليمن خرج سيف بن ذى يزن الحميرى من ولد ذى نواس حتى أتى قيصر وهو بانطاكية فشكى اليه ما هم فيه من السودان وسأله أن ينصرهم وينفيهم عن أرضهم ويكرن ملك اليمن له فقال له قيصر أولئك هم على ديني وأنتم عبدة أوثان فلم أكن لانصرمكم عليهم فلما يئس منه

توجه الى كسرى فقدم الحيرة على النعمان بن المنذر فشكى اليه أمره فقال له النعمان ما كان سبب اخراج جدتنا ربيعة بن نصر ايانا عن أرض اليمن واسكاننا بهذا المكان الا لهذا من الشأن فاقم فان لي وفادة في كل عام الى الملك كسرى بن قباد وقد حان ذلك فاذا خرجت أخرجتك معي واستأذنت لك وتشفت لك اليه فيما قصدت له ففعل واستأذن وتشفع فوجه كسرى بمحشر من كان في السجون وأمر عليهم رجلا منهم يقال له وهرز بن الكاجار وكان شيخا كبيرا قد أناف على المائة وكان من فرسان العجم وابطالها ومن أهل البيوتات والشرف وكان أخاف السبيل فحبسه كسرى فسار وهرز بأصحابه الى الأبله فركب منها البحر ومعه سيف بن ذى يزن حتى خرجوا بساحل عدن وبلغ الخبر مسروقا فسار اليهم فلما التقوا وتواقفوا للحرب أسرع له وهرز بنشابة فرماه فلم يخطى بين عينيه وخرجت من قفاه وخر ميتا وانفض جيشه ودخل وهرز صنعاء وضبط اليمن وكسب الى كسرى بالفتح فكتب اليه كسرى يأمره بقتل كل أسود باليمن وبتمليك سيف عليها وبالاقبال اليه ففعل وان بقايا من السودان قد كان سيف استبقاهم وضمهم الى نفسه يجمزون بين يديه اذا ركب شدوا على سيف يوما وهم بين يديه في موكة فضربوه بحراهم حتى قتلوه

(ملك فارس اليمن)

فرد كسرى وهرز الى أرض اليمن وأمره أن لا يدع بها أسود ولا من ضربت فيه السودان الا قتله فأقام بها خمسة أحوال فلما أدركه الموت دعا

بقوسه ونشابه ثم قال اسندوني ثم تناول قوسه فرمى وقال أنظروا حيث وقعت
نشأتي فابنوا لي هناك ناوسا واجعلوني فيه فوقعت نشأته من وراء الكنيسة
وسمى ذلك المكان الى اليوم مقبرة وهرز ثم وجه كسرى الى أرض اليمن
بادان فلم يزل ملكا عليها الى أن قام الاسلام . قالوا وكان قبادة عندما أفضى
اليه الملك حدث السن من أبناء خمس عشرة سنة غير أنه كان حسن المعرفة
ذكي الفؤاد رحيب الذراع بعيد الغور فولى شوخر أمر المملكة فاستخف
الناس بقباده وتهاونوا به لاستيلاء شوخر على الأمر دونه فأغضى قباده على
ذلك خمس سنين من ملكه ثم أنف من ذلك فكتب الى سابور الرازي
من ولد مهران الا كبير وكان عامله على بابل وخطرنية أن يقدم عليه فيمن
معه من الجنود فلما قدم أفشى اليه ما في نفسه وأمره بقتل شوخر ففدا سابور
على قباده فوجد شوخر عنده جالسا فمشى نحو قباده مجاوزا لشوخر فلم يأت به له
شوخر حتى أوهقه سابور فوق الوهق في عنقه ثم اجتراه حتى أخرجه من
المجلس فأثقله حديدا واستودعه السجن ثم أمر به قباده قتل

(المذهب الزدي)

فلما مضى لملك قباده عشر سنين أتاه رجل من أهل اصطخر يقال له
مزدك فدعاه الى دين المزدكية فقال قباده اليها فغضبت الفرس من ذلك غضبا
شديدا وهموا بقتل قباده فاعتذر اليهم فلم يقبلوا عذره وخلعوه من الملك وحبسوه
في محبسى ووكلوا به وملكوا عليهم جاماسف بن فيروز أخا قباده وان أخت
قباده اندست لقباده حتى أخرجه بحيلة فكث أيام استخفيا الى أن أمن الطلب
(• - الاخبار)

ثم خرج في خمس نفر من ثقاته فيهم زرمهر بن شوخر نحو الهياطة يستنصر ملكها فأخذ طريق الأهواز فاتهي إلى أرمشير ثم صار إلى قرية في حدّ الأهواز وأصبهان فنزلها متنكرا وكان نزوله عند دهقانها فنظر قباد إلى بنت لصاحب منزله ذات جمال ف وقعت بقلبه فقال لزرمهر بن شوخراني قد هويت هذه الجارية و وقعت بقلبي فانطلق إلى أبيها فاخطبها علىّ ففعل فأرسل قباد إلى الجارية بخاتمه وجعل ذلك مهرها فهبتت وأدخلت عليه فحلبا بها قباد وسرّ بها سرورا شديدا لما ألفاها ذات عقل وجمال وأدب وهيئة فأقام عندها ثلاثا ثم أمرها بحفظ نفسها وخرج سائرا حتى ورد على صاحب الهياطة فشكى إليه صنيع رعيته به وسأله أن يمدّه بجيش ليسترجع ملكه فأجابه إلى ذلك وشرط عليهم أن يسلم له حيز الصغانيان ووجه معه بثلاثين ألف رجل فأقبل بهم يريد أخاه فأخذ على طريقه الذي شخص فيه بديثا حتى نزل القرية التي تزوج فيها بتلك المرأة فنزل على أبيها وسأله عنها فأخبره أنها ولدت غلاما فأمر بادخالها عليه مع ابنها فدخلت ومعها الغلام فاتبهج به ورآه كأجل ما يكون من الغلمان فسماه كسرى وهو كسرى أنوشروان الذي تولى الملك من بعده فقال لزرمهر اخرج فسألني عن هذا الرجل أبي الجارية هل له قديم شرف فسأل عنه فأخبر أنهم من ولد فريدون الملك ففرح بذلك قباد وأمر بالجارية وابنها فحملا معه ولما انتهى إلى مدينة طيسفون تلاومت الصجم فيما بينها وقالوا إن قباد تنصلّ إلينا من شأن مزدك ورجع عما كنا اتهمناه فلم تقبل ذلك منه وظلمناه حقه وأسأنا إليه فخرجوا إليه جميعا وفيهم جاماسف

أخوه الذي ملكوه فاعتذروا إليه فقبل ذلك منهم وصفح عن أخيه جاماسف
وعنهم وأقبل فدخل قصر المملكة ووصل الجيش الذي أقبل بهم وأجازهم
وأحسن إليهم وردهم إلى ملكهم وأمر بالجارية فأنزلت في أفضل مساكنه
ثم إن قباد تجهز وسار في جنوده غازيا بلاد الروم فافتتح مدينة آمد وميتافارقين
وسبى أهلها وأمر فبنيت لهم مدينة فيما بين فارس والأهواز فأسكنهم فيها وسماها
إبرقباد وهي استان الأعلى وجعل لها أربعة طساسيج . طسوج الانبار وكان
منها هيت وعانات فضمها يزيد بن معاوية حين ملك إلى الجزيرة . وطسوج
بادورياتا . وطسوج مسكن . وكور كورة بهقباد الأوسط وبهقباد الأسفل وضم
إليها ثمانية طساسيج لكل كورة أربعة طساسيج وهي الاستانات وشق كورة
أصبهان كورتين شق حجي وشق التيمرة وكان لقباد عدة من الأولاد لم يكن
فيهم أثر عنده من كسرى لاجتماع الشرف فيه غير أنه كانت بهظنة أي سيئ
الظن فلم يكن قباة يحمده عليها فقال له ذات يوم يا بني قد كلمت فيك الخصال
التي هي جماع أمور الملك غير أن بك ظنة وإن الظنة في غير موضعها داعية
الأوزار ومحبطة للأعمال فاعتذر كسرى إلى أبيه مما وقع في قلبه من ذلك
واستصلح نفسه عنده

(ملك كسرى أنوشروان)

فلما أتى الملك قباد ثلاث وأربعون سنة حضره الموت ففوض الأمر إلى
ابنه كسرى وهو أنوشروان فملك بعد أبيه وأمر بطلب مزدك بن مازيار الذي
زين للناس ركوب المحارم فخرّض بذلك السفلى على ارتكاب السيئات وسهل

للعصبة النصب وللظلمة الظلم فطلب حتى وُجد فأمر بقتله وصلبه وقتل من دخل في ملته ثم قسم كسرى أنوشروان المملكة أربعة أرباع ولى كل ربع رجلا من ثقافته فأحد الأرباع خراسان وسجستان وكرمان والثاني أصبهان وقمّ والجبل وأذربيجان وأرمينية والثالث فارس والاهواز الى البحرين والرابع العراق الى حدّ مملكة الروم وبلغ بكل رجل من هؤلاء الأربعة غاية الشرف والكرامة ووجه الجيوش الى بلاد الهياطلة وافتتح تخارستان وزابُلستان وكابُلستان والصغانيان وان ملك الترك سنجبُو خاقان جمع اليه أهل المملكة واستعدّ وسار نحو أرض خراسان حتى غلب على الشاش وفرغانة وسمرقند وكشّ ونسّف وانتهى الى بخارى وبلغ ذلك كسرى فعقد لابنه هرمز الذي ملك من بعده على جيش كثيف ووجهه لمحاربة خاقان التركي فسار حتى اذا قرب منه خلى ما كان غلب عليه ولحق بيلاده فكتب كسرى الى ابنه هرمز بالانصراف

(حرب فارس والروم في عهد كسرى)

قالوا وان خالد بن جبلة الغساني غزا النعمان بن المنذر وهو المنذر الأخير وكانا مندرين ونعمانين فالمنذر الاول هو الذي قام بأمر بهرام جور والمنذر الثاني الذي كان في زمان كسرى أنوشروان وكانوا عمال كسرى على تخوم أرض العرب قتل من أصحاب المنذر مقتلة عظيمة واستاق ابل المنذر وخيله فكتب المنذر الى كسرى أنوشروان يُخبره بما ارتكب منه خالد بن جبلة فكتب كسرى الى قيصر أن يأمر خالدا باقادة المنذر وما قتل من أصحابه ورد ما أخذ من أمواله فلم يحفل قيصر بكتابه فتجهز كسرى لمحاربه فسار حتى

وغل في بلاد الجزيرة وكانت اذ ذاك في يد الروم فاحتوى على مدينة دارا
ومدينة الرها ومدينة قنشرين ومدينة منبج ومدينة حلب حتى انتهى الى
انطاكية فأخذها وكانت أعظم مدينة بالشام والجزيرة وسبى أهلها أهل
انطاكية وحملهم الى العراق وأمر فبنت لهم مدينة الى جانب طيسفون على
بناء مدينة انطاكية بأزقتها وشوارعها ودورها لا يُغادر منها شيئا وسماها
زبرخسرو وهي المدينة التي الى جانب المدائن تسمى الرومية ثم سُرحوا
فيها فانطلق كل انسان منها الى مثل داره بمدينة انطاكية وولى القيام
بأمرهم رجلا من نصارى الاهواز يقال له يزيدقنا وان قيصر كتب الى
كسرى يسأله الصلح ورد ما احتوى عليه من هذه المدن على ان يؤدى
اليه ضريبة موظفة عليه في كل عام وكره كسرى البغي فأجابه الى ما بذل
ووكل بقبضه وتوجيهه اليه في كل عام شروين الدسنباي فأقام مع ملك
الروم هناك ومعه خريين مملوكه المشهور الخبير وكان نجدا فارسا بطلا . ولما
قتل كسرى منصرفا من أرض الشام أصابه مرض شديد فمال الى مدينة
حمص فأقام بها في جنوده الى أن تماثل فكان قيصر يحمل اليه كفاية عسكره
الى ان شخص . قالوا وكان لكسرى أنوشروان ابن يسمى أنوش زاذ
كانت أمه نصرانية ذات جمال وكان كسرى معجبا بها وأرادها على ترك
النصرانية والدخول في المجوسية فأبت فورث ذلك منها ابنها أنوش زاذ
وخالف أباه في الديانة فغضب عليه وأمر بحبسه في مدينة جنديسابور فلما غزا
كسرى بلاد الشام وبلغ أنوش زاذ مرضه ومقامه بحمص استغوى أهل

الحبس وبث رسله في نصارى جنديسابور وسائر كور الاهواز وكسر السجن
 وخرج واجتمع اليه اولئك النصارى فطرد عمال ابيه عن كور الاهواز
 واحتوى على الاموال وأشاع بموت ابيه وتهيباً للمسير نحو العراق وكتب
 خليفته بمدينة طيسفون يعلمه خبر ابنه وما خرج اليه فكتب اليه كسرى
 وجه اليه الجنود واكتس في حربه واحتل لأخذه فان يأت القضاء عليه فيقتل
 فأهون دم وأضيع نفس واللييب يعلم ان الدنيا لا يخلص صفوها ولا يدوم
 عفوها ولو كان شئ يسلم من شائبة أذن لكان الغيث الذي يحيى الارض
 الميتة ولكان النهار الذي يأتي الناس رقودا فيبعثهم وعمياً فيضيء لهم فكم
 مع ذلك من متأذ بالغيث ومتداع عليه من البنيان وكم في سيوله وبروقه من
 هالك وكم في هواجر النهار من ضرر وفساد فاستأصل الثؤلؤل الذي نجم
 بحدك ولا يهولئك كثرة القوم فليست لهم شوكة تبقى وكيف تبقى النصارى
 وفي دينهم ان الرجل منهم ان لطيم خدّه الايسر أمكن من الأيمن فان
 استسلم أنوش زاذ وأصحابه فرّد من كان منهم في المحابس الى محابسهم ولا
 تزدهم على ما كانوا فيه من ضيق وتقص المطعم والملبس ومن كان منهم من
 الاساورة فاضرب عنقه ولا يكن منك عليهم رافة ومن كان منهم من سفّل
 الناس وأوغادهم فخلّ سبيلهم ولا تعرض لهم وقد فهمت ما ذكرت مما كان
 منك في نكال القوم الذين أظهروا شتم أنوش زاذ وذكروا أمه فاعلم ان
 أولئك ذوو أحقاد كامنة وعداوة باطنة فجعلوا شتم أنوش زاذ ذريعةً لثمتنا
 ومراقبةً الى ذكرنا وقد وقعت في تأديبك اياهم فلا ترخص لاحد في مثل

مقاتلهم والسلام . ثم ان كسرى عوفى من مرضه فانصرف فى جنوده الى دار ملكه وقد أخذ ابنه أنوش زاذ أسيرا وانتهى فيه الى ما أمر به .

(الخراج فى عهد كسرى)

قالوا وكانت ملوك الاعاجم يضعون على غلات الارضين شيئا معروفا من المقاسمات النصف والثلث والرابع والخمس الى العشر على قدر قرب الضياع من المدن وعلى حسب الزكاء والربيع فهم قباذ باسقاط ذلك ووضع الخراج فمات قبل ان يستتم المساحة فأمر كسرى أنوشروان باستتمامها فلما فرغ منها أمر الكتاب ففصلوها ووضعوا عليها الوضائع ووظف الجزية على أربع طبقات وأسقطها عن أهل البيوتات والمرازبة والاساورة والكتاب ومن كان فى خدمة الملك ولم يلزم أحدا لم يأت له عشرون سنة أوجاز الخسنيين وكتب تلك الوضائع فى ثلاث نسخ نسخة خلدها ديوانه ونسخة بعث بها الى ديوان الخراج ونسخة دفعت الى القضاة فى الكور ليمنعوا العمال من اعتداء مافى الدستور الذى عندهم وأمر أن يُجنى الخراج فى ثلاثة أنجم وسى الدار التى يجبى فيها ذلك سراى سمره وتفسيره دار الثلاثة الأنجم وهى التى تعرف بالشمرج اليوم وقد قيل فى تفسير ذلك غير هذا أى انماهى دار الحساب والحساب شمره وهذا كلام معروف فى لغة فارس الى اليوم يسمون الخراج الشمره بالشين على معنى الحساب ورفع خراج الرؤوس عن الفقراء والزمنى وكذلك خراج الغلات ورفعها عما نالته الآفة على قدر ما أصاب منها ووكل بكل ذلك قوما ثقات ذوى عدالة يُنفذونه ويحملون الناس منه على النصفه

ولم يكن في ملوك العجم ملك كان أجمعَ لفنون الادب والحكم ولا أطلبَ للعلم منه وكان يقرب أهل الآداب والحكمة ويعرف لهم فضلهم وكان أكبر علماء عصره بزُّرْجَمِر بن البختكان وكان من حكماء العجم وعقلائهم وكان كسرى يفضلُه على وزرائه وعلماء دهره وكان كسرى ولى رجلا من الكتاب نبيها معروفا بالعقل والكفاية يقال له بابك بن النهر وان ديوان الجند فقال لكسرى أيها الملك انك قد قلدتني أمرا من صلاحه ان تحتل لى بعض الغلظة في الأمور عرضَ الجنود في كل أربعة أشهر وأخذ كل طبقة بكال آلتها ومحاسبة المؤدبين على ما يأخذون على تأديب الرجال بالفروسية والرمي والنظر في مبالغتهم في ذلك وتقصيرهم فان ذلك ذريعة الى اجراء السياسة مجاريها فقال كسرى ما المجاب بما قال بأخطى من المجيب لاشتراكما في فضله وانفراد المجيب بعدُ بالراحة فحقق مقاتلك وأمر فبنيت له في موضع العرض مسطبة وُسط له عليها الفرش الفاخرة ثم جلس ونادى مناديه لا يقين أحد من المقاتلة الا حضر للعرض فاجتمعوا ولم ير كسرى فيهم فأمرهم فانصرفوا وفضل ذلك في اليوم الثاني ولم ير كسرى فانصرفوا فنادى في اليوم الثالث أيها الناس لا يتخلفن من المقاتلة أحد ولا من أكرم بالتاج والسرير فانه عرض لارخصة فيه ولا محاباة وبلغ كسرى ذلك فتسلح سلاحه ثم ركب فاعترض على بابك وكان الذي يؤخذ به الفارس تجفافا ودرعا وجوشنا وبيضة ومغفرا وساعدين وساقين ورمحا وترسا وجرزا يلزمه منطقتة وطبرزينا وعمودا وجعبة فيها قوسان بوترها وثلاثين نشابة ووترين ملفوفين يعلقهما الفارس

في مغفره ظهرياً فاعترض كسرى على بابك بسلاح تامّ خلا الوترين
 اللذين يُستظهر بهما فلم يُجز بابك على اسمه فذكر كسرى الوترين فعلقهما
 في مغفره واعترض على بابك فأجاز على اسمه وقال لسيد الكُماة أربعة آلاف
 درهم ودرهم وكان أكثر من له من الرزق أربعة آلاف درهم ففضل
 كسرى بدرهم فلما قام بابك من مجلسه دخل على كسرى فقال أيها الملك
 لا تلمني على ما كان من اغلاظي فما أردتُ به الا الدُّربة للمعدلة والانصاف
 وحسن المحاباة قال كسرى ما غلظ علينا أحد فيما يريد به اقامة أودنا أوصلاح
 ملكنا الا احتملنا له غلظته كاحتمال الرجل شرب الدواء الكريه لما يرجو
 من منفعة . قالوا وكانت كسكر كورة صغيرة فزاد كسرى أنوشروان فيها
 من كورة بهرسيرو وكورة هرزمز دخره وكورة ميسان فوسعها بذلك وجعلها
 طسوجين طسوج جنديسابور وطسوج الزندوزد وكور بجوخي كورة
 خسروماه وجعل لها ستة طساسيج . طسوج طيسفون وهي المدائن وطيسفون
 قرية على دجلة أسفل من قباب حميد بثلاثة فراسخ يقال لها بالنبطية طيسفونج .
 وطسوج جازر . وطسوج كلواذي . وطسوج نهر بوق . وطسوج جلولا .
 وطسوج نهر الملك

(مقارنة التاريخ النبوي بتاريخ العجم)

وولد رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر ملك أنوشروان فأقام بمكة الى
 أن بعث بعد أربعين سنة منها سبع سنين بقيت من ملك أنوشروان وتسع عشرة
 سنة ملكها هرمز بن كسرى أنوشروان وبعث وقد مضى من ملك كسرى

ابرويزست عشرة سنة فأقام بمكة في نبوته صلى الله عليه وسلم وعلى عترته ثلاث عشرة سنة وهاجر الى المدينة وقدمضى من ملك ابرويز تسع وعشرون سنة فأقام بالمدينة عشر سنين وتوفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما بعد موت كسرى ابرويز فكان عمره صلى الله عليه وسلم ثلاثا وستين سنة وزعموا أن بنات آوى ظهرت بالعراق في آخر ملك أنوشروان وكانت سقطت اليها من بلاد الاتراك واستفزع الناس ذلك وتعجبوا منه وبلغ ذلك كسرى فقال للموبذ قد كثر تعجبي من هذه السباع التي قد غزت أرضنا فقال الموبذ بلغنى أيها الملك فيما يؤثر من أخبار الاولين ان كل أرض يغلب جورها عدلها تغزوها السباع فلما سمع ذلك ارتاب بسيرة عماله فوجه ثلاثة عشر رجلا من أمنائه الذين لا يكتمونونه شيئا الى آفاق مملكته متكرين لا يعرفون فأنصرفوا فأخبروه عن سوء سيرة عماله ما غمه فأرسل الى تسعين رجلا منهم ذكروا بسوء السيرة فضرب أعناقهم فضبط عماله أنفسهم ولزموا عدل السيرة

(ملك هرمزد)

وكان لكسرى انوشروان عدة بنين وكانوا جميعا أولاد سؤقة واماء الأ ابنه هرمزد بن كسرى الذى ملك بعده فان أمه كانت ابنة خاقان الترك وأم أمه خاتون الملكة فعزم أبوه على تملكه من بعده فوضع عليه عيوننا يأتونه بأخباره فكان يأتيه عنه ما يحبه فكتب له عهدا واستودعه رئيس نسا كهم في دينهم فلما تم للملك ثمان وأربعون سنة مات فلما مات أنوشروان

ملك ابنه هرمزد بن كسرى فقال يوم ملك الحليم عماد الملك والعقل عماد الدين والرفق ملاك الامر . والفطنة ملاك الفكرة . أيها الناس ان الله خصنا بالملك وعمكم بالعبودية وكرم ملكتنا فأعتقكم بها وأعزنا وأعزكم بمزنا وقلدنا الحكومة فيكم وألزمكم الاتقياد لامرنا وقد أصبحتم فرقتين احداها أهل قوة والاخرى أهل ضعة فلا يستأكلن منكم قوى ضعيفا ولا يغشّن ضعيف قويا ولا تتوقن نفس أحد من الغلبة الى ضيم أحد من أهل الضعة فان في ذلك وهيا مللكننا ولا يرومن أهل من أهل الضعة الاخذ بما أخذ الغلبة فان في ذلك انتثار ما نحب نظامه وزوال ما نحاول قوامه وفوت ما نحاول دركه واعلموا أيها الناس ان من سوسنا العطف على الاقوياء من الغلبة ورفع مراتبهم والرحمة على الضعفاء والذب عنهم وحسم الاقوياء عن ظلمهم والتعدي عليهم واعلموا أيها الناس أن حاجتكم الينا في نفس حاجتنا اليكم وحاجتنا اليكم هي مسدّ حاجتكم الينا وان الثقل مما أنتم منزلوه بنا من أموركم عندنا خفيف والخفيف مما نحن مجشموكم ثقيل لعجزكم عما نحن مضطعون به واضطلاعنا لما أنتم عنه عاجزون وانما تحمدون حسن ملكتنا اياكم وفضل سيرتنا فيكم اذا حسمت أنفسكم عما نهيناكم عنه ولزمت ما أمرناكم به . أيها الناس ميلوا بين الأمور المتشابهات . ولا تسموا النسك رياء . ولا الرياء مراقبة . ولا الشرارة شجاعة . ولا الظلم حزما . ولا رحمة الله تقمة . ولا مخوف الفوت هويّنا . ولا البرّ بالقرّبي ملقا . ولا العقوق موجدة . ولا الشك استبراء . ولا الانصاف ضعفا . ولا الكرم معجزة . ولا التبرّم عادة . ولا الاخذ

بالفضل ذلا . ولا الأدب عقلا . ولا العماية غفلة . ولا الغدر ضرورة .
 ولا النزاهة تضييعا . ولا التصنع عفافا . ولا الورع رهبة . ولا الحذر جُبنا .
 ولا الشره اجتهادا . ولا الجناية غما . ولا القصد تقتيرا . ولا البخل اقتصادا .
 ولا السرف توسعا . ولا السخاء سرفا . ولا الصلف بُدَهمة . ولا النبل
 صلفا . ولا البذخ تجلدا . ولا الحرمان استحقاقا . ولا رفع الأندال صنيعا .
 ولا المجون ظرفا . ولا التخلف ثبوتا . ولا الثبوت بلادة . ولا النيمة وسيلة .
 ولا السعاية دركا . ولا اللين ضعفا . ولا الفحش اتصافا . ولا الهذر بلاغة .
 ولا البلاغة تقيعا . ولا الميل في هوى الأشرار سُكرا . ولا المداهنة مؤاناة .
 ولا الاعانة على الظلم حفاظا . ولا الزهو مرؤوءة . ولا اللهو فُكاهة . ولا
 الحيف استقصاء . ولا الاستطالة عزّا . ولا حسن الظنّ تفریطا . ولا إبطاء
 العُشوة نصيحة . ولا الغشّ كَيْسا . ولا الرياء تعطفًا . ولا التواني تُوءة .
 ولا الحياء مهابة . ولا السفه صرامة . ولا الدغل استقامة . ولا البغي استعادة .
 ولا الحسد شفاء . ولا العُجب كمالا . ولا الفتك حمية . ولا الحقد مكرمة .
 ولا الضيق احتياطا . ولا التعسف انكاشا . ولا التزق تيقظا . ولا الأدب
 حرقة . ولا المعاتبه مفاودة . ولا بُدُ القدر سُموًا . ولا مجارى التقادير
 أسبابَ الذنوب . ولا مالا يكون كائنا . ولا كائنا ما لا يكون . اجتنبوا
 المرذولات من هذه الأمور المتشابهات وثابروا على ماتحظون به عندنا فان
 وقوفكم عند أمرنا منجاة لكم من سخطنا وتكبكم معصيتنا سلامة لكم
 من عقابنا فأما العدل الذى نحن عليه مقتصرون وبه نصلح وتصلحون فأنتم

فيه عندنا مُستوون ستعرفون ذلك اذا قمنا أهل القوّة عن أهل الضعف وتولينا بأنفسنا أمر المضطهدين الملهوفين وأخضعنا أهل الضعة لأهل العليّ بانزالنا اياهم منازلهم ورددنا من رام من أهل الضعة مرتبة لا يستوجبها الا المستحقون منهم الجباء والشرفَ لنجدة توجد عنده أو بلاء حسن يظهر منه . واعلموا أيها الناس أنا فارقون بين سَوَطنا وسيفنا ومستعملوهما بتثبت وحسن روية فمن غمط نعمتنا وخالف أمرنا وحاول ما نهيناه عنه فانا لانكاد نصلح رعايانا ونضبط أمورنا الا بتنكيل من خالف أمرنا وتعدى سيرتنا وسعى في فساد سلطاننا ولا يطمئن أحد في رُخصة منا ولا يرجون هوادهً عندنا فانا غير مداهنين في حق الله الذي قلّنا فوطنوا أنفسكم على احدي خلتين ما استقامةً بما تصلحون واما مخافةً على ماتلفون فان الصلاح حُجَّتَانِ ما معتدان لكم عندنا في تدبير ملكنا وضبطنا سلطاننا فلا تستصغروا وعيد . وتهتدنا ولا تحسبوا ان فعلنا يقصر عن قولنا وانما أحيينا ان نعلمكم رأينا في اجتناب الرخص والمحابة وحرصنا على الاعتذار قبل الايقاع والاخذ بقصد السيرة والعدل في الرعية واختيار طاعتكم التي بهاتكون ألفتكم واستقامتكم فتقوا بما بدأنا به من وعد وخافوا ما أظهرنا من وعيد ونحن نسأل الله أن يعصمكم من استدراج الشيطان وضلاله وان يسدّكم لما يقرب من طاعته وبلوغ مرضاته والسلام عليكم . فلما سمع الناس ذلك تباشر به الضعفاء وأهل الضعة وقت ذلك في أعضاء العلية وساءهم فتسكبوا ما كانوا فيه من الاستطالة على الضعفاء والقهر لأهل الضعة . وكان هرمزد ملكا متحريرا لحسن السيرة مثابرا على

استصلاح الرعية رحيا بالضعفاء شديدا على الأقوياء وبلغ من عدله وتحرّيه الحقّ انه كان يسير في كل عام الى أرض الماهين فيصيف بها وكان يأمر عند مسيره اليها مناديه فينادي في عسكره أن يتحاموا الحروب ويتحاموا الاضرار بالدهاقين ويوكل بتعهد ذلك ومعاينة من تعدّى أمره فيه رجلا من ثقاته . وكان ابنه كسرى الذي ملك من بعده ويسمى أبرويز معه في مسيره فعار ذات يوم مركب من مرا كبه فوقع في زرع على طريقه فرقع فيه وأفسد فأخذ صاحب الزرع ذلك المركب فدفعه الى الموكل بذلك الامر فلم يمكنه معاينة كسرى فرقى أمره الى أبيه فأمر أن يُجذع أذنا الفرس ويُحذف ذنبه ويغرّم ابنه مقدار مائة ضعف مما أفسد الفرس من ذلك الزرع فخرج الموكل بذلك من عند الملك ليُنفذ أمر الملك فوجه كسرى رهطاً من المرازبة والاشراف الى الموكل بذلك ليسألوه التغييب عن ذلك ويدفع الف ضعف مما أفسد مركبه لما في جذع اذن الفرس وتبتير ذنبه من الطيرة فلم يجبهم الموكل الى ذلك وأمر بالركب فجذعت أذناه وُبتر ذنبه وغرّم كسرى ما أصاب صاحب الزرع كنجوماً كان يغرّم سائر الناس فلم يكن للملك هرمزد بن كسرى همة ولا نهمة الا استصلاح الضعفاء وانصافهم من الأقوياء فاستوى في ملكه القوى والضعيف . وكان هرمزد منصوراً مظهرًا لا يروم تناول شيء الا ناله لم يُهزَم له جيش قط وكان أكثر دهره غائبا عن المدائن اما بالسواد متشتتاً واما بالماء متصيّفاً فلما كانت سنة اخدي عشرة من ملكه حذق به الأعداء من كل وجه فاكتنفوه اكتناف الوتر سيقى القوس اما

من ناحية المشرق فان شاهانشاه الترك أقبل حتى صار الى هراة وطرد عمال هرمزد وأما من قبل المغرب فان ملك الروم أقبل حتى شارف نصيبين ليسترد آمد وميا فارقين ودارا ونصيبين . وأما من قبل أرمينية فان ملك الخزر أقبل حتى وغل في أذربيجان فبث الغارات فيها فلما انتهى ذلك الى هرمزد بدأ بقيصر فردّ عليه المدن التي كان أبوه اغتصبه ايّاها وسأله الصلح والموادعة فأجابه قيصر الى ذلك فانصرف ثم كتب الى عماله بأرمينية وأذربيجان فاجتمعوا وصمدوا صمدًا صاحب الخزر حتى نفوه عن أرضه . فلما فرغ من ذلك كله صرف همه الى صاحب الترك وكان أشدّ الاعداء عليه فكتب الى بهرام بن بهرام جُشنس عامله على ثغر أذربيجان وأرمينية وهو الملقب ببهرام شوبين يأمره بالقدوم عليه فما لبث أن قدم فأذن له فدخل عليه فرجع مجلسه وأظهر كرامته وخلا به وأخبره بالأمر الذي أراد له من التوجه الى شاهانشاه الترك فسارع بهرام الى طاعته واتباع أمره فأمر هرمزد ان يُسلط بهرام على بيوت الأموال والسلاح وأن يسلم اليه ديوان الجند ليختار من أحبّ على عينه فأحضر بهرام الديوان وجمع اليه المرازبة والاشراف فانتخب اثني عشر الف رجل من الفرسان ليس فيهم الا من أناف الاربعين وبلغ ذلك الملك فقال له لم لم تنتخب الا هذا المقدار وانما تريد أن تسير بهم الى ثلثمائة ألف رجل فقال بهرام ألم تعلم أيها الملك أن قابوس حين أسر فخبس في حصن ماسفري انما سار اليه رستم في اثني عشر الفا فاستنقذه من أيدي مائتي ألف وان اسفندياد انما سار الى أرجاسف ليطلب منه الوتر الذي كان له عنده

في اثني عشر الفا . وان كيوخسرو انما أرسل جودر زليطلب بدم أبيه ساوش
 في اثني عشر الفا فظهر على ثلثمائة الف فأبي جيش لايفل باثني عشر الفا لايفل
 بشيء أبدا . فلما فصل بهرام بالجنود من المدائن ودّعه الملك وقل له اياك
 والبغى فان البغى مصرعه بصاحبه وعليك بالوفاء فان فيه نجاة لمحاوله واياك
 أن تسير الاعلى تعبىة الحرب فاذا نزلت فاحرس عسكرك بنفسك وامنع جنودك
 من العيث والفساد واياك أن تعزم حتى تُروى ولا تُروى حتى تستشير أهل
 النصح والامانة . ثم انصرف الملك ومضى بهرام فأخذ على طريق الاهواز
 وبلغ ملك الترك قدوم الجيش لمحاربه وقد كان الملك هرمزد وجهه الى ملك
 الترك رجلا من مرزبته يسمى هرمزجرايزين وكان من أدهى العجم وأشدّهم
 خلابة وكيدا وأمره أن يعلمه انه رسول الملك أرسله لمصالحته واعطائه الرضى
 فأتاه هرمزدجرايزين فاستعمل فيها الخديعة وكفه بها عن الفساد فى أرض
 خراسان فلما علم هرمزدان بهرام قد دنا من هراة خرج ليلا فلحق بهرام . ولما
 بلغ ملك الاتراك ورود الجيش قال لصاحب حرسه انطلق فأتني بهذا الفارسى
 الخدّاع فطلبوه فوجدوه قد هرب فى جوف الليل . وخرج خاقان من مدينة
 هراة للقاء بهرام وعلى مقدّمته أربعون ألفا فلما التقوا أرسل الى بهرام ان
 انضم الى حتى أملكك على ايران شهر وأجعلك أخص الناس بي فأرسل
 اليه بهرام كيف تملكنى على ايران شهر وانما ملكها لاهل بيت فينا لايجوز
 أن يعدوهم الى غيرهم ولكن هلم الى الحرب فغضب ملك الترك من ذلك
 وأمر فضرب بوق الحرب وتزاحف الفريقان وملك الترك على سرير من

ذهب فوق راية يُشرف على الفريقين فلما استحررت الحرب قصد بهرام
للتل في مائة فارس من أبطال جنوده فانفض عنه من حول ملك الترك فلما رأى
الملك ذلك دعا بمركبته واستبان لبهرام فرماه بنشابة نفذته فخرّ صر يعاوانهزم
الأتراك وقد كان شاهانشاه خلف على ملكه ابنه يلتكين فلما أتاه مقتل
أبيه استجاش الترك وأقبل في دم داهم من أم الأتراك وانضم إليه الفلّ
وبلغ بهرام الخبر فأرسل في أقطار خراسان فاجتمع إليه بشر كثير فسار مستقبلا
ليلتكين فالتقوا على شاطئ النهر الأعظم مما يلي الترمذ وهاب كل واحد
منهما صاحبه وجرت بينهما السفراء في الصلح وأرسل بهرام إليه انكم معاشر
الخلاقيّة قتلتم ملكنا فيروز فأهدرنا دمه وقبلنا الصلح منكم فكذلك فافعلوا
بنا فأجابه يلتكين الى الصلح على حكم هرمزد الملك وأقاما بمكانهما فكتب
بهرام الى هرمزد بذلك فكتب اليه هرمزد ان توجه الى يلتكين مكرّما
في خاصة طراخته وعطاء جنوده فتوجه يلتكين الى العراق فلما دنا من
المدائن خرج هرمزد متلقيا له وترجل كل واحد منهما لصاحبه وأظهر هرمزد
اكرام يلتكين وأنزله معه في قصره وأخذ كل واحد منهما عهدا وكيدا على
صاحبه بالمسالمة ما بقيا ثم أذن له فانصرف الى مملكته . ولما وغل في خراسان
استقبله بهرام في جنوده وسار معه الى حد مملكته وانصرف بهرام حتى أتى
مدينة بلخ فنزلها ووجه الى الملك هرمزد ما كان غنمه من عسكر شاهانشاه
ووجه اليه بذلك السرير الذهب فبلغ ماوجه اليه وقر ثلثمائة بعير . فلما وصلت
الغنائم الى هرمزد وعرضت عليه وحوله وزراؤه وعطاء مرابته قال يزدان
(٦ - الاخبار)

جشنس رئيس وزرائه أيها الملك ما كان أعظم المائدة التي منها هذه اللقمة
فوقعت هذه الحكامة في قلب هرمزد وارتاب بأمانة بهرام وظن أن الأمر كما
قال يزدان جشنس فانظر كم داهية دهياء وحروب وبلاء جرّت هذه
الكلمة ودخل هرمزد منها الغضب والغيط على بهرام ما أنساه حسن بلائه
فأرسل الى بهرام بجامعة وبنطق امرأة ومغزل وكتب اليه انه قد صح عندي
انك لم تبعث الي من تلك الغنائم الا قليلا من كثير والذنب لي في تشريفي
ايك وقد بعثت اليك بجامعة فضمها في عنقك ومنطق امرأة فنطق بها ومغزل
فليكن في يدك فان العار والكهران من أخلاق النساء فلما وصل ذلك الي
بهرام كظم غيظه وعلم أنه انما أتى من الوشاة فوضع الجامعة في عنقه وصير المنطق
في وسطه وأخذ المغزل في يده ثم أذن لعظماء أصحابه فدخلوا عليه ثم أقرأهم
كتاب الملك اليه فلما سمع أصحابه ذلك يأسوا من خير الملك وعلموا انه لم
يشكر لهم حين بلائهم فقالوا نقول كما قال أولو خوار جبالا أردشير ملك ولا
يزدان وزير ونحن أيضا نقول لاهرمرد ملك ولا يزدان جشنس وزير
وكانت قصة أولي خوار جهيم ان أردشير بابكان كان صار اليه بعض الخواريين
فاستجاب له ودخل في دين المسيح صلى الله عليه وسلم وكان في عصره وشايه
على ذلك وزيره يزدان فغضب العجم لذلك وهموا بخلع أردشير حتى أظهر لهم
الرجوع عما هم به من ذلك فأقروه على الملك فقال أصحاب بهرام لبهرام
ان أنت تابعتنا على خلع هرمرد والخروج عليه والا خلعتناك ورأسنا غيرك
فلما رأى اجتماعهم على ذلك أجابهم على أسف وهم وكراهية وخرج

هرمزد جرابزين ويزدك الكاتب من معسكر بهرام ليلا حتى قدما المدائن
 وأخبرا هرمد ان خبر . ثم ان بهرام سار في جنوده نحو العراق لمحاربة هرمزد
 الملك حتى ورد مدينة الري فأقام واتخذ سكة للدراهم بتمثال كسرى أبرويز
 ابن الملك وصرره واستمد وضرب عليه عشرة آلاف درهم وأمر بالدراهم فحملت
 سرا حتى أليت بالمدائن ففتت في أيدي الناس وبلغ ذلك الملك هرمزد
 فلم يشك ان ابنه كسرى يحاول الملك وانه الذي أمر بضرب تلك الدراهم
 وذلك اني أراد بهرام بما فعل فهم الملك بقتل ابنه كسرى فهرب كسرى
 من المدائن ليلا نحو الري حتى أتاه وأقام بها وادعاه الملك بنذوية وبسبها
 وكانا خالي كسرى فسألها من كسرى فقالا لا علم لنا به فارتاب بهما فأمر
 بحبسهما ثم ان الملك جمع نصحاءه فاستشارهم فقالوا أيها الملك انك عجلت في
 أمر بهرام وقد رأينا ان توجه الى بهرام يزدان جشنس فليس بهرام بقاتله
 اذا أنه فاستدرا اليه رياء بذنبه عنده وتكون قد طيبت بنفس بهرام ورددته
 الى الطاعة وحتت بذلك الالهاء فقبل الملك ذلك وبعث يزدان جشنس
 الوزير فلما نهيا له سير أرسل اليه ابن عم له كان محبوسا في حبس الملك ببعض
 الجرائم يسأله أن يستريحه من الملك ويخرجه معه فان عنده غناء ومعونة في
 الامور فعمل يزدان جشنس وأخرجه معه فلما صار بمدينة همدان ارتاب بابن
 عمه ذلك وكتب كتابا الى الملك يعلمه انه قد رده اليه ليأمر بقتله أو يرده
 الى محبسه فانه فابرفاك وقال له اني قد كتبت الى الملك كتابا في بعض
 الأمور فأغذ السير به حتى تدفعه اليه ولا تظعن على ذلك أحدا فارتاب

الرجل بذلك فلما تغيّب عن يزدان جشنس وفكّ الكتاب وقرأه فإذا فيه حتفه فرجع الى يزدان جشنس وهو مستحل فضربه حتى قتله وأخذ رأسه فانطلق به الى بهرام وهو بالرىّ فألقاه بين يديه وقال هذا رأس عدوك يزدان جشنس الذى وشى بك الى الملك وأفسد قلبه عليك قال له بهرام يافاسق أقتلت يزدان جشنس فى شرفه وفضله وقد كان خرج نحوى ليعتذر الىّ مما كان منه ويصلح بينى وبين الملك ثم أمر به فضربت عنقه وبلغ من يباب الملك من العطاء والاشراف والمرازبة مقتل يزدان جشنس وكان عظيما فيهم فمشى بعضهم الى بعض وعزموا على خلع الملك وتعليك ابنه كسرى وكان الذى زين لهم ذلك وحملهم عليه بندوية وبسطام خلا كسرى وكانا محتبسين فأرسلا الى العطاء ان أريحوا أنفسكم من ابن التركيّة يعنيان الملك هرمزد فقد قتل خيارنا وأباد سراتنا وذلك أنه كان مولعا بالعليّة من أجل استطالتهم على أهل الضعف فقتل منهم خلقا كثيرا فاتفقوا على يوم يجتمعون فيه لذلك فأقبلوا جميعا حتى أخرجوا بندوية وبسطاما من الحبس وجميع من كان فيه .

(فتنة بهرام جوين وتولية كسرى أبرويز)

ثم أقبلوا الى الملك هرمزد فنكسوه عن سريره وأخذوا تاجه ومنطقته . وسيفه وقبائه فأرسلوا بها الى كسرى وهو بأذربيجان فلما انتهى ذلك اليه سار مقبلا حتى ورد المدائن ودخل الايوان واجتمع اليه العطاء فقام فيهم خطيبا فكان مما قال المقاديرُ تُرى المرء مالا يخطر بباله والأسبابُ تأتي على

خلاف الهوى والبغى مصرعة لاهله وانخائب من أورطته رغبته والحازم من
 قنع بما قضى له ولم تتق نفسه الى أكثر منه . أيها الناس ثابروا على
 ما يقربكم الينا من طاعتنا ومناصحتنا واياكم ومخالفة أمرنا والبغى علينا فانالكم
 بمنزلة العزى والأركان . فلما تفرق الناس عنه قام يمشى حتى دخل على أبيه
 وهو فى بيت من بيوت القصر فقبل يديه ورجليه وقال ياأبت ماأحيت هذا
 الأمر فى حياتك ولا أردته ولو لم أقبله لصرِف عنا وأزِيل عنا الى غيرنا فقال
 له أبوه صدقتَ وقد قبلتُ عذرك فدونك الأمرَ قم به وقد عرضت لى
 اليك حاجةٌ قال ياأبت وما عسى أن يعرض لك الى قال تنظر الذين تولوا
 نكسى عن السرير وأخذوا التاج عن رأسى واستخفوا بى وهم فلان وفلان
 وسماه فعجل قتلهم واطلب لأبيك بثأره منهم قال كسرى هذا لا يمكن
 يومنا هذا حتى يقتل الله عدوتنا بهرام ويستدف لنا الامر فننظر عند ذلك
 كيف أبيرهم وأنتقم لك منهم فرضى أبوه بذلك منه وخرج كسرى من عنده
 فجلس مجلس الملك . وبلغ بهرام ماجرى وهو بالرى وما كان من الأمر فغضب
 لهرمزد غضبا شديدا وأدركه له حمية وريقة وذهب عنه الحقد فسار فى
 جنوده جادا مجدا ليقتل كسرى ومن والاه على أمره ويردّ هرمزد الى ملكه
 وبلغ كسرى فصوله من الرى وما بهم به فكنم ذلك من أبيه وسار متلقيا
 لبهرام فى جنوده وقدم رجلا من ثقاته وأمره أن يأتى عسكر بهرام متكرا
 فينظر سيرته ويعرف له كنه أمره فسار الرجل فاستقبل بهرام بهمدان فأقام
 فى عسكره حتى عرف جميع أمره ثم انصرف الى كسرى فأخبره أن بهرام

اذا سار كان عن يمينه مردان سینه الرؤيدشتى وعن يساره يزدجشناس بن
 الحلبان وأن أحدا من جنوده لا يطعم نفسه في اغتصاب أحد من الرعية مقدار
 حبة فما فوقها وانه اذا نزل المنزل دما بكتاب كليله ودمنة فلا يزال يكتب عليها
 طول نهاره فقال كسرى لخاليه بندوية و بسطام ما خفت بهرام قط كخبري
 منه الساعة - بين أخبرت بادمانه النظر في كتاب كليله ودمنة لان كتاب
 كليله ودمنة يفتح المرء رأيا أفضل من رأيه وحزما أكثر من حزمه لما فيه
 من الآيات الذرية . وان كسرى وبهرام تواقفا بالتهروان فمسكر كل واحد
 منهما بأمره فالتقى في مدينة خندق على نفسه ثم ان بهرام عقد جسرا وعبر الى
 كسرى فالتقى بالبدان بدر بهرام حتى دنا من صفوف كسرى ثم صاح
 بأعلى صوتا قائلا يا كسرى العجم في خلعتكم ملككم أيها الناس توبوا الى
 ربكم ما فعلتم بانمازوا اليه بجماعتكم حتى نرد السلطان على ملككم قبل أن
 ينزل الله العقاب عليكم . فلما سمع أصحاب كسرى ذلك قال بعضهم لبعض
 قد رأى الله ما فعلتم فانما نزل العقاب عليكم ان الامم على ما قال فهلوا بنا تلاف أمرنا وانصلح
 ما كان بيننا وبينهم . فالتقى بهرام بكسرى فالتقى بهرام بكسرى فالتقى بهرام بكسرى
 مع كسرى فالتقى بهرام بكسرى فالتقى بهرام بكسرى فالتقى بهرام بكسرى فالتقى بهرام بكسرى
 ابن أبركان . فالتقى بهرام بكسرى فالتقى بهرام بكسرى فالتقى بهرام بكسرى فالتقى بهرام بكسرى
 ابن بهرام . فالتقى بهرام بكسرى فالتقى بهرام بكسرى فالتقى بهرام بكسرى فالتقى بهرام بكسرى
 وأحبائه فقال هزللاء لكسرى أيها الملك ما تفعل ألا ترى الى جمع الناس
 قد فارقوك ، انمازوا الى عدوك ففضى نحو المدائن حتى اذا انتهى الى

قنطرة جوذرز التفت وراه فاذا هو بهرام وحده قد ترك الناس خلفه حتى دنا منه
ومن أصحابه فوقف له كسرى على طرف القنطرة ووتر قوسه وكان من رماة
الناس فوضع فيها نشابة وخاف أن يعمد برميته بهرام فلا يعمل السهم فيه
بلجودة درعه فأراد أن يعمد وجهه فلم يأمن أن يترس بدرقته أو يميل وجهه
عن سهمه فرمى - ببهمة فرسه فلم يُخطئ وسط جبهته واستدار الفرس من
شدة الرمية ثم سقط وبقى بهرام را-بلا فأمن كسرى ركنا حتى دخل
الداخن رائن أباه ولم يعلمه ان بهرام انما يحاول ردّ الملائك اليه غير
أنه قال له ان أصحابي جميعا مالوا اليه ثم قال ما الذي ترى قال أرى
لك ان اتيت به فانه سيُجرك وينصرك حتى يستريح لك ملكك
فنبأ كسرى بما رأى وأمر به رجليه ووجهه ومار نحو البريف أصحابه وكانوا
قد تفرقوا ثم اتى بهم بعض ان بهرام نواك المدائن اليوم غدا فيملك
هرمز نيزك ما كما كالم يزل ثم يكتب هرمز ان قيصر فيرثنا اليه فيقتلنا
جاء كسرى بمالك ما أم أبوه - فقال في ما وية ودا ما خلا
فانصرف كسرى من ذلك فأنصرنا على المنب - ثم أتى بلا حتى دخلا قصر
الملك فأتى به هرمز الذي كان فيه وقتئذ فبغل الحشم بالبكا
فأدرب كسرى من عنده فألقيا عمارة في منته فبقاه حتى مات ثم
أتى كسرى لم يُخبراه بذلك وساروا بالر كض الشايد يومهم مخافة الطلب
في اشد حتى شارفوا مدينة هيت وانتهوا الى دير رحبان فتزلود قاتوهم بنخبز
شربلوا الماء واكلوه قاتوهم بنخل فزجوه بماء وشربوا منه واتكأ كسرى

على خاله بسطام فنام لشدة ما أصابه من التعب فيناهم كذلك اذ ناداهم
الراهب من صومعته أيها نفر قد أتكم الخيل وهم بالبعد . وقد كان بهرام
حين وافى المدائن فصادف هرمزد الملك قتيلا ازداد غيظا على كسرى وحقا
فوجه في طلبه بهرام بن سیاوشان في ألف فارس على الخيل العتاق فلما نظر
كسرى وأصحابه الى الخيل سقط في أيديهم وأيسوا من أنفسهم فقال بندوية
لكسرى انا أخلصك بحيلتي غير أنني أغرر بنفسي قال له كسرى ياخال انك
ان وقتني بنفسك سلمت أو قتلت فكفاك بذلك ذكرا باقيا وشرفا ليا فقد
خاطر أرسناس بنفسه في أمر منوشهر وأتى فراسياب ملك الأتراك وهو في
وسط جنوده فرماه بسهم فقتله وأراح زاب الملك منه فأصاب بثأر منوشهر
فقتل فبعد صوته في الناس وعظم ذكره وقد خاطر جوذرز بنفسه بسبب
سابور ذي الاكتاف حين قام بتدبير ملكه وضبط سلطانه فحسده الناس
لذلك فلما أدرك سابور ملكه على جميع أموره وفوض اليه سلطانه . قال
له بندوية قم فالتقي عنك قبائك ومنطقتك وحل عنك سيفك وضع تاجك
واركب في سائر أصحابك فتبطنوا هذا الوادي فاغذوا فيه السير ودعوني
والقوم ففعل كسرى ما أمره وتبطن الوادي وسار في بقية أصحابه وعمد بندوية
الى قباء كسرى فلبسه وتنطق بمنطقته ووضع التاج على رأسه ثم قال للهربان
عليكم بالجبل فالحقوا به الى ان ينصرف هذا الخيل والا لم آمن ان يقتلوكم
عن آخركم فتركوا الصومعة جميعا وخرجوا عن الدير وصعد بندوية فصار على
سطح الدير وقد اغلق عليه الباب وهو لابس بزة كسرى فقام على رجله

قائماً حتى علم أن القوم قد رأوه جميعاً ثم نزل الى الدير فخلع بزّة كسرى ولبس
 بزّة نفسه ثم عاد الى سطح الدير وقد حدثت به الخليل فقال يا قوم من أميركم
 فأتى بهرام بن سیاوشان وقال انا أميرهم ماتشاء يابندوية قال ان الملك يُقرئك
 السلام ويقول انا انما نزلنا آتفا وقد كللنا وتعبننا وليس عليك منّا فوت فدعنا
 على حالنا في هذا الدير الى العشاء لنخرج اليك وننطلق معك الى بهرام فيحكم
 فينا بما يرى قال بهرام بن سیاوشان ذلك له وعزازة ثم نزل بندوية والقوم
 محدقون بالدير فلما أمسوا عاد بندوية الى سطح الدير وقال لبهرام بن سیاوشان
 ان الملك يقول لك هذا المساء وليست لنا أجنحة نظير بها وقد حدثم بالدير
 فدعنا ليلتنا هذه لنستريح وامن علينا بذلك فاذا أصبحنا خرجنا اليك ومضينا
 معك قال بهرام وذلك له وحبّاً وكرامةً ثم أمر أصحابه أن يكونوا فرقتين فرقة
 تنام وأخرى تحرس نوابه . فلما أصبح بندوية فتح الباب وخرج الى القوم
 وقال ان كسرى قد فارقتي منذ أمس هذا الوقت ولو كنتم على نجائب كالريم
 ما لحقتموه وانما كان ما سمعتم مني مكيدة وحيلة فلم يصدّقوه ودخلوا الدير
 ففتشوه بيتا بيتا فسقط في يدي بهرام بن سیاوشان ولم يدر ما يعتذر به الى
 بهرام شوبين فحمل بندوية وانصرف حتى دخل على بهرام شوبين وأخبره
 بالحيلة التي احتالها بندوية فدعا به بهرام وقال لم ترض بما كان منك من قتل
 الملك هرمزد حتى خلّصت الفاسق كسرى فنجا مني قال بندوية أما قتلي
 هرمزد فليست أعتذر منه اذ طغى وبنى وقتل صناديد العجم وألقى بأسهم بينهم
 وفرّق كلمتهم وأما حيلتي في تخليص ابن أختي كسرى فلا لوم عليّ في

ذلك اذ كان ولدى قال بهرام أما إنه ليس يمنعني من تهجيل قتلك إلا ما
 أرجو من ظفري بالفاسق كسرى فأقتله وأقتلك على أثره ثم قال لبهرام بن
 سیاوشان احبسه عندك مقيداً الى أن أدعوك به ثم ان بهرام جمع اليه وجوه
 المملكة فقال قد علمتم ما ارتكب كسرى من الوزر العظيم بقتل أبيه
 وقد مضى هاربا فهل ترضون أن أقوم بتدبير هذا الملك حتى يدرك شهر يار
 ابن هرمزد مدرك الرجال فأسلمه اليه فرضى بذلك فريق وأباه فريق فممن
 أبي موسيل الأرميني وكان من عظماء المرازبة وقال لبهرام أيها الأصمببأ. ليس
 لك أن تقوم بشيء من ذلك وكسرى صاحب الملك ووارثه في الأحياء
 فقال بهرام من لم يرض فليرتحل عن المدائن فاني إن صادفت بهد ثلاثة أحدا
 ممن لم يرض ثاوريا بالمدائن ضربت عنقه فارتحل مرسيل الأرميني فيمن كان
 على رأيه وكانوا زهاء عشرين ألف رجل فساروا الى أذربيجان فنزلوها
 ينتظرون قدوم كسرى من أرض الروم ولم يزل بندوقية محتبسا عند بهرام
 ابن سیاوشان فكان بهرام بن سیاوشان يحسن اليه في الماطم والمشرب
 ليتخذ بذلك زلفة عنده لما ظن أن كسرى سينصرف ويرجع اليه الملك وكان
 اذا جن عليه الليل أخرجه من محبسه فأجلسه معه على شرابه فقال بندوقية
 ذات ليلة لبهرام يا بهرام إن ما أنتم فيه سيضمحل ويذهب لظلم بهرام شو بين
 واعتدائه فقال بهرام والله إني لأعرف ما تقول واني لأنهم بأمر قال بندوقية
 وما هو قال أقتل غدا بهرام شو بين وأريح الناس منه ليرجع الملك الى نظامه
 وعنصره قال بندوقية أما إذ كان رأيك فأطلقني من قيدي ورد على دابتي

وسلاحى فتعل ولما أصبح بهرام بن سیاوشان تدرع تحت ثيابه درعا واشتمل على اليف فابهرت ذلك امرأته وكانت بنت أخت بهرام شوبين فاسترابت به فبعثت ال بهرام تعلمه ذلك وابتكر بهرام الى الميدان فكان لا يمر به أحد من أهله إلا ضرب جنبه بالصوبجان فلم يسمع حسّ الدرع من أحد منهم حتى مرّ به بهرام بن سیاوشان فضرب جنبه بالصوبجان فلما سمع حسّ الدرع أتى اليفه فضربه حتى قتله وتنادى الناس قتل بهرام فى الميدان فظنّ بدوية أن بهرام شرب بين المقتول فركب دابته وهضى نحوه الميدان فلما علم أن المقتول صاحبه خرج متمكرا يسير الليل ويكن النهار حتى أتى أذربيجان فأقام مع موسيل وأصحابه هناك ولما سار كبرى من الدير سار يوماً وليلة وتلقاهم أمربابى فوقفوا به فمأله كرى وكان يحسن بالعربية شيئاً ممن هو فأخبر أنه من طيئ وان اسمه اياس بن قبيصة فقال له أين الحى فقال قريب قال فهل من قرى فقد بلغ منا الجوع قال نعم فمدلوا معه الى الحى فتنزلوا به وسرحوا خيالمهم ترع وأقاموا عنده يومهم فأحسن قراهم وزودهم وخرج بهم حين أمسرا يدأهم الطريق حتى أخرجهم لثلاث يالس من شاطئ الفرات ثم انصرف وسار كبرى حتى انتهى الى اليرموك فخرج اليه خالد بن جبلة الغساني فتراه ووجهه معه حيلاً حتى بلغ قيصر فدخل عليه وأبشأه شأنه وما توجه له فردد بحيث أهل من نصره ومعوته فقال له بطارقتة أيها الملك قد علمت ما لتي من كان قبلك من آبائك من هزلأ منذ زمان الاسكندر وكان آخر ما لقينا منهم انحصاب جدّ هذا إنا نأمن الشاء التي لم تنال في أيدينا إرثاً من

أبائنا منذ ألف عام فردّها عليك أبو هذا حين أجلبت بخيلك ورجلك فدمع القوم
يشتغل بعضهم ببعض فان حرب العدو بعضهم بعضا فتح عظيم فقال قيصر
يعظيم الأساقفة ما تقول أنت يا كبيرنا فقال لا يحمل لك خذلانه إذ كان
مبغيا عليه والرأى أن تنصره ليكون لك سلما ما بقيت وبقى . قال قيصر وهل يجوز
لملوك أن يُستجار بهم فلا يُجبروا فأخذ على كسرى اليهود والمواثيق بالمسألة
وزوجه ابنته مريم ثم عقد لابنه ثيادوس في أبطال جنوده وفيهم عشرة رجال
من الهزارمردين وقواهم بالأموال والعتاد وأمرهم بالمسير معه وشيعهم ثلاثة
أيام فسار كسرى بالجيش فأخذ على أرمينية حتى اذا صار باذريجان انضم
اليه خاله بندوية وموسيل الأرمنى ومن معه من مرزبته ومرزبة فارس
وبلغ خبره بهرام شوبين فسار جادا بالجنود حتى وافاه باذريجان فعسكر على
فرسخ من معسكر كسرى ثم تراحفوا ونصب لكسرى وثيادوس سرير من
ذهب فوق راية تُشرف بهما على مجتهد القوم . ولما تواقفت الخيلان أقبل
رجل من الهزارمردين حتى دنا من كسرى فقال أرني هذا الذى غلبك على
ملكك فدخلت كسرى أنفة من تعيره إياه بذلك فكظمها غير أنه أراه
بهرام شوبين فقال هو صاحب الفرس الأبلق المعتجر بالعمامة الحمراء الواقف
أمام أصحابه فمضى الرومى نحو بهرام شوبين فناداه أن هلم الى المبارزة فخرج
اليه بهرام فاختلفا ضربتين فلم يصنع سيف الرومى شيئا فى بهرام لجودة درعه
وضربه بهرام على مفرق رأسه وعليه البيضة فقدّ البيضة وأفضى السيف الى
صدر الرومى فقدّه حتى وقع نصفين عن يمين وشمال وأبصر ذلك كسرى

فاستغرب ضحكا فغضب ثيادوس وقال ترى رجلا من أصحابي يُعدُّ بألف رجل قد قُتل فتضحك كأنك مسرور بقتل الروم قال كسرى إن ضحكى لم يكن سرورا منى بقتله غير أنه عيّرني بما قد سمعت فأحبتُ أن يعلم أن الذى غلبنى على ملكى وهربتُ منه اليكم هذه ضربته وان القوم اقتتلوا يومين فلما كان فى اليوم الثالث دعا بهرام كسرى الى المبارزة فهم كسرى أن يفعل فمنعه ثيادوس وأبى كسرى فخرج الى بهرام فتطاردا ساعة ثم إن كسرى وتى منهزماً وعارضه بهرام فاقتطعه عن أصحابه ومضى كسرى نحو جبل وبهرام فى أثره يهتف به ويده السيف وهو يقول الى أين يا فاسق فجمع كسرى نفسه فساعدته القوة على تسنم الجبل فلما نظر بهرام الى كسرى قد علا ذروة الجبل علم أنه قد نُصر عليه فانصرف خاسئاً وهبط كسرى من جانب آخر حتى أتى أصحابه ثم ابتكر الفريقان على مصافهم فى اليوم الرابع فاقتتلوا فكان الظفر لكسرى وانصرف بهرام فى جنوده منهزماً الى معسكره فقال بندوية لكسرى أيها الملك ان الجنود الذين مع بهرام لو قد أمنوك على أنفسهم انجازوا اليك فأذن لى أن أعطيهم الامان عنك فأذن له فلما أمسى بندوية أقبل حتى وقف على راية مشرقة على معسكر بهرام ثم نادى بأعلى صوته أيها الناس! أنا بندوية بن سابور وقد أمرنى الملك كسرى أن أعطيهم الأمان فمن انجاز الينا منكم فى هذه الليلة فهو آمن على نفسه وأهله وماله ثم انصرف فلما أظلم الليل على أصحاب بهرام تحملوا حتى لحقوا بمعسكر كسرى الا مقدار أربعة آلاف رجل فاتهم أقاموا مع بهرام . ولما

أصبح بهرام نظر الى معسكره خاليا قال الآن حسن الفرار فارتحل في أصحابه الذين أقاموا معه وفيهم مردان سینه ويزدجشنس وكانا من فرسان العجم فوجه كسرى في طلبه سابور بن أبركان في عشرة آلاف فارس فلحقه وبعطف عليه بهرام في أصحابه فاقتلوا قاتلهم سابور ومضى بهرام على وجهه ثم في طريقه بقرية فتزها ونزل هو ومردان سینه ويزدجشنس بيت عجوزة أخرجوا طعاما لهم فتعشوا وأطعموا فضله العجوزة ثم أخرجوا شرابا فقال بهرام للعجوزة أما عندك شيء نشرب فيه قالت عندي قرعة صغيرة فأتهم بها فشرابا رأسها وجعلوا يشربون فيها ثم أخرجوا نقلا وقالوا للعجوزة أما عندك شيء يجلب مياه النقل فأتهم بمنسف فألقوا فيه ذلك النقل فأمر بهرام فسفيت العجوزة ثم قال لها ما عندك من الخبر أيتها العجوزة قالت ان خبر عندنا ان كسرى أميل بجيش من الروم فخارب بهرام فغلبه واسترد منه ملكه قال بهرام لها قراء في بهرام قالت جاهل أحق يدعى الملك وليس من أهل بيت المداكية قال بهرام فمن أجل ذلك يترب في القرع ويتنقل من المسفة بقرية في بلاد في العجم يتمنون به وسار بهرام حتى انتهى الى أرض قومس وبها نزل البجلي الهاوندى وكان والى حراسان على حربها وخراسان والى قومس وجران وكان شيخا كبيرا قد أناف على المائة وكان على تلك الباحة من قبل كسرى أبو روان ثم أقره هرمزد بن كسرى فلما أفضى الأمر الى بهرام عرف له قرد في معجمه وفضله فأقره مكانه فلما انتهى بهرام اليه وجهه قارن ابنه في عشرة آلاف فارس فحلوا بين بهرام وبين النفوذ فأرسل اليه بهرام ما هذا جزائي من ان اذ

أقررتك على عمالك فارس الى قارن ان ماعلى من حق الملك كسرى وحق
آبائه أعظم مما على من حقك وكذلك عليك لو عرفت إذ شرفك فكافأته
أن خلعت طاعته وسعرت مملكة العجم نارا وحربا فكان قصارك ان
رجعت خائبا حسيرا وصرت أحدىة بجميع الامم فأرسل اليه بهرام ان
العز يساوى درهمين مرتين اذا كان عناقا صغيرا واذا هرم وسقطت أسنانه
لم يساو أيضا الا درهمين وكذلك أنت فى هرمك ونقصان عقلك فلما أتت
قارن هذه الرسالة غضب وخرج فى ثلاثين ألف فارس وراجل من جنوده
وتهيأ الفريقان للحرب فلما التقوا قتل ابن قارن فانهزم أصحابه حتى لحقوا
بمدينة قومن ومضى بهرام على خوارزم فعبر النهر ووغل فى بلاد الترك من
ذلك الوجه يوم خاقان ليستجير به فيحيره ويمنع عنه وبلغ خاقان قدوم بهرام
عليه فأمر طراخته فاستقبلوه وأقبل حتى دخل على خاقان فحياه بتحية المالك
وقال انى أتيتك أيها الملك مستجيرا بك من كسرى وأهل مملكته لتمنعى
وأصحابى فقال له خاقان الك ولاصحابك عندى الحماية والجوار والمواساة ثم
أبنى له مدينة وبنى فى وسطها قصرا فأنزله وأصحابه فيها ودون لهم وفرض
الاعطيات فكان بهرام يدخل على خاقان كل يوم فيجلس منه مجلس
اخوته وخاص أقاربه وكان خاقان أخ يسمى بغاوير وكانت له نجدة وفروسية
فراه بهرام يتدرع فى منطقه غير هائب من الملك ولا مؤقر لمجلسه فقال ذات
يوم خاقان أيها الملك انى أرى أخاك بغاوير يتدرع فى الكلام ولا يرعى
لمجلسك ما يجب أن يرعى لمجلس الملوك وعهدنا بالملوك لا يتكلم اخوتهم

وأولادهم عندهم الا بما يُسألون عنه فقال خاقان ان بغاوير قد أعطى نجدة في الحروب وفروسية فهو يُدِلُّ بذلك على انه يتربص بي الدوائر ويضمر لي الحسد والعداوة قال له بهرام أفتحب أيها الملك ان أريحك منه قال بماذا قال بقتله قال نعم ان أمكنتك ذلك من وجه لا يكون على فيه مسبة قال بهرام سأتي من ذلك مالا يلزمك فيه عار ولا عيب فلما أصبحوا من غد أقبل بهرام فجلس عند خان مجلسه الذي كان فيه فأقبل بغاوير فجلس وجعل يتدرع في كلامه فقال له بهرام يا أخي لم لاتوفي الملك حقه وتظهر للناس هيئته واجلاله قال له بغاوير وما أنت وذاك أيها الفارسي الطريد الشريد قال له بهرام كانك تصول بفروسية است فيها بأكثر مني قال له بغاوير فهل لك الى مبارزتي فأعرفك نفسك قال له بهرام أما أنا فلا أحب ذلك فاني متى غلبتك لم أقتلك لمكانك من الملك قال بغاوير لكني ان غلبتك قتلتك فاخرج بنا الى الصحراء قال بهرام على النصفة اذا قال ذلك لك قال بهرام وعلى أن لا قود على ان قتلتك ولا لأمة من الملك وطراخته قال نعم فقال خاقان مالك ولهذا الرجل المستجير بنا العائد بجوارنا قال بغاوير أدعوه الى النصفة قال وأي نصفة قال يقف لي وأقف له على مائتي ذراع فأرميه ويرميني فأينا قتل صاحبه لم يكن عليه لوم ولا عقل قال له خاقان اربع على نفسك لا أم لك قال والله ليفعلن أو لا فتكن به بين يديك قال فدونك اذا فخرج بغاوير وبهرام في نفر من الطراخنة الى الصحراء فوقف الطراخنة ينظرون ووقف بغاوير من بهرام على مائتي ذراع فقال بهرام للطراخنة لا تلوموني ان أنا قتلته فقد

بغى على كاترون فقالوا ليس عليك لوم فصاح بغاوير بهرام أبدأ أنت أم
أبدأ أنا فناداه بهرام بل ابدأ أنت فارم فانت الباغى الظالم فوتر بغاوير قوسه
ووضع فيها نشابة ثم نزع حتى أغرقها ثم أرسلها فصكت بهرام أسفل من سرته
فى وسط منطقتة فنذت المنطقة والدرع وسائر اللباس حتى انتهت الى
صفاق بطنه الظاهر وأثرت فيه وبادر بهرام فانتزعها ووقف هنيهة لا يضرب
بيده الى قوسه من شدة ما أصابه من ألم الرمية وظن بغاوير بأن قد قتله
فركض نحوه فصاح بهرام أن ارجع الى مكانك قف لى كما وقت لك
فانصرف الى مكانه فوقف وأخرج بهرام قوسه فوترها وكان لا يوترها سواه
ثم وضع فيها نشابة ونزع حتى أغرقها ثم أرسلها فوقعت من بغاوير فى مثل الموضع
الذى وقعت نشابته من بهرام فى وسط المنطقة والدرع فنذت المنطقة والدرع
وسائر اللباس ومرقت من الجانب الآخر لم يذهب شئ من ريشها ولا عقبها
وسقط بغاوير ميتا وبلغ ذلك خاقان فقال لا يبعد الله غيره قد نهيته عن البغى
فأبى ثم تقدم الى طراخته وأهل بيته وقال لأعلمن أحدا منكم نوى لبهرام
سوءا ولا مكرها فلما خلا بهرام بخاقان شكر له ما كان منه وقال لقد أرحتى
ممن كان يتمنى موتى ليستبد بالملك دون ولدى ثم زاده اكراما ومنزلة وبرا
وعظم قدر بهرام بأرض الترك واتخذ ميدانا على باب قصره واتخذ الجوارى والقيان
والجوارح وكان من أكرم الناس على خاقان . وان كسرى عند انهزام بهرام
وهربه أكرم ثيادوس ومن معه فأحسن جوائزهم وصلاتهم وسرّحهم الى
بلادهم وولى خاله بندوية دواوينه وبيوت أمواله وأنفذ أمره فى جميع المملكة

وولّى خاله بسطام أرض خراسان وقرمس وجرجان وطبرستان ووجه عماله
 فى الآفاق ووضع عن الناس نصف الخراج ولما بلغ كسرى عظيم قدر بهرام
 عند خاقان وجسيم منزله ييلاد الترك خافه أن يستجيش ويعود الى محاربه
 فوجه هرمزد جرابزين الى خاقان وافدا فى تجديد العهد ووجه معه بالطف
 وطرف وأمره أن يتلطف بخاقان حتى يفسد قلبه على بهرام فسار هرمزد جرابزين
 حتى دخل على خاقان ومعه كتاب كسرى وأوصل اليه هدايا كسرى والطفه
 قبلها خاقان وأمره بالمقام ليقضى حوائجه فكان هرمزد يدخل على خاقان مع
 وفود الملوك فيحييه بتحية الملك ثم انه دخل ذات يوم فرآه جالسا فقال أيها
 الملك انى أراك قد استصفيت بهرام وأسنت منزله ولم تفعل به من ذلك
 شيئا الا وما كان فعل به ملكنا أكثر منه فكان جزاؤه منه ان خلعه وأراد
 سفك دمه وخرج على ابنه كسرى حتى نفاه عن مملكته وما أحسب
 قصارى أمرك منه الا الغدر ونكث العهد فأحذره أيها الملك لا يفسد عليك
 ملكك فلما سمع خاقان منه ذلك غضب غضبا شديدا وقال لولا أنك وافد
 ورسول لمنعتك من الدخول الىّ لما استبان لى من خرّقتك وعيبك بمحضرتى أخى
 وصفى فلا تعودنّ لمثل هذا فقال هرمزد جرابزين أما اذ كان أيها الملك هذا
 رأيك فيه فأسألك أن تكتم علىّ لا يباغته ذلك فيقتلنى فقال هذا لك . فخرج
 هرمزد آيسا منه فاندس الى امرأته خاتون ومن النساء السخافة وكفران
 النعم فدخل عليها ذات يوم فلم يصادف عندها أحدا يخافه فقال لها أيها
 الملكة انكم قد اصطفيتم بهرام ورفعتموه فوق قدره وليس بأمون أن يفسد

عليكم ملككم كما أفسده على هرمزد ملكنا ثم قصّ عليها ما كان منه وقال
أيتها الملكة أقد أنسيت قتله عمك شاهان شاه واحتواءه على سريره وخزائنه
فلم يزل يذكرها هذا وأشباهه حتى أوقع في قلبها بغض بهرام والخوف منه
على زوجها ولدها قالت ويحك وما الذي يمكنني في أمره ومنزله من الملك
منزله قال الرأي أن تدسى إليه من يقتله فتأمني على زوجك وولدك فأمرت
غلاما لها قد عرفته بالفتك والاقدام فقالت له انطلق الساعة حتى تدخل على
بهرام وتتلف لقتله ولا تأتيني الا بعد الفراغ منه فانطلق الغلام حتى استأذن
على بهرام وفي حجزته خنجر قد ستره وكان ذلك اليوم يوم ورهام رُوز قالوا
وقد كان المنجمون قالوا في مولده ان منيته في ورهام روز فكان لا يخرج
ذلك اليوم من منزله ولا يأذن لأحد الا لثقاته وخاصته فدخل الآذن فأعلمه
أن رسول الملكة يطلب الاذن فأذن له فدخل فحيا بهرام وقال ان الملكة
قد وجهتني اليك برسالة فأخني فقام من عند بهرام فخرجوا ودنا التركي منه كانه
يريد أن يسارّه ثم استلّ الخنجر فبعجه به وخرج فركب دابته ومضى ودخل
أصحاب بهرام فصادفوه يستدعي ويده نوب ينشف به الدم فلما رأوه بتلك
الحال بهتوا وقالوا كيف لم تهتف بنا فنأخذه فقال إنما كان كلبا أمر بشي
فنفذ له وقال لهم اذا جاء القدر لم يغن الحذر وقد خلفت عليكم أخي مردان سینه
فأطيعوا أمره وأرسل الى خاقان يعلمه أمره فأقبل خاقان نحوه والهافصادفه قد
مات فواراه في ناوس وهمّ بقتل خاتون فحجز عن ذلك لمكان ولده منها .
وان أصحاب بهرام تناظروا فيما بينهم فقالوا مالنا عند هؤلاء خير وما الرأي

الا الخروج عن أرضهم فانهم غدرة بالمهد كفر للاحسان والانتقال الى
 بلد الديلم فانها أقرب الى بلادنا وأمكن للطلب بثأرنا من ملوكنا الذين
 شردونا فسألوا خاقان الاذن لهم في الانصراف فأذن لهم وأحسن اليهم
 وقوامهم وبذرقهم الى حدود أرضه . وكان مع بهرام أخته كُرْدِيَّة
 وكانت من أجمل نساء العجم وأبرعهن براعةً وأكلمهن خلقاً وأفرسهن
 فروسيةً فخرج أصحاب بهرام وكردية امامهم على دابة بهرام متسلحة
 بسلاحه حتى انتهوا الى نهر جيحون مما يلي خوارزم فعبروا هناك وانصرف
 عنهم الطراخنة وأخذ أصحاب بهرام على شاطئ التهر ثم انخطوا الى جرجان
 وسلكوا طبرستان ثم لزموا ساحل البحر حتى انتهوا الى بلاد الديلم فسألوهم
 السكنى معهم في بلادهم فأجابوهم اليه وكتبوا بينهم كتاباً أن لا يتأذى أحد
 باحد فأقاموا آمنين واتخذوا المعاش والقرى والمزارع وأيديهم مع أيدي الديلم
 في كل أمر . فلما قُتل بهرام رأى كسرى ان قد صفا له الملك فلم يكن له همّة
 الا الطلب بثأر أبيه هرمزد وأحب أن يبدأ بخاليه بندوية وبسطام ونسي
 أيادي بندوية عنده فمكث كسرى يكاشرها عشر سنين وأنه خرج في أيام
 الرِّيح كعادته يريد الجبل ليصيف فيه فنزل حلوان وبندوية معه فأمر أن
 يُضرب له قبة على الميدان لينظر الى المرازية اذا لعبوا بالكرة فجلس على تلك
 القبة فرأى شيرزاد بن البهبوذان يضرب بالكرة ويُجيد فكان كلما ضرب
 فأجاد قال له كسرى زه سوار فأحصى الموكل ذلك مائة مرة قالها فكتب
 له الى بندوية بأربعمائة ألف درهم لكل مرة أربعة آلاف درهم فلما وصل

الصكّ الى بندوية قذفه من يده وقال ان بيوت الاموال لا تقوم لهذا التبذير
وبلغ كسرى قوله فجعل ذلك ذريعةً الى الوثوب به فأمر صاحب حرسه أن
يأتيه فيقطع يديه ورجليه فأقبل صاحب الحرس لينفذ فيه أمر كسرى فاستقبله
بندوية يريد الميدان فأمر به فنكس عن دابته وقطع يديه ورجليه وتركه
متسحطا في دمه بمكانه فجعل بندوية يشتم كسرى ويشتم أباه ويذكر غدر
آل ساسان ونكثهم ويقال كل ذلك لكسرى فقال لمن حوله من وزرائه
يزعم بندوية أن آل ساسان غدرَةٌ نَكِثَةٌ وينسى نفسه في غدره بالملك
أينا حين دخل عليه مع أخيه بسطام فألقيا العمامة في عنقه ثم خنقاه بها ظلما
وعدوا ليتقربا بذلك الى كانه ليس لى بوالد ثم ركب الى الميدان فر
بندوية وهو ملقى على قارعة الطريق فأمر الناس أن يرموه بالحجارة فرجموه
حتى مات وقال هذه حتى تأتي أختها يعنى ما أراد من الحاق بسطام بأخيه
بندوية ثم أمر كاتب السرّ أن يكتب الى بسطام ليخلف على عمله ثقة ويقدم
متخففا ليناظره فى بعض الأمر ففعل بسطام ذلك وأقبل على البريد فلما
اتهى الى حدّ قومس استقبله مردان به قهرمان أخيه بندوية فلما نظر اليه
من بعيد رفع صوته بالبكاء والعيول فقال له بسطام ما وراءك فأخبره بمقتل
أخيه فلم يجد مذهبا فى الارض فعدل الى من بالديلم من أصحاب بهرام وبلغ
مردان سینه رئيس أصحاب بهرام قدوم بسطام عليه ففرح بذلك وخرج
متلقيا له فى جميع أصحابه لشرف بسطام فى العجم وفضله ثم أقبلوا به حتى
أنزلوه منزلا بهيا وركب اليه أشراف تلك البلاد فأقام عندهم آمنا ثم ان

مردان سينه ويزدجشنس والعظاء قالوا لبسطام ما بال كسرى أحق بالملك منك وأنت ابن سابور بن خرْبُنْدَاد من صميم ولد بهمن بن اسفندياذ وانكم لآخوة بنى ساسان وشركاؤهم في الملك فهم نُبَايَعُكَ ونزوّجك كُرْدِيَّةَ أخت بهرام ومعنا سرير ذهب قد كان بهرام حمله من المدائن فاجلس عليه وادع لنفسك فان أهل بيتك من ولد دارا بن بهمن سينحلبون اليك واذا قويت شوكتك وكثر جنودك سرت الى القادر كسرى فخاربتة وحاولت ملكه فان نلت ما تريد فذاك الذي نحبّ وتحبّ وان قُتلتَ قُتلتَ وأنت تحاول ملكا وأن ذلك أبعْدُ لَصَوْتِكَ وأنبه لذكرك فلما سمع بسطام ذلك أصغى اليه وأجابهم الى ما عرضوا عليه فزوَّجوه كُرْدِيَّةَ وأجلسوه على سرير الذهب وعقدوا على رأسه التاج وبايعوه عن آخرهم ودعوه مَلِكًا وتابعه أشرف البلاد وانحلب اليه جيلان والببر والطيلسان وقوم كثير من أهل بيته من ناحية العراق ممن كان يهواه ويهوى أخاه حتى صار في مائة ألف رجل فخرج الى الدَسْتَبِي وأقام بها وبث السرايا في أرض الجبل حتى بلغوا حلوان والصيْئِرة وما سَبْدَان وهرب عمّال كسرى وتحصن الدهاقين في الحصون وروئس الجبال وبلغ ذلك كسرى فسقط في يده وعلم أنه لم يأخذ وجه الامر في قتله بندوية فأخذ الامر من قِبَل الخديعة فكتب الى بسطام انه قد بلغني مصيرك الى الغدرة الفسقة أصحاب الفاسق بهرام وتزينهم لك مالا يليق بك ثم حملوك على الخروج على المملكة والعيث فيها والفساد من غير ان تعلم ما أنوى لك وما أنطوى عليه في بابك فدع التمادي في الغي وأقبل

الى آمنة ولا يوحشك قتل أخيك بندوية فأجابه بسطام ان قد أتاني كتابك بما خبرت به من خديعتك وسطرت من مكيدتك فت بغيظك وذق وبال أمرك واعلم انك لست بأحق بهذا الامر مني بل أنا أحق به منك لأنني ابن دارا بن دارا مقارع الاسكندر غير انكم يا بني ساسان غلبتمونا على حقنا وظلمتمونا وانما كان أبوك ساسان راعي غنم ولو علم أبوه بهمن فيه خيرا ما زوى عنه الملك الى أخته خماني فلما ورد كتابه على كسرى علم ألا طمع فيه فوجه اليه ثلاثة قواد في ثلاثة عساكر كل عسكرة اثنا عشر ألف رجل فنفذ العسكرة الأولى وعليه سابور بن ابركان ثم أردفه بالعسكرة الثانية وعليه النخارجان ثم أردفهما بالثالث وعليه هرمزد جرابزين فلما اتصل بسطام فصول العساكر نحو سار حتى أتى همدان فأقام بها ووجه الرجالة الى رؤس العقاب ليمنعوا الناس من الصعود والنفوذ قال فأقامت العساكر دون الجبل بمكان يدعى قلووس وكتبوا الى كسرى يعلمونه ذلك فخرج كسرى بنفسه في خمسين ألف فارس حتى وافى جنوده وهم معسكرون بقلووس فأقام عندهم ريثما أراح ثم سار على رستاق يسمى شراه فنفذ منه الى همدان في طريق لا جبل فيه ولا عقبة حتى أفضى الى بطن همدان فمسكرك هناك وخذق على نفسه وسار اليه بسطام في جنوده فاقتلوا قتالا شديدا ثلاثة أيام لا ينهزم أحد من الفريقين عن صاحبه فلما رأى كسرى ذلك قال لكردى بن بهرام جشنس أخى بهرام شوبين لأبيه وأمه وكان من أنصح المرازبة لكسرى وأشدّهم له ودا وأسرعهم في طاعته

نهوضا فقال قد ترى ما نحن فيه من شدة هذه الحروب واني قد رجوت
 الراحة مما نحن فيه يباب لطيف قال وما هو أيها الملك قال ان أختك كردية
 امرأة بسطام متشوقة لا محالة الى الرجوع الى أهلها ووطنها وأنا أعلم أنها ان
 آثرت قتل بسطام قدرت لطمأ نيتته اليها ولما بلغني من صرامتها واقدامها
 وان هي قتلته فلها على ذمة الله أن أتزوجها وأجعلها سيدة نسائي وأجعل
 الملك من بعدى لولد ان كان لي منها وأنا كاتب ذلك بخطي فأرسل اليها
 حتى تعرض ذلك عليها وتنظر ما عندها فيه قال له كردى أيها الملك فاكتب
 لها بخطك ما تطمئن اليه وتعرف صدق قولك فيه لأوجه اليها بالكتاب مع
 امرأتى فاني لا أثق بسواها في كتمان السر فكتب لها كسرى بذلك وأكّد
 فأخذ كردى الكتاب ووجه مع امرأته الى كردية وقد كان بسطام خرج
 بها معه لشدة وجده بها فلما قرأت كردية كتاب كسرى عرفت وناقته فأفضت
 بسرّها الى ظلّورتها وثقاتها فزّين لها ذلك لتشوّفهنّ الى أوطانهن ولم يُنكر
 بسطام بحجى المرأة الى كردية لما عرف من إلف النساء وتزاورهنّ وان
 بسطام انصرف ذات عشاء الى مضر به الذى فيه كردية تعباً قدمسه الكلال
 لشدة الحرب فدعا بطعام فنال منه ثم دعا بشرا به فجعلت كردية تسقيه صرفا
 حتى غلبه السكر فنام فقامت الى سيفه فوضعت خطّته في ثنْدُوتِه وتحاملت عليه
 حتى خرج من ظهره ثم خرجت من ساعتها فتحملت في حشمتها وظلّورتها
 وقد كان أخوها كردى وقف لها على الطريق في خيل فلما انتهت اليه انطلق
 بها فأنزّلها في رحله . ولما أصبح أصحاب بسطام ووجدوه قتيلا ارتحلوا

هاربين نحو بلاد الديلم فوجه كسرى سابور بن أبركان في عشيرة الألبان فأخبره
وأمره أن يُقيم بقزوين فتكون مسلحة هناك وتمنع من أراد النفوذ من أرض
الديلم الى مملكته ثم تزوج كردية وضما اليه وانصرف الى المدائن ونزلت
كردية من قلبه بموضع محبة شديدة وشكرها ما كان منها وزاح عن كسرى
ما كان يجد في نفسه من الغضاضة بانتقامه من قتلة أبيه واطمان له ملكه
وهذا واستقر

(حروب ابرويز مع الروم)

قالوا ثم ان ابن قيصر ملك الروم قدم على كسرى ابرويز فأخبره أن
بطارقة الروم وعظاءها وثبوا على أبيه قيصر وأخيه ثيادوس بن قيصر فقتلواهما
جميعا وملكوا عليهم رجلا من قومهم يسمى كوكسان وذكرة بلاء أبيه وأخيه
عنده فغضب ابرويز له ووجه معه ثلاثة قواد أحدهم شاهين في أربعة وعشرين
ألف رجل فوغل في أرض الروم وبث فيها الغارات حتى انتهى الى خليج
القسطنطينية فسكر هناك والقائد الآخر بوزفسار نحو أرض مصر فأغار
وعاث وأفسد حتى انتهى الى الاسكندرية فافتتحها عنوة وسار الى البيعة
العظمى التي بالاسكندرية فأخذ أسقفها فعذبته حتى دلّه على الخشبة التي تزعم
النصارى أن المسيح صُلب عليها وكانت مدفونة في موضع قد زرع فوقها
الرياحين وأقائد الثالث شهر يارفسار حتى أتى الشام فقتل أهلها قتلا ذريما
حتى أخذها كلها عنوة فلما رأى عظاء الروم ما حلّ بهم من كسرى اجتمعوا
فقتلوا الرجل الذي كانوا ملكوه وقالوا ان مثل هذا لا يصلح للملك وملكوا

عليهم ابن عمّ لقيصر المقتول يسمى هرقل وهو الذي بنى مدينة هرقله فكانت هذه الغلبة التي ذكرها الله تعالى في كتابه . وان هرقل الذي ملكته الروم استجاش أهل مملكته وسار الى القائد الذي كان معسكرا على الخليج فخاربه حتى أخرجه من أرض الروم ثم صمد للذي كان بأرض مصر فطرده عنها ثم عطف على شهربار فأخرجه عن الشام فوافقت العساكر كلها الجزيرة وسار هرقل نحوهم فواقعهم فهزموهم حتى بلغ بهم الموصل وذلك بلغ كسرى فخرج في جنوده نحو الموصل وانضم اليه قواده الثلاثة وسار نحو هرقل فاقتلوا فانهزم الفرس فلما رأى ذلك كسرى غضب على عطاء جنوده وهرابته فأمر بهم فحبسوا ليقتلهم

(خلع ابرويزوملك ابنه شيرويه)

ولما رأى أهل المملكة ذلك ترأسوا وعزموا على خلع كسرى وتمليك ابنه شيرويه بن كسرى فخلعوه وملكوا شيرويه وحبسوا كسرى في بيت من بيوت القصر ووكّلوا به حيلوس رئيس المستميتة وكان ذلك سنة تسع من هجرة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وان شيرويه أمر أن يُنقل بأبيه من دار المملكة فيحبس في دار رجل من المرازبة يسمى هرسفته ففُتِح رأسه وحمل على برذون فانطأق به الى تلك الدار فحبس فيها ووكل به حيلوس في خمسمائة من الجنود المستميتة ثم ان عطاء أهل المملكة دخلوا على شيرويه وقالوا انه لا يصلح أن يكون علينا ملكا كان اثنان فاما أن تأمر بقتل أيك وتنفرد بالأمر أو نخلك ونرد الأمر اليه كما كان فهتت شيرويه هذه المقالة فقال

أجلوني يومى هذا

(رسالة بين ابرويز وشيرويه)

ثم أمر يزدان جشنس رئيس كتاب الرسائل فقال له انطلق عن رسالتنا
 لى أيننا وقل له ان الذى خلّ بك عقوبة من الله للذى سلف من سوء أعمالك
 أول ذلك ما كان منك الى أيبك هر مزد ومنها حظرك علينا معاشر أولادك
 ومنعك آيانا البراح وحبسك آيانا فى دار كهيئة الحبس بلا رقة ولا رحمة
 ومنها كفرانك انعام قيصر عليك وأياديه عندك فلم تحفظ فيه ابنه وأقاربه
 حتى أتوك يسألونك ان ترد عليهم خشبة الصليب التى بعث بها اليك شاهين من
 الاسكندرية فرددتهم عنها بلا حاجة منك اليها ولا درك لك فى حبسها ومنها
 ما أمرت به من قتل الثلاثين ألف رجل من رازبتك وعظاء أساورتك بزعمك
 أنهم أول من انهزم عن الروم ومنها كثرة ما جمعت من الاموال وكنزتها
 فى خزائنك من جبايتكها عن الخراج بأعنف العنف وانما ينبغى للملوك أن يملؤا
 خزائنهم مما يغمنون من بلاد أعدائهم بنحور الخيل وصدور الرماح لا مما
 يسألونه من رعيتهم ومنها قتلك النعمان بن المنذر وصرفك ملك أرضه عن
 ولده وأهل بيته الى غيرهم يعنى اياس بن قبيصة الطائي فلم تحفظ فيهم ما كان
 يحفظه أبائك من حضائته بهرام جور جدك ومعوته بعد أن خرج الملك عنه
 حتى رده عليه فكل هذه ذنوب ارتكبتها وآثام اقترقتها لم يكن الله ليرضى
 منك فأخذك بها . فانطلق يزدان جشنس فأبلغ كسرى رسالة شيرويه لم
 يخرم منها حرفا فقال له كسرى قد أبلغت فأد الجواب كما أدبت الرسالة قل
 لشيرويه القصير العمر القليل الغمر الناقص العقل نحن مجيوك عن جميع

ما أرسلت به إلينا من غير اعتذار لتزداد علما بجهلك أما رضانا بما ارتكب
 من آئينا فإني ما اطلعت على ما دبّر القوم من الوثوب به وقد علمت لما
 استوطدت لي السلطان أني لم أدع أحدا مالا على خلعه وأجلب عليه بارتكاب
 حقه الا قتله وختمت ذلك بخاليّ بندوية وبسطام مع ما كان من قيامها
 بأمرى وأما حظري عليكم معاشر أبنائنا فإني فرغتم لتعلم الأدب ومنعتم
 من الانتشار فيما لا يعنيكم ولم أقصر في مطاعكم مع ذلك ومصارفكم وملايسكم
 وطيبكم ومراكم وأما أنت خاصة فإن المنجمين قضوا في مولدك بتثريب
 ملكنا وقسّخ سلطاننا على يدك فلم نأمر بقتلك ومع ذلك كتاب قريميسيا ملك
 الهند إلينا يعلمنا ان في اقتضاء سنة ثمان وثلاثين من ملكنا يفضى إليك هذا
 الأمر فكتمنا ذلك الكتاب عنك مع علمنا أنه لا يفضى إليك الا بهلاكنا
 وذلك الكتاب مع قضية مولدك عند شيرين صاحبنا فان أردت فدونك
 فاقراها لتزداد حسرة وثبورا وأما ما ذكرت من كفراني نعمة قيصر بمنى
 ولده وأهل بيته خشب الصليب فأياها المائق ان أكثر من ذلك الخشب
 ثلاثون ألف ألف درهم فرقها في رجال الروم الذين قدموا معي وألف ألف
 درهم هدايا وجهتها الى قيصر ومثل ذلك وصلت ابنه ثيادوس عند رجوعه
 الى مملكته أفكنت أجودهم بخمسين ألف ألف درهم وأبخل بخشبة لاتساوى
 شيئا انما احتبستها لأرهن بها طاعتهم ولينقادوا لي في جميع ما أريده منهم
 لعظيم قدر الخشبة عندهم وأما غضبي لقيصر وطلبي بثأره فقد قتلت به من
 الروم ما لم يُحصَ عدده وأما قولك في أولئك المرازبة وروساء الأساورة الذين

هممت بقتلهم فان أولئك اصطنعتهم ثلاثين سنة وأسنت أعطياتهم وأعظمت
 حُبوتهم فلم أحتج اليهم في طول دهري إلا ذلك اليوم الذي فشلوا فيه وخاموا
 فسل أيها الأخرق فقهاء هذه الملة عن قصر في نُصرة ملكه وخام عن
 محاربة عدوه فسيُخبرونك انهم لا يستوجبون العفو ولا الرحمة فأماما عنتني به من
 جمع الاموال فان هذا الخراج لم يكن مني بدعة ولم يزل الملوك يجيئونني قبلي ليكون
 قوة للملك وظهرا للسلطان فان ملكا من ملوك الهند كتب الي جدي أتوشروان ان
 مملكتك شبيهة بياغ عامر عليه حائط وثيق وباب منيع فاذا انهدم ذلك الحائط أو
 تكسرت الأبواب لم يؤمن أن ترعى فيه الحمير والبقر وانما عني بالحائط الجنود وبأبوابه
 لأموال فاحتفظ أيها السخيف العقل بتلك الأموال فاتها حصنٌ للملك
 وقوامٌ للسلطان وظهيرٌ على الأعداء ومفخرة عند الملوك وأما ما زعمت من
 قتلى النعمان بن المنذر وازالتى الملك عن آل عمرو بن عدى الى اياس بن
 قبيصة فان النعمان وأهل بيته واطوا العرب وأعلموهم توكتهم خروج الملك
 عننا اليهم وقد كانت وقعت اليهم في ذلك كتب فقتله ووليت الأمر اعرابيا
 لا يعقل من ذلك شيئا انطلق الى شيرويه فأخبره بذلك كله فأبلغه يزدان
 جشنس لم يخرم منه شيئا فقلت شيرويه كآبةٌ ولما كان من الغد اجتمع
 عظماء أهل المملكة فدخلوا على شيرويه كما فعلوا بالأمس فخاف على نفسه
 فجعل يرسل الرجل بعد الرجل من مرزبته لقتل أيه فلا يقدم عليه أحد
 حتى بعث بشابٌ منهم يسمى يزدك بن مردان شاه مرزبان بابل وخطريئة
 فلما دخل عليه قال من أنت قال أنا ابن مردان شاه مرزبان بابل وخطريئة

قال له كسرى أنت لعمرى صاحبى وذلك انى قتلت أباك ظلما فضر به الغلام حتى قتله وانصرف الى شيرويه فأخبره فلطم شيرويه وجهه وتنف شعره وحبسه وانطلق فى عطاء أهل المملكة حتى استودعه الناوس ثم انصرف وأمر فقتل الغلام الذى قتل أباه . وفى ذلك العام الذى ملك فيه شيرويه توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر رضى الله عنه . ثم ان شيرويه لما ملك عمد الى اخوته وكانوا خمسة عشر رجلا ف ضرب أعناقهم مخافة أن يفسدوا عليه ملكه فسلطت عليه الامراض والأسقام حتى مات وكان ملكه ثمانية أشهر

(ملك شيرزاد بن شيرويه)

فلكت فارس عليها بعده ابنه شيرزاد بن شيرويه وكان طفلا ووكلا به رجلا يحضنه ويقوم بتدبير الملك الى أن أدرك . ولما بلغ شهر يار وهو مقيم فى وجه الروم مقتل كسرى أقبل فى جنوده حتى ورد المدائن وقد مات شيرويه وملك ابنه شيرزاد

(ملك شهر يار)

فانتصب الامر ودخل المدائن فقتل كل من مالا على قتل كسرى وخلعه وقتل شيرزاد وحاضنه وتولى أمر الملك ودعا نفسه ملكا وذلك فى العام الثانى عشر من التاريخ .

(ملك جوان شير)

فلما تمّ لملك شهر يار حول أنف عطاء أهل المملكة من أن يلى ملكهم

من ليس من أهل بيت المملكة فوثبوا عليه فقتلوه وملكوا عليهم جُوان
شیر بن کسرى وكان طفلا وأمه كردية أخت بهرام شوین فملك
حوالا ثم مات .

(ملك بوران)

فملكوا عليهم بوران بنت کسرى وذلك أن شیرويه لم يدع من
أخوته أحدا الا قتله خلا جوان شیر فانه كان طفلا فعند ذلك وهى سلطان
فارس وضعف أمرهم وفأت شوکتهم

(ابتداء حرب العرب مع العجم)

قالوا فلما أفضى الملك الى بوران بنت کسرى بن هرمرشاع فى أطراف الارضين
أنه لا ملك لأرض فارس وانما يلودون يباب امرأة فخرج رجالان من بكر بن وائل
يقال لاحدهما المثنى بن حارثة الشيبانى والآخر سوید بن قطبة العجلي فاقبلا
حتى نزلا فيمن جمعا بتخوم أرض العجم فكانا يُغيران على الدهاقين
فياخذان ماقدرا عليه فاذا طلبا أمعا فى البر فلا يتبعهما أحد وكان المثنى يغير
من ناحية الحيرة وسويد من ناحية الأبله وذلك فى خلافة أبى بكر فكتب
المثنى بن حارثة الى أبى بكر رضى الله عنه يُعلمه ضراوته بفارس ويُعرفه
وَهَنهم ويسأله أن يُمدّه بجيش فلما انتهى كتابه الى أبى بكر رضى الله عنه
كتب أبو بكر الى خالد بن الوليد وقد كان فرغ من أهل الردة أن يسير
الى الحيرة فيحارب فارس ويضمّ اليه المثنى ومن معه وكره المثنى ورود خالد
عليه وكان ظنّ ان أبى بكر سيوليه الامر فسار خالد والمثنى باصحابهما حتى أنالا

على الحيرة وتحصن أهلها في القصور الثلاثة ثم نزل عمرو بن بَقِيلَةَ وحديثه مع خالد وانه وجد معه شيئاً من البيش فاستفّه على اسم الله ولم يضره ذلك معروف ثم صالحوه من القصور الثلاثة على مائة ألف درهم يؤدونها في كل عام الى المسلمين ثم ورد كتاب أبي بكر على خالد مع عبد الرحمن بن جميل الجُمَحِيّ يأمره بالشخوص الى الشام ليمدّ أبا عُبَيْدَةَ بن الجراح بمن معه من المسلمين فمضى وخلف بالحيرة عمرو بن حزم الانصارى مع المثني وسار على الانبار وانحطّ على عين التمر وكان بها مسلحة لاهل فارس فرمى رجل منهم عمرو بن زياد بن حذيفة بن هشام بن المغيرة بنشابة فقتله ودُفن هناك وحاصر خالد أهل عين التمر حتى استنزهم بغير أمان فضرب أعناقهم وسبى ذراريهم ومن ذلك السبي أبو محمد بن سيرين وحُمران بن أبان مولى عثمان ابن عفان وقتل فيها خالد خفيرا كان بها من العرب يسمى هلال بن عقبة وصلبه وكان من النمر بن قاسط ومرّ بجحى من بني تغلب والنمر فأغار عليهم قتل وغنم حتى انتهى الى الشام

(الفتوح في عهد سيدنا عمر ابن الخطاب رضى الله عنه)

ولم يزل عمرو بن حزم والمثني بن حارثة يتطرقان أرض السواد ويغيران فيها حتى توفى أبي بكر رضى الله عنه وولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكانت ولاية عمر سنة ثلاث عشرة ثم ان عمر رضى الله عنه عزم على توجيه خيل الى العراق فدعا أبا عُبَيْدَةَ بن مسعود وهو أبو المختار بن أبي عبيد الثقفى فقعد له على خمسة آلاف رجل وأمره بالمسير الى العراق وكتب الى المثني

ابن حارثة ان ينضم بمن معه اليه ووجه مع أبي عبيد سليط بن قيس من بني
النجار الانصارى وقال لابي عبيد قد بعثت معك رجلا هو أفضل منك
اسلاما فاقبل مشورته وقال لسليط لولا انك رجل عجل في الحرب لوليتك
هذا الجيش والحرب لا يصلح لها الا الرجل المكث فسار أبو عبيد نحو الحيرة
لايمرّ بجي من أحياء العرب الا استنفرهم فتبعه منهم طوائف حتى انتهى الى
قَسّ الناطن فاستقبله المثنى فيمن معه وبلغ المعجم اقبال أبي عبيد فوجهوا
حردان شاه الحاجب في أربعة آلاف فارس فأمر أبو عبيد بالجسر فعمد ليعبر
اليهم فقال له المثنى أيها الامير لا تقطع هذه اللجة فتجعل نفسك ومن معك
غرضا لأهل فارس فقال له أبو عبيد جئت يا أخا بكر وعبر اليهم بمن معه
من الناس وولى أبا محجن الثقفي الخليل وكان ابن عمه ووقف هو في القلب
وزحف اليهم الفرس فاقتلوا فكان أبو عبيد أول قتيل فأخذ الراية أخوه
الحكم قُتِلَ ثم أخذها قيس بن حبيب أخو أبي محجن قُتِلَ وقُتِلَ سليط
ابن قيس الانصارى في نفر من الأنصار كانوا معه فأخذ المثنى الراية وانهزم
المسلمون فقال المثنى لعروة بن زيد الخليل الطائي انطلق الى الجسر فقف عليه
وحل بين المعجم وبينه وجعل المثنى يقاتل من وراء الناس ويحميهم حتى عبروا
ويوم جسر أبي عبيد معروف وسار المثنى بالمسلمين حتى بلغ الثعلبية فنزل
وكتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع عروة بن زيد الخليل فبكى عمر
وقال لعروة ارجع الى أصحابك فمرهم أن يقيموا بمكانهم الذي هم فيه فان
المدد وارد عليهم سريرا وكانت هذه الواقعة في شهر رمضان يوم السبت سنة

ثلاث عشرة من الساريخ ثم ان عمر بن الخطاب استنفر الناس الى العراق فحفوا في الخروج ووجه في القبائل يستجيش فقدم عليه مخنف بن سليم الازدي في سبعمائة رجل من قومه و قدم عليه الحُصين بن معبد بن زُرارة في جمع من بني تميم زهاء ألف رجل و قدم عليه عدي بن حاتم في جمع من طي و قدم عليه المنذر بن حسان في جمع من ضبة و قدم عليه أنس بن هلال في جمع من النمر بن قاسط فلما كثر عند عمر الناس عقد جرير بن عبدالله البجلي عليهم فصار جرير بالناس حتى وافى الثعلبية فضم اليه المثني فيمن كان معه و سار نحو الحيرة فمسكر بدير هند ثم بث الخيل في أرض السواد تغير و تحصن منه الدهاقين واجتمع عطاء فارس الى بوران فأمرت أن يتخير اثنا عشر ألف رجل من أبطال الأساورة و آت عليهم مهران بن مروية الهمداني فصار بالجيش حتى وافى الحيرة و زحف الفريقان بعضهم لبعض و لهم زجل كزجل الرعد و حمل المثني في أول الناس و كان في ميمنة جرير و حملوا معه و ثار العجاج و حمل جرير بسائر الناس من الميسرة و القلب و صدقتهم العجم القتال فجال المسلمون جولة فقبض المثني على لحيته و جعل ينتف ما تبعه منها من الأسف و زدى أيها الناس إلى إلى أنا المثني فثاب المسلمون فحمل بالناس ثانية و الى جانبه مسعود بن حارثة أخوه و كان من فرسان العرب فقتل مسعود فنادى المثني يا معشر المسلمين هكذا مصرع خياركم ارفعوا راياتكم و حض عدي بن حاتم أهل الميسرة و حرّض جرير أهل اقب و ذمّهم و قال لهم يا معشر بجيلة لا يكونن أحد أسرع الى هذا العدو منكم فان لكم في هذه البلاد إن فتحها

الله عليكم حظوة ليست لأحد من العرب فقاتلهم التماس إحدى الحسينين
فتداعى المسلمون وتحاضوا وثاب من كان انهزم ووقف الناس تحت راياتهم ثم
زحفوا فحمل المسلمون على العجم حملة صدقوا الله فيها وباشروا مهراة الحرب
بنفسه وقاتل قتالا شديدا وكان من أبطال العجم فقتل مهراة وذكروا ان
المثنى قتله فانهزمت العجم لما رأوا مهراة صريعاً واتبعهم المسلمون وعبد الله
ابن سليم الأزدي يقدهم واتبعه عروة بن زيد الخليل فصار المسلمون الى
الجسر وقد جازه بعض العجم وبقى بعض فصار من بقي منهم في أيدي المسلمين
ومضت العجم حتى لحقوا بالمدائن وانصرف المسلمون الى معسكرهم فقال
عروة بن زيد الخليل في ذلك

هاجَتَ لِعُرْوَةَ دَارُ الْحَيِّ أَحْرَانَا	وَاسْتَبَدَلْتُ بَعْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ هَمْدَانَا
وَقَدْ أَرَانَا بِهَا وَالشَّمْلُ مَجْتَمِعٌ	إِذْ بِالنُّخَيْلَةِ قَتَلَى جُنْدُ مِهْرَانَا
أَيَّامَ سَارِ الْمَثْنَى بِالْجَنُودِ لَمْ	قَتَلَ الْقَوْمَ مِنْ رَجُلٍ وَرُكْبَانَا
تَمَّا لِأَجْنَادِ مِهْرَانٍ وَشِيعَتِهِ	حَتَّى أَبَادَهُمْ مَثْنَى وَوُحْدَانَا
مَا إِنْ رَأَيْنَا أَمِيرًا بِالْعِرَاقِ مَضَى	مِثْلَ الْمَثْنَى الَّذِي مِنْ آلِ شَيْبَانَا
إِنَّ الْمَثْنَى الْأَمِيرُ الْقَرْمُ لَا كَذِبٌ	فِي الْحَرْبِ أَشْجَعُ مِنْ لَيْثٍ بِخَفَانَا

قالوا ولما أهلك الله مهراة ومن كان معه من عطاء العجم استمكن المسلمون
من الغارة في السواد وانتقضت مسالح الفرس وتشتت أمرهم واجترأ المسلمون
عليهم وشنوا الغارات ما بين سورا وكسكر والصراة الى الفلاليج والاسنانة
فقال أهل الخيرة للمثنى إن بالقرب منا قرية فيها سوق عظيم تقوم في كل

شهر مرة فتأتيها تجار فارس والأهواز وسائر البلاد فان قدرت على الغارة على تلك السوق أصبت أموالا رغبة يعنون سوق بغداد وكانت قرية تقوم بها سوق في كل شهر فأخذ المثنى على البرّ حتى أتى الأنبار فتحصن منه أهلها فأرسل الى بسفروخ مرزبانها ليسير اليه فيكلمه بما يريد وجعل له الأمان فأقبل المرزبان حتى عبر اليه فخلا به المثنى وقال انى أريد أن أغير على سوق بغداد فأريد أن تبعث معى أدلاء فيدلّونى على الطريق وتُسوّى لى الجسر لأعبر الفرات ففعل المرزبان ذلك وقد كان قطع الجسر لثلاثعبر العرب اليه فعبر المثنى مع أصحابه وبعث المرزبان معه الأدلاء فسار حتى وافى السوق ضحوة فهرب الناس وتركوا أموالهم فملؤا أيديهم من الذهب والفضة وسائر الأمتعة ثم رجع الى الأنبار ووافى معسكره ولما بلغ سُويد بن قُطبة المعجلى أمر المثنى بن حارثة وما نال من الظفر يوم مهران كتب الى عمر بن الخطاب يُعلمه وهنّ الناحية التي هو بها ويسأله أن يمدّه بجيش فدبّ عمر بن الخطاب لذلك الوجه عبّة بن غزوان المازنى وكان حليفا لبني نوفل بن عبد مناف وكانت له صحبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وضمّ اليه ألفى رجل من المسلمين وكتب الى سويد بن قطبة يأمره بالانضمام اليه فلما سار عبّة شيّه عمر رضى الله عنه فقال يا عبّة إن إخوانك من المسلمين قد غلبوا على الحيرة وما يليها وعبرت خيلهم الفرات حتى وطئت بابل مدينة هاروت وماروت ومنازل الجبارين وإن خيلهم اليوم لتغير حتى تُشارف المدائن وقد بعثتكَ فى هذا الجيش فاقصدِ قصدَ أهل الاهواز فاشغلْ أهل تلك الناحية أن يمدّوا

أصحابهم بناحية السواد على اخوانكم الذين هناك وقتلهم مما يلي الأبلّة ففسار عتبة بن غزوان حتى أتى مكان البصرة اليوم ولم تكن هناك يومئذ إلا الخريبة وكانت منازل خربة وبها مسالح لكسرى تمنع العرب من العيث في تلك الناحية فزها عتبة بن غزوان بأصحابه في الاخبية والقياب ثم سار حتى نزل موضع البصرة وهي اذ ذاك حجارة سود وحصى وبذلك سميت البصرة ثم سار حتى أتى الأبلّة فافتحها عنوة وكتب الى عمر رضى الله عنه أما بعد فان الله وله الحمد فتح علينا الأبلّة وهي مرقى سفن البحر من عُمان والبحرين وفارس والهند والصين وأغنمنا ذهبهم وفضتهم وذراريهم وأنا كاتب اليك ببيان ذلك إن شاء الله وبعث بالكتاب مع نافع بن الحرث بن كلدة الثقفي فلما قدم على عمر رضى الله عنه تباشر المسلمون بذلك فلما أراد نافع الانصراف قال لعمر يا أمير المؤمنين انى قد اقليتُ فلاءً بالبصرة واتخذت بها تجارة فاكتب الى عتبة بن غزوان أن يُحسن جوارى فكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى عتبة أما بعد فان نافع بن الحرث ذكر أنه قد اقلى فلاءً وأحب أن يتخذ بالبصرة داراً فاحسن جواره واعرف له حقه والسلام فخط له عتبة بالبصرة خطة فكان نافع أول من خطّ خطةً بالبصرة وأول من اقلى بها الافلاء وارتبط بها رباطاً ثم ان عتبة سار الى المذار وأظهره الله عليهم ووقع مرزبانها في يده فضرب عنقه وأخذ بزّته وفي منطقته الزمرد والياقوت وأرسل بذلك الى عمر رضى الله عنه وكتب اليه بالفتح فتباشر الناس بذلك وأكبوا على الرسول يسألونه عن أمر البصرة فقال ان المسلمين يهلون بها الذهب

والقضة هبلا فرغب الناس اليها في الخروج حتى كثروا بها وقوى أمرهم فخرج عتبة بهم الى فرات البصرة فافتحها ثم سار الى دسنت ميسان فافتحها بعد أن خرج اليه مرزبانها بمجنوده فالتقوا فقتل المرزبان وأنهزمت العجم فدخل مدينتها لا يمنعها شيء فحلف بها رجلا وسار الى أربقباد فافتحها ثم انصرف الى مكانه من البصرة وكتب الى عمر رضى الله عنه بما فتح الله عليه من هذه المدن والبلدان وبعث بالكتاب مع أنس بن الشيخ بن النعمان فاختلفت القبائل اليها حتى كثروا بها ثم ان عتبة استأذن عمر في القدوم عليه فأذن له فاستخلف المغيرة بن شعبة ثم خطب الناس حين أراد الخروج خطبة طويلة قال فيها أعود بالله أن أكون في نفسى عظيما وفي أعين الناس صغيرا وأنا سائر ولا قوة إلا بالله وستجربون الأمراء بعدى فتعرفون وكان الحسن البصرى يقول اذا تحدث بهذا الحديث قد جربنا الأمراء بعده فوجدنا له الفضل عليهم . وان عمر رضى الله عنه أقر المغيرة على ثغر البصرة فسار بالناس نحو ميسان فخرج اليه مرزبانها فخاربه فأظهر الله المسلمين وافتتح البلاد عنوة وكتب الى عمر بالفتح ثم كان من أمر المغيرة والنفر الذين رموه ما كان وبلغ ذلك عمر رضى الله عنه فأمر أبا موسى الأشعري بالخروج اليها وأن يصرف الخياط لمن هناك من العرب ويجعل كل قبيلة في محلة وأن يأمر الناس بالبناء وأن يبني لهم مسجدا جامعاً وأن يشخص اليه المغيرة بن شعبة فقال أبو موسى يا أمير المؤمنين فوجهه معي نفراً من الأنصار فان مثل الأنصار في الناس كمثل الملح في الطعام فوجهه معه عشرة من الأنصار فيهم أنس بن مالك والبراء بن

مالك فقدم أبو موسى البصرة وبعث اليه بالمغيرة بن شعبة والنفر الذين شهدوا عليه فسألم عمر رضى الله عنه فلم يصرّحوا فجلدهم وأمر المغيرة أن يلحق بالبصرة فيعاون أبا موسى على أمره ونظر أبو موسى الى زياد بن عبيد وكان عبدا مملوكا لتقيف فأعجبه عقله وأدبه فاتخذه كاتباً وأقام معه وقد كان قبل ذلك مع المغيرة بن شعبة

(ملك يزدجرد بن شهربار وواقعة القادسية)

قلوا فلما نظرت الفرس الى العرب قد حذقوا بهم وبثوا الغارات فى أرضهم قالوا فيما بينهم انما أتينا من تملك النساء علينا فاجتمعوا على يزدجرد ابن شهربار بن كسرى أبرويز فلكوه عليهم وهو يومئذ غلام ابن ست عشرة سنة وثبتت طائفة على آرميدخت فتحارب الفريقان فكان الظفر ليزدجرد فخلعت آرميدخت وتملك يزدجرد فجمع اليه أطرافه واستجاش أقطار أرضه وولى أمرهم رستم بن هرمز وكان محنكا قد جرّبه الدهور فسار رستم نحو القادسية وبلغ ذلك جرير بن عبد الله والمثنى بن حارثة فكتبوا الى عمر رضى الله عنه يخبرانه فندب عمر الناس فاجتمع له نحو من عشرين الف رجل فولى أمرهم سعد بن أبى وقاص فسار سعد بالجيش حتى وافى القادسية فضم اليه من كان هناك وتوفى المثنى بن حارثة رحمه الله فلما انقضت عِدّة امرأة المثنى تزوجها سعد بن أبى وقاص وأقبل رستم بجنوده حتى نزل دير الاعور. وان سعدا بعث طليحة بن خويلد الاسدى وكان من فرسان العرب فى جمع ليأتيه بمنزبر القوم فلما عاينوا سوادهم ورأوا كثرتهم قالوا لطليحة انصرف بنا

فقال لا ولكنى ماض حتى أدخل عسكرهم وأعلم علمهم فاتهموه وقالوا له
 ما نحسبك تريد الا اللحاق بهم وما كان الله ليهديك بعد قتلك عكاشة
 ابن محصن وثابت بن أقرم فقال لهم طليحة ملأ الرعب قلوبكم وأقبل طليحة
 حتى دخل عسكر الفرس ليلا فلم يزل يجوسه ليلته كلها حتى اذا كان وجه
 السحر مرّ بفارس منهم يعدّ بالف فارس وهو ناثم وفرسه مقيد فتزل فكّ
 قيده ثم شدّ مقوده بثغر فرسه وخرج من العسكر واستيقظ صاحب الفرس
 فنادى في أصحابه وركب في أثره فلحقوه وقد أضاء الصبح فبدر صاحب
 الفرس اليه ووقف له طليحة فاطعنا فقتله طليحة ولحقه فارس آخر فقتله طليحة
 ولحقه ثالث فأسره طليحة وحمله على دابته وأقبل به نحو عسكر المسلمين فكبر
 الناس ودخل على سعد وأخبره الخبر . وأقام رستم بدير الاعور معسكرا
 أربعة أشهر وأرادوا مطاولة العرب ليضجروا وكان المسلمون اذا فئيت أزوادهم
 وأعلافهم جردوا الخيل فأخذت على البرّ حتى تهبط على المكان الذى
 يريدون ويغيرون فيصرفون بالطعام والعلف والمواشى ثم ان عمر رضى الله
 عنه كتب الى أبى موسى يأمره أن يمدّ سعدا بالخيال فوجه اليه أبو موسى
 المغيرة بن شعبة فى الف فارس وكتب الى أبى عبيدة بن الجراح وهو بالشام
 يحارب الروم أن يمدّ سعدا بخيل فأمدّه بقيس بن هُبيرة المرادى فى
 ألف فارس وكان فى القوم هاشم بن عتبة بن أبى وقاص وكانت عينه فقئت
 يوم اليرموك وفيهم الأشعث بن قيس والأشتر النخعى فساروا حتى قدموا
 على سعد بالقادسية . وان يزدجرد الملك كتب الى رستم يأمره بمناجزة

العرب فزحف رستم بجنوده وعساكره حتى وافى القادسية فسكر على ميل من معسكر المسلمين وجرت الرسل فيما بينه وبين سعد شهرا ثم أرسل الى سعد أن ابعث الى من أصحابك رجلا له فهم وعقل وعلم لأكلمه فبعث اليه بالمغيرة بن شعبة فلما دخل عليه قال له رستم ان الله أعظم لنا السلطان وأظهرنا على الأمم وأخضع لنا الأقاليم وذلل لنا أهل الأرضين ولم يكن في الأرض أمة أصغر قدرا عندنا منكم لأنكم أهل قلة وذلة وأرض جدبة ومعيشة ضنك فما حملكم على تخطيكم الى بلادنا فان كان ذلك من قحط نزل بكم فانا نوسعكم ونفضل عليكم فارجعوا الى بلادكم فقال له المغيرة أما ما ذكرت من عظيم سلطانكم ورفاهة عيشكم وظهوركم على الأمم وما أوتيتم من رفيع الشأن فنحن كل ذلك عارفون وسأخبرك عن حالنا ان الله وله الحمد أنزلنا بقفار من الأرض مع الماء النزر والعيش القشف يأكل قويننا ضعيفنا وتقطع أرحامنا وتقتل أولادنا خشية الاملاق ونعبد الأوثان فينا نحن كذلك بعث الله فينا نبيا من صميمنا وأكرم أرومة فينا وأمره أن يدعو الناس الى شهادة أن لا اله الا الله وأن نعمل بكتاب أنزله الينا فأما ما به وصدقناه فأمرنا أن ندعو الناس الى ما أمره الله به فمن أجابنا كان له ما لنا وعليه ما علينا ومن أبي ذلك سألتاه الجزية عن يد فمن أبي جاهدناه وأنا أدعوك الى مثل ذلك فان آيت فالسيف وضرب يده مشيرا بها الى قائم سيفه فلما سمع ذلك رستم تعاضه ما استقبله به واغتاض منه فقال والشمس لا يرتفع الضحى غدا حتى أقتلكم أجمعين . فانصرف المغيرة الى سعد فأخبره بما جرى بينهما وقال لسعد

استعد للحرب فأمر الناس بالتهيؤ والاستعداد فبات الفريقان يكتبون الكتاب
ويعبون الجنود وأصبحوا وقد صفوا الصفوف ووقفوا تحت الرايات وكانت
بسعد علة من خُرَّاج في فخذة قد منعه الركوب فولى أمر الناس خالد بن
عُرْفُطَة وولى القلب قيس بن هبيرة وولى الميمنة شرحبيل بن السمط وولى
الميسرة هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وولى الرجالة قيس بن خُرَيْم وأقام هو
في قصر القادسية مع الحرم والذرية ومعه في القصر أبو محجن الثقفي محبوسا
في شراب شربه . ثم ان سعدا تقدم الى عمرو بن معدى كرب وقيس بن
هبيرة وشرحبيل بن السمط وقال انكم شعراء وخطباء وفرسان العرب فدوروا
في القبائل والرايات وحرصوا الناس على القتال . قال ثم زحف الفريقان بعضهم
الى بعض وقد صف العجم ثلاثة عشر صفا بعضها خلف بعض وصفت العرب
ثلاثة صفوف فرشتهم العجم بالنشاب حتى فشت فيهم الجراحات فلما رأى
قيس بن هبيرة ذلك قال لخالد بن عرفطة وكان أمير الامراء أيها الأمير انا
قد صرنا لهؤلاء القوم غرَضاً فاحمل عليهم بالناس حملة واحدة فقطاعن الناس
بالرماح ملياً ثم أبيضوا الى السيوف وكان زيد بن عبد الله النخعي صاحب
الحملة الأولى فكان أول قتيل فأخذ الراية أخوه أرطاة فقتل ثم حملت بجيلة
وعليها جرير بن عبد الله وحملت الازد وثار القمام واشتد القتال فانهزمت
العجم حتى لحقوا برستم فترجل رستم وترجل معه الاساورة والمرازبة وعظاء
الفرس وحملوا فجال المسلمون جولة وكلم أبو محجن أم ولد سعد فقال أطلقيني
من قيدي ولك على عهد الله أن لم أقتل أن أرجع الى محبسى هذا وقيدي

فجعلت وحملته على فرس لسعد أبلقَ فأنتهى الى القوم مما يلي الازد وبجيلة مما يلي الميمنة فجعل يحمل ويكشف العجم وقد كانوا كثروا على بجيلة فجعل سعد يعجب ولا يدري من هو ويعرف الفرس . وبعث سعد الى جرير ابن عبد الله وكان معه لواء بجيلة والى الأشعث بن قيس ومعه لواء كندة والى رؤساء القبائل أن احموا على القوم من ناحية الميمنة على القلب فحمل الناس عليهم من كل وجه وانتقضت تعبية الفرس وقتل رستم وولت العجم هاربة وانصرف الى محبسه أبو محجن وطلب رستم في المعركة فأصيب بين القتلى وبه مائة جراحة ما بين طعنة وضربة ولم يدر من قتله ويقال بل ارتطم في نهر القادسية فغرق . وانتهت هزيمة العجم الى دير كعب فنزلوا هناك فاستقبلهم النخارجان وقد وجهه يزدجرد مددا فوقف بدير كعب فكان لا يمرُّ به أحد من الفلِّ الا حبسه قبله . ثم عبي القوم وكتبوا كتابهم ووقفوا موافقهم حتى واقهم العرب وتواقف الفريقان وبرز النخارجان فنادى مرد ومردأى رجل ورجل فخرج اليه زهير بن سليم أخو مخنف بن سليم الأزدى وكان النخارجان سمينا بدينا جسيما وزهير رجلا مربوعا شديد العضدين والساعدين فرمى النخارجان بنفسه عن دابته عليه فاعتركا فصرعه النخارجان وجلس على صدره واستلَّ خنجره ليذبحه فوقعت ابهام النخارجان في فم زهير فمضغها واسترخى النخارجان وانقلب عليه زهير وأخذ خنجره وأدخل يده تحت ثيابه فبهجه وقتله . وكان بردون النخارجان مدربا فلم يبرح فركبه زهير وقد سلبه سواريه ودرعه وقبائه ومنطقته فأتى به سعدا فأغنمه آياه وأمره سعد أن يتزيا بزیه

ودخل على سعد فكان زهير بن سليم أوّل من لبس من العرب السوارين -
وحمل قيس بن هبيرة على جيلوس رأس المستميتة فقتله وحمل المسلمون من
كل جانب فانهزمت العجم وبادر جرير بن عبد الله الى القنطرة فعطفوا
عليه فاحتملوه برماحهم فسقط الى الأرض ولحقه أصحابه وهربت عنه العجم
ولم يصبه شيء وعار فرسه فلم يلحق فأتى بيرذون من مراكب الفرس في عنقه
قلادة زمرد فركبه وذهبت العجم على وجوها حتى لحقت بالمدائن وكتب
سعد الى عمر رضی الله عنه بالفتح وكان عمر رضی الله عنه يخرج في كل يوم
ماشيا وحده لا يدع أحدا يخرج معه فيمشي على طريق العراق ميلين أو
ثلاثة فلا يطلع عليه راكب من جهة العراق الا سأله عن الخبر فيناهو كذلك
يوما طلع عليه البشير بالفتح فلما رآه عمر رضی الله عنه ناداه من بعيد ما الخبر
قال فتح الله على المسلمين وانهزمت العجم وجعل الرسول يُخبّ ناقته وعمر
يعدو معه ويسأله ويستخبره والرسول لا يعرفه حتى دخل المدينة كذلك
فاستقبل الناس عمر رضی الله عنه يسلمون عليه بالخلافة وإمرة المؤمنين فقال
الرسول وتخير سبحانه الله يا أمير المؤمنين ألا أعلمتني فقال عمر لا عليك ثم
أخذ الكتاب فقرأه على الناس

(تمصير الكوفة)

وأقام سعد في عسكره بالقادسيّة الى أن أتاه كتاب عمر يأمر أن يضع
لمن معه من العرب دار هجرة وان يجعل ذلك بمكان لا يكون بين عمر وبينهم
بحرّ فسار الى الانبار ليجعلها دار هجرة فكرها لكثرة الذباب بها ثم ارتحل

الى كُوَيْفَةَ ابن عمر فلم يُعجبه موضعها فأقبل حتى نزل موضع الكوفة اليوم
فخطبها خططا بين من كان معه وبنى لنفسه القصر والمسجد . وبلغ عمر أن
سعدا علقَ بابا على مدخل القصر فأمر محمد بن مسلمة أن يسير الى الكوفة
فيدعو بنار فيحرق ذلك الباب وينصرف من ساعته وأقبل محمد فسار حتى
دخل الكوفة وفعل ما أمر به وانصرف من ساعته وأخبر سعد فلم يُحرجوا
وعلم أن ذلك من أمر عمر فقال بشر بن أبي ربيعة

ألمَّ خَيْالٌ من أُمَيْمَةَ مَوْهِنًا	وقد جَعَلْتِ احْدَى النجومِ تَغُورُ
ونحن بصَحراءِ العَدِيبِ ودُونِها	حِجَازِيَّةٌ انَّ المَحَلَّ شَطِيرُ
فزارتْ غَرِيبًا نازحًا جِل ماله	جَوادٌ ومفتوقُ الفِرارِ طَرِيرُ
وحلَّتْ ياب القادِسيَّةِ ناعِي	وسعدُ بن وقاصٍ على أميرُ
تذكرُ هداك اللهُ وَقَعَ سِوفِنا	ياب قُدَيْسٍ والمَكْرُ غَرِيرُ
عَشِيَّةٌ ودَّ القومُ لو أنَّ بعضَهم	يُعارُ جَناحِي طائرٍ فيطِيرُ
إذا برزتْ منهم الينا كَتِيبةٌ	أتونا بأخرى كالجِبَالِ تَمُورُ
فضاربتُهم حتى تفرَّقَ جَمْعُهم	وطاعنتُ انى بالطعانِ بصيرُ
وعمرُو أبو ثورٍ شَهِيدٌ وهاشِمٌ	وقيسٌ ونُعَمانُ الفَتَى وجَرِيرُ

وقال عُرْوَةُ بن الوَرْدِ

لقد علمتْ عمرُو ونَبهانُ أني	أنا الفارسُ الحارِمي إذا القومُ أُدْبِروا
وانى إذا كَرُوا شددتُ أمامَهم	كأنى أخو قِصَباءِ جَهْمٌ غَضَنَفَرُ
صبرتُ لأهل القادِسيَّةِ مُعلَمًا	ومثلى إذا لم يصبرِ القَرْنُ يصبرُ

فطاعنهم بالرُمح حتى تبددوا وضاربهم بالسيف حتى تَكَرَّكروا
بذلك أوصاني أبي وأبو أبي بذلك أوصاه فليستُ أُقصرُ
حمدتُ إلهي إذ هداني لدينه فله أسعى ما حيتُ وأشكرُ

وقال قيس بن هبيرة

جلبتُ الخيلَ من صنعاء تَردي بكلِّ مُدَجِّجٍ كاللَيْثِ حامي
إلى وادِ القُرَى فديارِ كلب إلى اليرموك والبلدِ الشامي
فما أن زوينا الرومَ عنها عطفناها ضوامرَ كالجلامِ
فأبنا القادسيةَ بعدَ شهرٍ مُسوِّمةً دوابرُها دوايمي
فناهضنا هناك جموعَ كسرى وأبناء المرازبة العظامِ
فما أن رأيتُ الخيلَ جالت قصدتُ لموقفِ الملكِ الهمامِ
فاضربُ رأسه فهوى صريعاً بسيفٍ لا أفلَّ ولا كهامِ
وقد أبلى الإلهُ هناك خيراً وفعلُ الخيرِ عند الله نامي
نُفِّقُ هامهم بمُنَداتٍ كأنَّ فراشها قَيْضُ النعامِ

(فتح المدائن)

قالوا ولما انهزمت العجم من القادسية وقتل صناديدهم مروا على وجوههم
حتى لحقوا بالمدائن وأقبل المسلمون حتى نزلوا على شطِّ دجلة بازاء المدائن
ففسكروا هناك وأقاموا فيه ثمانية وعشرين شهراً حتى أكلوا الرطب مرتين
وضحوا أضحيتين فلما طال ذلك على أهل السواد صالحه عامة الدهاقين بتلك
الناحية . ولما رأى يزدجرد ذلك جمع إليه عظماء مرازبته فقسم عليهم بيوت

أمواله وخزائنه وكتب عليهم بها القبالات وقال ان ذهب ملكنا فأنتم أحق به وان رجع رددتموه علينا ثم تحمّل في حرّمه وحشمه وخاصة أهل بيته حتى أتوا محلوان فنزلها وولى خرّزاد بن هرمز أخا رستم المقتول بالقادسيّة الحرب وخلفه بالمدائن . وبلغ ذلك سعدا فتأهب وأمر أصحابه أن يقتحموا دجلة وأبتدأ فقال بسم الله ودفع فرسه فيها ودفع الناس فسلموا عن آخرهم إلا رجلا غرق وكان على فرس شقراء فخرج الفرس تنفض عُرقها وغرق راكبها وكان من طيِّ يسى سُلَيْك بن عبد الله فقال سلمان وكان حاضرا يومئذ يا معشر المسلمين ان الله ذلّل لكم البحر كما ذلّل لكم البرّ أما والذي نفس سلمان بيده ليُغيّرَنَّ فيه وليبدلَنَّ قالوا ولما نظرت الفرس الى العرب قد أقحموا دوابّهم الماء وهم يعبرون تنادوا ديوان آمدند ديوان آمدند فخرج خرّزاد في الخيل حتى وقف على الشريعة ونادى يا معشر العرب البحر بحرنا فليس لكم أن تقتحموه علينا وأقبلوا يرمون العرب بالنشاب واقتحم منهم ناس كثير الماء فقاتلوا ساعة وكأثرتهم العرب فخرجت الفرس من الشريعة وخرج المسلمون وقتلوهم مليّاً وانهمزمت العجم حتى دخلت المدائن فتحصنوا فيها وأناخ المسلمون عليهم مما يلي دجلة فلما نظر خرّزاد الى ذلك خرج من الباب الشرقي ليلا في جنوده نحو جُلّولاء وأخلى المدائن فدخلها المسلمون فأصابوا فيها غنائم كثيرة ووقعوا على كافور كثير فظنّوه ملحا فجعلوه في خبزهم فأمر عليهم . وقال مخنف ابن سُلَيْم لقد سمعت في ذلك اليوم رجلا ينادى من يأخذ صحيفة حمراء بصحفة بيضاء لصحفة من ذهب لا يعلم ما هي . وكتب سعد الى عمر رضى الله

عنه بالفتح وأقبل عِلْج من أهل المدائن الى سعد فقال أنا أدلكم على طريق
تدركون فيه القوم قبل أن يُبعثوا في السير فقدّمه سعد امامه واتبعته الخيل
فقطع بهم مخايضَ وصحارى

(وقعة جلولاء)

ثم ان خرزادما انتهى الى جلولاء أقام بها وكتب الى يزيد جرد وهو
بجُلوان يسأله المدد فأمدّه فخندق على نفسه ووجهوا بالذرارى والاثقال الى
خاتقين ووجه سعد اليهم بنخيل وولى عليها عمرو بن مالك بن نجبة بن نوفل
ابن وهب بن عبد مناف بن زهرة فسار حتى وافى جلولاء والمعجم مجتمعون
قد خندقوا على أنفسهم فنزل المسلمون قريبا من معسكرهم وجعلت الامداد
تقدم على المعجم من الجبل واصبهان فلما رأى المسلمون ذلك قالوا لاميرهم
عمرو بن مالك ما تنتظر بماهضة القوم وهم كل يوم في زيادة فكتب الى
سعد بن أبى وقاص يُعلمه ذلك ويستأذنه في مناجزة القوم فأذن له سعد
ووجه اليه قيس بن هبيرة مددا في ألف رجل أربعمائة فارس وستمائة راجل
وبلغ المعجم أن العرب قد أتاهم المدد فأتاهم للحرب وخرجوا ونهض اليهم
عمرو بن مالك في المسلمين وعلى ميمته حُجر بن عدى وعلى ميسرته زهير
ابن بُجوية وعلى الخيل عمر بن معدى كرب وعلى الرجالة طليحة بن خويلد
فتراحف الفريقان وصبر بعضهم لبعض فتراموا بالسهم حتى أفندوها وتطاعنوا
بالرماح حتى كسروها ثم أفضوا الى السيوف وعمد الحديد فاقتلوا يومهم ذلك
كله الى الليل ولم يكن للمسلمين فيه صلاة الا ايماء والتكبير حتى اذا اصفرت

الشمس أنزل الله على المسلمين نصره وهزم عدوهم فقتلوهم الى الليل وأغنمهم الله عسكرهم بما فيه . فقال محقن بن ثعلبة فدخلت في معسكرهم الى فسطاط فاذا أنا بجارية على سرير في جوف الفسطاط كأن وجهها داره القمر فلما نظرت الى فزعت وبكت فأخذتها وأتيت الأمير عمرو بن مالك فاستوهبته إياها فوهبها لي فأخذتها أم ولد . وأصاب خارجة بن الصلت في فسطاط من فساطيطهم ناقة من ذهب موشحة باللؤلؤ والدرّ الفارد والياقوت عليها تمثال رجل من ذهب وكانت على كبر الظبية فدفعها الى المتولى لقبض الغنائم . قال ومرت الفرس على وجوهها لا تلوى على شيء حتى انتهت الى يزدجرد وهو بخلوان فسقط في يديه فتحمل بحرمه وحشمه وما كان معه من أمواله وخزائنه حتى نزل قم وقاشان . وأصاب المسلمون يوم جلولاء غنيمة لم يغنموا مثلها قط وسبوا سبياً كثيراً من بنات أحرار فارس فذكروا أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يقول اللهم انى أعوذ بك من أولاد سبايا الجلوليات فأدرك أبناؤهن قتال صفين . فخلف عمرو بن مالك بجلولاء جرير بن عبد الله البجلي في أربعة آلاف فارس مسلحة بها ليردوا العجم عن نفوذها الى ما يلي العراق وسار ببقية المسلمين حتى وافى سعد بن أبي وقاص وهو مقيم بالمداثرن فارتحل سعد بالناس حتى ورد الكوفة وكتب الى عمر رضى الله عنه بالفتح وأقام سعد أميراً على الكوفة وجميع السواد ثلاث سنين ونصفاً ثم عزله عمر وولى مكانه عمار بن ياسر على الحرب وعبد الله بن مسعود على القضاء وعمرو ابن حنيفة على الخراج

(فتح تستر)

قالوا ولما انتهت هزيمة العجم الى حلوان وخرج يزدجرد هارباً حتى نزل
قم وقاشان ومعه عطاء أهل بيته وأشرفهم قال له رجل من خاصته وأهل بيته
يسى هرمزان وكان خال شيرويه بن كسرى ابرويز أيها الملك ان العرب
قد اقتحمت عليك من هذه الناحية يعني حلوان ولهم جمع بناحية الاهواز ليس
في وجوههم أحد يردهم ولا يمنعهم من العيث والفساد يعني خيل أبي موسى
الاشعري ومن كان معه قال يزدجرد فما الرأي قال الهرمزان الرأي أن توجهني
الى تلك الناحية فأجمع إلى العجم وأكون رذءاً في ذلك الوجه وأجمع لك
الأموال من فارس والاهواز وأحملها اليك لتقوى بها على حرب أعدائك
فأعجبه ذلك من قوله وعقد له على الاهواز وفارس ووجه معه جيشاً كثيراً
فأقبل الهرمزان حتى وافى مدينة تستر فنزلها ورم حصنها وجمع الميرة فيها
لحصار ان رهقه وأرسل فيمن يليه يستنجدهم فوافاه بشر عظيم فكتب أبو موسى
الى عمر بن الخطاب فكتب عمر رضى الله عنه الى عمار بن ياسر يأمره أن يوجه
النعمان بن مقرن في ألف رجل من المسلمين الى أبي موسى فكتب عمار الى
جرير وكان مقياً بجولاء يأمره بالحقق بأبي موسى فخلف جرير بجولاء عروة
ابن قيس البجلي في ألفي رجل من العرب وسار ببقية الناس حتى لحق بأبي
موسى . فكتب أبو موسى الى عمر يستزيده في المدد فكتب عمر الى عمار
يأمره أن يستخلف عبد الله بن مسعود على الكوفة في نصف الناس ويسير
بالنصف الآخر حتى يلحق بأبي موسى فسار عمار حتى ورد على أبي موسى

وقد وافاه جرير من ناحية جلولاء فلما توافقت العساكر عند أبي موسى ارتحل بالناس وسار حتى أناخ على تسبر وتحصن الهرمزان منه في المدينة ثم تاهب للحرب وخرج الى أبي موسى وعبي أبو موسى المسلمين فجعل على ميمنته البراء ابن مالك أخا أنس بن مالك وعلى يسارته مجزأة بن ثور البكري وعلى جميع الناس أنس بن مالك وعلى الرجالة سلمة بن رجاء وتزاحف الفريقان فاقتلوا قتالا شديدا حتى كثرت القتلى بين الفريقين ثم أنزل الله نصره فانهمزمت الأعاجم حتى دخلوا مدينة تسبر فتحصنوا بها وقتل البراء بن مالك ومجزأة ابن ثور وقتل من الأعاجم في المعركة ألف رجل وأسروا منهم ستمائة أسير فقدّمهم أبو موسى فضرب أعناقهم . وأقام المسلمون على باب مدينة تسبر أياما كثيرة وحاصروا العجم بها فخرج ذات ليلة رجل من أشرف أهل المدينة فأتى أبا موسى مستسرا فقال توّمنى على نفسي وأهلى وولدى ومالى وضياعى حتى أعمل فى أخذك المدينة عنوة قال أبو موسى ان فعلت فلك ذلك قال الرجل وكان اسمه سينة ابث معى رجلا من أصحابك فقال أبو موسى أيها الناس من رجل يشرى نفسه ويدخل مع هذا العجمي مدخلا لا آمن عليه فيه الهلاك ولعل الله أن يسلمه فان يهلك فالى الجنة وإن يسلم عمت منفعته جميع الناس فقام رجل من بنى شيبان يقال له الأشرس بن عوف فقال أنا فقال أبو موسى أمض كلاك الله فمضى حتى خاض به دجيل ثم أخرجه فى سرب حتى انتهى به الى داره ثم أخرجه من داره وألقى عليه طيلسانا وقال امش ورائى كأنك من خدمى ففعل فجعل سينة يمرّ به فى أقطار المدينة طولا وعرضا حتى

اتّهى به الى الاحراس الذين يحرسون أبواب المدينة ثم انطلق حتى مرّ به على الهرمزان وهو على باب قصره ومعه ناس من مرازبته وشمع أمامه حتى نظر الرجل الى جميع ذلك ثم انصرف الى داره وأخرجه من ذلك السرب حتى أتى به أبا موسى فأخبره الاشرس بجميع ما رأى وقال وجّه معى مائتى رجل حتى أقصد بهم الحرس فاقتلهم وأفتح لك الباب ووافنا أنت بجميع الناس فقال أبو موسى من يشتري نفسه لله فيمضى مع الاشرس فاتدب مائتا رجل فمضوا مع الاشرس وسينة حتى دخلوا من ذلك الثقب وخرجوا فى دار سينة وتأهبوا للحرب ثم خرجوا والاشرس أمامهم حتى انتهوا الى باب المدينة وأقبل أبو موسى فى جميع الناس حتى واقوا الباب من خارج وأقبل الاشرس وأصحابه حتى أتوا الاحراس فوضعوا فيهم السيوف وتداعى الناس وأسندوا ظهورهم الى حائط السور وأبو موسى أصحابه يكبرون لتشتدّ بذلك ظهورهم وأفضى أصحاب الاشرس الى الباب فضربوا القفل حتى كسروه وفتحوا الباب ودخل أبو موسى والمسلمون فوضعوا فيهم السيوف وهرب الهرمزان فى عظام مرازبته حتى دخلوا الحصن الذى فى جوف المدينة وأخذ أبو موسى المدينة بما فيها وحاصروا الهرمزان حتى فنى ما كان أعدّ فى الحصن من الميرة ثم سأل الأمان فقال أبو موسى أوئمنك على حكم أمير المؤمنين فرضى بذلك وخرج فيمن كان معه من أهل بيته ومرازبته الى أبى موسى فوجه به وبهم أبو موسى الى عمر رضى الله عنه ووجه معه ثلاثمائة رجل وأمر عليهم أنس بن مالك فساروا حتى انتهوا الى ماء يقال له السمينّة فأقبل أهل الماء يمنعونهم من

التزول خوفاً من أن ينفوا ماءهم فلما علموا أن أنسا صاحب القوم جاؤهم فنزلوا
فقال رجل من أصحاب أنس لأنس أخبر أمير المؤمنين بما صنع هؤلاء
بنا ليخرجهم من هذا الماء قال الهرمزان وإن أراد مرید أن يحوّلم إلى مكان
شر منه هل كان يجده ثم ساروا حتى وافوا المدينة فأتوا دار عمر وقد زينوا
الهرمزان بقبائمه ومنطقته وسيفه وسواريه وتوأمته وكذلك من كان معه
لينظر عمر رضى الله عنه إلى زى الملوك والمرازية وهيئتهم فكان من خبره
ما هو مشهور . وانصرف عمار بن ياسر فيمن كان معه من أصحابه إلى
أوطانهم بالكوفة وسار أبو موسى من تستر حتى أتوا السوس فحاصرها فسأله
مرزبانها أن يؤمنه في ثمانين رجلاً من أهل بيته وخاصة أصحابه فأجابته إلى
ذلك فخرج إليه فعدّ ثمانين رجلاً ولم يعد نفسه فأمر أبو موسى به فضربت
عنقه وأطلق الثمانين الذين عهدهم ثم دخل المدينة فغنم . وفيها ثم بعث منجوف
ابن ثور إلى مهرجاتنق فافتتحها ومعه السائب بن الأقرع فاتهمى السائب
إلى قصر الهرمزان صاحب تستر وكان موطنه الصيمرة فدخل القصر وكان
من المدينة على ميل فنظر في بعض البيوت إلى تمثال في الحائط ماذا أصعبه
مصوبها إلى الأرض فقال السائب ما صوّبت أصعبُ هذا التمثال إلى هذا
المكان إلا أمر أحفروا ها هنا فحفروا فأصابوا سفظا كان للهرمزان مملوءاً
جوهراً فاحتبس منه السائب فصّ خاتم وسرّح بالباقي إلى أبي موسى وأعلمه
أنه أخذ منه فصاً فسأله أن يهبه له ففعل أبو موسى ووجه بالسفظ إلى عمر
رضى الله عنه فأرسل عمر إلى الهرمزان وقال هل تعرف هذا السفظ فقال

نعم أفقد منه فصا قال عمر ان صاحب المقسم استوهبه فوهبه له أبو موسى
فقال ان صاحبكم لبصير بالجوهر ثم ان عمرولى عثمان بن أبي العاص أرض
البحرين فلما بلغه فتح الأهواز سار بمن كان معه حتى وغل فى أرض فارس
فزل مكانا يسمى توج فصيره دار هجرة وبنى مسجدا جامعا فكان يجارب
أهل أردشير حتى غلب على طائفة من أرضهم وغلب على ناحية من بلاد
سابور وبلاد اصطخر وأرجان فمكث بذلك حولا ثم خلف أخاه الحكم
ابن أبي العاص على أصحابه ولحق بالمدينة . وان مرزبان فارس جمع جموعا
عظيمة وزحف الى الحكم فظفر به الحكم فقتله وكان اسمه سهرك

(وقعة نهاوند)

ثم كانت وقعة نهاوند سنة احدى وعشرين وذلك أن العجم لما قتلوا
بجولاء وهرب يزدجرد الملك فصار بقم ووجه رسله فى البلدان يستجيش
فغضب له أهل مملكته فأنحلت اليه الأعاجم من أقطار البلاد فأتاه أهل
قوس وطبرستان وجرجان ودُنياوند والرى وأصبهان وهمدان والماهين
واجتمعت عنده جموع عظيمة فولى أمرهم مردان شاه بن هرمز ووجههم الى
نهاوند وكتب عمار بن ياسر الى عمر بن الخطاب بذلك فخرج عمر بن الخطاب
رضى الله عنه ويده الكتاب حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال
يامعشر العرب ان الله أيدكم بالاسلام وألف بينكم بعد الفرقة وأغناكم بعد
الفاقة وأظفركم فى كل موطن لقيتم فيه عدوكم فلم تغلوا ولم تغلبوا وأن الشيطان
قد جمع جموعا ليطغى نور الله وهذا كتاب عمار بن ياسر يذكر ان أهل

قومس وطبرستان ودنباوند وجرجان والرى وأصبهان وقمّ وهذان والماهين
وماسبذان قد أجنلوا الى ملكهم ليسيروا الى اخوانكم بالكوفة والبصرة
حتى يطردوهم عن أرضهم ويغزوكم في بلادكم فأشيروا علىّ فكلّم طلحة
ابن عبيد الله فقال ياأمير المؤمنين ان الأمور قد حنكتك وان الدهور قد
جرّبتك وأنت الوالى فمرنا نطع واستنهضنا نهض ثم تكلم عثمان بن
عفان فقال ياأمير المؤمنين أكتب الى أهل الشام فيسيروا من شامهم والى
أهل اليمن فيسيروا من بينهم والى أهل البصرة فيسيروا من بصرتهم وسرّ
أنت بأهل هذا الحرم حتى توافى الكوفة وقد وافاك المسلمون من أقطار
أرضهم وآفاق بلادهم فانك اذا فعلت ذلك كنت أكثر منهم جمعاً وأعزّ نفراً
فقال المسلمون من كل ناحية صدق عثمان فقال عمر لعلّ رضى الله عنهما
ما تقول أنت ياأبا الحسن فقال علىّ رضى الله عنه انك ان أشخصت أهل
الشام من شامهم سارت الروم الى ذراريهم وان سيرت أهل اليمن من بينهم
خلفت الحبشة على أرضهم وان شخصت أنت من هذا الحرم انتقضت عليك
الأرض من أقطارها حتى يكون ما تدع وراءك من العيالات أهمّ اليك
مما قدامك وان العجم اذا رأوك عياناً قالوا هذا ملك العرب كلها فكان
أشدّ لقتالهم وانا لم تقاتل الناس على عهد نبينا صلى الله عليه وسلم ولا بعده
بالكثرة بل اكتب الى أهل الشام أن يُقيم منهم بشامهم الثلثان ويشخص
الثلث وكذلك الى عُمان وكذلك سائر الامصار والكور فقال عمر هو الرأى
الذى كنت رأيتهُ ولكنى أحببت أن تابعونى عليه فكتب بذلك الى الامصار

ثم قال لأولينّ الحرب رجلا يكون غدا لاسنة القوم جزرا فولى الامر النعمان ابن مقرن المزني وكان من خيار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان على خراج كسكر فدعا عمر السائب بن الاقرع فدفع اليه عهد النعمان ابن مقرن وقال له ان قتل النعمان فولى الأمر حذيفة بن اليمان وان قتل حذيفة فولى الأمر جرير بن عبد الله البجلي وان قتل جرير فالامير المغيرة ابن شعبة وان قتل المغيرة فالامير الاشعث بن قيس وكتب الى النعمان بن مقرن ان قبلك رجلين هما فارسا العرب عمر بن معدى كرب وطليحة بن خويلد فتاورهما في الحرب ولا تؤلّهما شيئا من الامر ثم قال للسائب ان أظفر الله المسلمين فتولّ أمر المغنم ولا ترفع اليّ باطلا وان يهلك ذلك الجيش فاذهب فلا أرينك فسار السائب حتى ورد الكوفة ودفع الى النعمان عهده ووافت الامداد وخلف أبو موسى بالبصرة ثلثي الناس وسار بالثلث الآخر حتى وافى الكوفة فتجهزّ الناس وساروا الى نهاوند فزلوا بمكان يسمى الاسفيذهان من مدينة نهاوند على ثلاثة فراسخ قرب قرية يقال لها قد يسجان وأقبلت الاعاجم يقودها مردان شاه بن هرمزد حتى عسكروا قريبا من عسكر المسلمين وخذقوا على أنفسهم وأقام الفريقان بمكانيهما فقال النعمان لعمر وطليحة ما تريان فان هؤلاء القوم قد أقاموا بمكانهم لا يخرجون منه وامدادهم تترى عليهم كل يوم فقال عمرو والرأى أن تُشيع ان أمير المؤمنين توفي ثم ترتحل بجميع من معك فان القوم اذا بلغهم ذلك طلبونا فنقف لهم عند ذلك ففعل النعمان ذلك وتباشرت الاعاجم وخرجوا في آثار المسلمين

حتى اذا قاربوهم وقفوا لهم ثم تراحفوا فاقتلوا فلم يُسمع الا وقع الحديد على الحديد وكثرت القتلى من الفريقين وحال بينهما الليل فانصرف كل فريق الى معسكرهم وبات المسلمون لهم أنين من الجراح ثم أصبحوا وذلك يوم الاربعاء فتراحفوا واقتلوا يومهم كله وصبر الفريقان ثم كان ذلك دأبهم يوم الخميس وتراحفوا يوم الجمعة وتواقفوا وركب النعمان بن مقرن بردونا أشهب ولبس ثيابا بيضا وسار بين الصفوف يذمر المسلمين ويحضهم وجعل ينتظر الساعة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل فيها ويستنزل النصر وهي زوال النهار ومهبُّ الرياح وسار في الرايات يقول لهم اني هاز لكم الراية ثلاثا فاذا هزتها أول مرة فليشدُّ كل رجل منكم حزام فرسه وليستلم شكته فاذا هزتها الثانية فصوبوا رماحكم وهزوا سيوفكم فاذا هزتها الثالثة فكبروا واحملوا فاني حامل فلما زالت الشمس بأذني صلوا ركعتين ركعتين ووقف ونظر الناس الى الراية فلما هزها الثالثة كبروا وحملوا فانتقضت صفوف الاعاجم وكان النعمان أول قتيل فحمله أخوه سُويد بن مقرن الى فسطاطه فخلع ثيابه فلبسها وتقلد سيفه وركب فرسه فلم يشك أكثر الناس انه النعمان وثبتوا يقاتلون عدوهم ثم أنزل الله نصره وانهزمت الاعاجم فذهبت على وجوهها حتى صاروا الى قرية من نهاوند على فرسخين تسمى دزيريد فنزلوها لان حصن نهاوند لم يسعهم وأقبل حذيفة بن اليمان وقد كان تولى الامر بعد النعمان حتى أناخ عليهم فحاصرهم بها قال وانهم خرجوا ذات يوم مستعدين للحرب فقاتلهم المسلمون فانهزمت الاعاجم وانقطع عظيم من عظامهم يسمى دينار

فحال المسلمون بينه وبين الدخول الى الحصن واتبعه رجل من عبس يسمى سماك بن عبيد فقتل قوما كانوا معه واستسلم له الفارسي فاستأسره سماك فقال لسماك انطلق بي الى أميركم فاني صاحب هذه الكورة لاصالحه على هذه الارض وأفتح له باب الحصن فانطلق به الى حذيفة فصالحه حذيفة عليها وكتب له بذلك كتابا فأقبل دينار حتى وقف على باب حصن نهاوند ونادى من فيه افتحوا باب الحصن وانزلوا فقد أمنكم الأمير وصالحني على أرضكم فترلوا اليه فبذلك سُميت ماه دينار وأقبل رجل من أشراف تلك البلاد الى السائب بن الاقرع وكان على المغانم فقال له أتصالحني على ضياعي وتؤمنني على أموالى حتى أدلك على كنز لا يُدري ما قدره فيكون خالصا لأمريركم الاعظم لانه شئ لم يؤخذ في الغنيمة. وكان سبب هذا الكنزان النُخارجان الذى كان يوم القادسية أقبل بالمدد فألنى العجم قد انهزموا فوقف فقاتل حتى قتل كان من عطاء الاعاجم وكان كريما على كسرى أبرويز وكانت له امرأة من أجمل النساء جمالا وكانت تختلف الى كسرى فبلغ النخارجان ذلك فرفضها فلم يقربها وبلغ ذلك كسرى فقال يوما للنخارجان وقد دخل عليه مع العطاء والاشراف بلغنى أن لك عينا عذبة الماء وانك لا تشرب. منها فقال النخارجان أيها الملك بلغنى ان الاسد ينتاب تلك العين فاجتنبتها مخافة الأسد فاستحلى كسرى جواب النخارجان وعجب من فطنته فدخل دار نسائه وكانت له ثلاثة آلاف امرأة لفراشه فجمعهن وأخذما كان عليهن من حلي فجمعه ودفعه الى امرأة النخارجان ودعا بالصاغة فاتخذوا للنخارجان تاجا من ذهب مكللا

بالجوهر الثمين فتوجه به فبقي ذلك التاج وتلك الحلّي عند ولد بني تلك المرأة فلما وقعت الحروب بناحيهم ساروا به الى قرية لا ييهم سميت باسمه يقال لها الخوارجان وفيها بيت نارٍ فاقتلوا الكانون ودفنوا الحلّي تحته وأعادوا الكانون كهيئته فقال له السائب ان كنت صادقاً فأنت آمن على أموالك وضياعك وأهلك وولدك فانطلق به حتى استخرجه في سفطين أحدهما التاج والآخر الحلّي فلما قسم السائب الغنائم بين من حضر القتال وفرغ حمل السفطين في خرجين على ناقه وقدم بهما على عمر بن الخطاب رضی الله عنه فكان من أمرهما الخبر المشهور اشتراها عمرو بن الحارث بعتاء المقاتلة والذرية جميعاً ثم حملها الى الحيرة فباع بفضل كثير واعتقد بذلك أموالاً بالعراق وكان أول قرشي اعتقد بالعراق فقال عروة بن زيد الخيل يذكري أيامهم

الاطرقت رَحَلِي وقد نام صُحْبِي
 ولو شهدت يومى جلواء حربنا
 اذا الرأت ضرب امرى غير خاملٍ
 ولما دعوا ياعروة بن مهلهل
 دفعت عليهم رجلى وفوارسى
 وكم من عدوى أشوسٍ مُتمردٍ
 وكم كربة فرجتها وكريهة
 وقد أضحت الدنيا لدى ذميمة
 وأصبح همتى في الجهاد وثيتى
 باوان سيرين المزخرفِ خلّتى
 ويوم نهاوند المهول استهلت
 مجيد بطعن الرُمح أروع مصلت
 ضربت جموع الفرس حتى تولت
 وجردت سيفى فيهم ثم ألتى
 عليه بخيلى فى الهياج أظلت
 شددت لها أزرى الى أن تجلت
 وسلّيت عنها النفس حتى تسلت
 فله نفس أدبرت وتولت

فلا ثروة الدنيا تُريدُا كتسابها ألا انها عن وفرها قد تجلّت
وما ذا أرتجى من كنوز جمعها وهذى المنايا شرعًا قد أظلت

(مقتل عمر وولاية عثمان رضي الله عنهما)

وتوفي عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم الجمعة لاربع ليال بقين من
ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر
واستخلف عثمان بن عفان فعزل عمّار بن ياسر عن الكوفة وولّى الوليد بن عتبة
ابن أبي مُعَيْظ وكان أخاعثمان لأمه أمهمها أزوى بنت أمّ حكيم بن عبدالمطلب
ابن هاشم وعزل أبا موسى الاشعريّ عن البصرة وولّاها عبد الله بن عامر
ابن كرز وكان ابن خال عثمان وكان حدث السنّ واستعمل عمرو بن العاص
على حرب مصر واستعمل عبد الله بن أبي سرح على خراجها وكان أخاه
من الرضاعة ثمّ عزل عمرو بن العاص وجمع الحرب والخراج لعبد الله بن
أبي سرح

(فتح سابور)

ثمّ كانت غزوة سابور من أرض فارس وافتتاحها وأميرها عثمان بن
أبي العاص

(فتح افريقية)

ثم كان فتح افريقية سنة تسع وعشرين وأميرها عبد الله بن أبي سرح

(فتح قبرس)

ثم كان فتح قبرس وأميرها معاوية بن أبي سفيان

(خلع أهل اصطخر واعادة فتحها)

ثم ان أهل اصطخر نزعوا يداً من الطاعة وقدمها يزديجرد الملك في جمع
من الأعاجم فسار اليهم عثمان بن أبي العاص وعبد الله بن عامر فكان
الظفر للمسلمين

(وصول يزديجرد الى مرو ومقتله)

وهرب يزديجرد نحو خراسان فأتى مرو فأخذ عامله بها وكان اسمه ماهوية
بالأموال وقد كان ماهوية صاهر خاقان ملك الأتراك فلما تشدد عليه أرسل
الى خاقان يعلمه ذلك فأقبل خاقان في جنوده حتى عبر النهر مما يلي أموية ثم
ركب المفازة حتى أتى مرو وفتح له ماهوية أبوابها وهرب يزديجرد على رجله
وحده فشى مقدار فرسخين حتى انتهى في السحر الى رحى فيها سراج يتقد
فدخلها وقال للطحان آوئى عندك الليلة قال الطحان أعطنى أربعة دراهم فأتى
أريد أن أدفعها الى صاحب الرحا فناوله سيفه ومنطقته وقال هذا لك ففرش
له الطحان كساءه فنام يزديجرد لما ناله من شدة التعب فلما استنقل نوما قام اليه
الطحان بمنقار الرحا فقتله وأخذ سلبه وألقاه في النهر . ولما أصبح الناس
تداعوا فأحلبوا على الأتراك من كل وجه فخرج خاقان منهزما حتى وغل في
المفازة فطلبوا الملك فلم يجدوه فخرجوا يقفون أثره حتى انتهوا اليه فوجدوه
قتيلا مطروحا في الماء وأصابوا بزّته عند الطحان فأخذوها وقتلوا الطحان
وذلك في السنة السادسة من خلافة عثمان وهي سنة ثلاثين من التاريخ فعند
ذلك اتقضى ملك فارس فأرخوا عليه تاريخهم الذي يكتبون به اليوم .

وهرب ماهوية حتى نزل أبرشهر مخافة أن يقتله أهل مرو فمات بها

(فتح سرخس)

وسار عبد الله بن خازم السلمي الى سرخس فافتحها أيضا وسار عبد الله
ابن عامر الى كرمان وسجستان فافتحها

(مقتل عثمان وبيعة على رضي الله عنهما)

ثم قتل عثمان رضي الله عنه فلما قتل بقي الناس ثلاثة أيام بلا امام وكان
الذي يصلّي بالناس الغافقي ثم بايع الناس عليا رضي الله عنه فقال أيها الناس
بايعتموني على ما بويح عليه من كان قبلي وانما الخيار قبل أن تقع البيعة فاذا
وقعت فلا خيار وانما على الامام الاستقامة وعلى الرعية التسليم وان هذه
بيعة عامة من ردها رغب عن دين الاسلام وانها لم تكن فلتة . ثم ان
عليا رضي الله عنه أظهر أنه يريد السير الى العراق وكان على الشام يومئذ
معاوية بن أبي سفيان وليها لعمر بن الخطاب سبعا ووليها جميع ولاية عثمان
رضي الله عنه اثنتي عشرة سنة فواتاه الناس على السير الا ثلاثة نفر سعد بن
أبي وقاص وعبد الله بن عمر بن الخطاب ومحمد بن مسلمة الأنصاري وبعث
على رضي الله عنه عماله الى الامصار فاستعمل عثمان بن حنيف على البصرة
وعمار بن حسان على الكوفة وكانت له هجرة واستعمل عبد الله بن عباس
على جميع أرض اليمن واستعمل قيس بن سعد بن عباد على مصر واستعمل
سهل بن حنيف على الشام فأما سهل فانه لما انتهى الى تبوك وهي تخوم أرض
الشام استقبله خيل لمعاوية فردوه فانصرف الى علي فعلم علي رضي الله عنه

عند ذلك أن معاوية قد خالف وان أهل الشام بايعوه . وحضر الموسم فاستأذن الزبير وطلحة عليا في الحج فأذن لها وقد كانت عائشة أم المؤمنين خرجت قبل ذلك معمرة وعثمان محصور وذلك قبل مقتله بعشرين يوما فلما قضت عمرتها أقامت فوافاها الزبير وطلحة . وكتب علي رضي الله عنه الى معاوية أما بعد فقد بلغك الذي كان من مصاب عثمان رضي الله عنه واجتماع الناس علي ومبايعتهم لي فادخل في السلم أو ائذن بحرب وبعث الكتاب مع الحجاج بن غزيرة الانصاري فلما قدم على معاوية وأوصل كتاب علي اليه فقرأه فقال انصرف الى صاحبك فان كتابي مع رسولي على أترك فانصرف الحجاج وأمر معاوية بطومارين فوصل أحدهما بالآخر ولما ولم يكتب فيهما شيئا الا بسم الله الرحمن الرحيم وكتب على العنوان من معاوية بن أبي سفيان الى علي بن أبي طالب ثم بعث به مع رجل من عبس له لسان وجسارة فقدم العبسي على علي فناوله الكتاب ففتحه فلم يرفه شيئا الا بسم الله الرحمن الرحيم وعند علي وجوه الناس فقام العبسي فقال أيها الناس هل فيكم أحد من عبس قالوا نعم قال فاسمعوا مني وافهموا عنى انى قد خلفت بالشام خمسين الف شيخ خاضى لحاهم بدموع أعينهم تحت قيص عثمان رافعيه على أطراف الرماح قد عاهدوا الله ألا يشيموا سيوفهم حتى يقتلوا قتله أو تلحق أرواحهم بالله فقام اليه خالد بن زفر العبسي فقال بئس لعمر الله وافد أهل الشام أنت أتخوف المهاجرين والأنصار بجنود أهل الشام وبكائهم على قيص عثمان فوالله ما هو بقميص يوسف ولا بحزن يعقوب ولئن بكوا عليه بالشام فقد خذلوه

بالعراق . ثم ان المغيرة بن شعبة دخل على عليّ رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين ان لك حق الصحبة فأقر معاوية على ما هو عليه من امره الشام وكذلك جميع عمال عثمان حتى اذا أتت طاعتهم وبيعهم استبدلت حينئذ أو تركت فقال عليّ رضي الله عنه أنا ناظر في ذلك وخرج عنه المغيرة ثم عاد اليه من غد فقال يا أمير المؤمنين اني أشرت أمس عليك برأى فلما تدبرته عرفت خطأه والرأى أن تعاجل معاوية وسائر عمال عثمان بالعزل لتعرف السامع المطيع من العاصي فكافي كلا بمجزائه ثم قام فلتقاه ابن عباس داخلا فقال لعلي رضي الله عنه فيم أتاك المغيرة فأخبره عليّ بما كان من مشورته بالامس وما أشار عليه بعد فقال ابن عباس أما أمس فانه نصح لك وأما اليوم فغشك وبلغ المغيرة ذلك فقال صدق ابن عباس نصحت له فلما رد نصحي بدلت قولي ولما خاض الناس في ذلك سار المغيرة الى مكة فأقام بها ثلاثة أشهر ثم انصرف الى المدينة . ثم ان عليا رضي الله عنه نادى في الناس بالتأهب للهسير الى العراق فدخل عليه سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر بن الخطاب ومحمد بن مسلمة فقال لهم قد بلغني عنكم هتات كرهتها لكم فقال سعد قد كان ما بلغت فأعطني سيفا يعرف المسلم من الكافر حتى أقاتل به معك وقال عبد الله بن عمر أنشدك الله أن تحملي علي ما لأعرف وقال محمد بن مسلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن أقاتل بسيفي ما قوتل به المشركون فاذا قوتل أهل الصلاة ضربت به صخر أحد حتى ينكسر وقد كسرت بالامس ثم خرجوا من عنده . ثم ان أسامة بن زيد دخل فقال

اعفنى من الخروج معك فى هذا الوجه فانى عاهدت الله أن لا أقاتل من يشهد أن لا اله إلا الله وبلغ ذلك الاشر فدخل على على فقال يا أمير المؤمنين إنا وان لم نكن من المهاجرين والأنصار فانا من التابعين باحسان وان القوم وان كانوا أولى بما سبقونا اليه فليسوا بأولى مما شركناهم فيه وهذه بيعة عامة الخارج منها طاعن مُستعْتَبٍ فعضّ هؤلاء الذين يريدون التخلف عنك باللسان فان أبوا فأدبهم بالحبس فقال على بل أدعهم ورأيهم الذى هم عليه . ولما همّ على رضى الله عنه بالمسير الى العراق اجتمع أشرف الأنصار فأقبلوا حتى دخلوا على على فتكلم عقيبته بن عامر وكان بدريةً فقال يا أمير المؤمنين ان الذى يفوتك من الصلاة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والسعى بين قبره ومنبره أعظم مما ترجو من العراق فان كنت انما تسير لحرب أهل الشام فقد أقام عمر فينا وكفاه سعد زحف القادسية وأبو موسى زحف الأهواز وليس من هؤلاء رجل إلا ومثله معك والرجال أشباه والأيام دول فقال على ان الأموال والرجال بالعراق ولأهل الشام وثبة أحب أن أكون قريباً منها ونادى فى الناس بالمسير فخرج وخرج معه الناس

(مخرج طلحة والزبير ووقعة الجمل)

قالوا ولما قضى الزبير وطلحة وعائشة حجهم تأمروا فى مقتل عثمان فقال الزبير وطلحة لعائشة إن أطعنا طلبنا بدم عثمان قالت ومن تطلبون دمه قالا انهم قوم معروفون وانهم بطانة على وروثاء أصحابه فاخرجى معنا حتى نأتى البصرة فيمن تبعنا من أهل الحجاز وان أهل البصرة لو قدر أولئك كانوا جميعا يدا

(١٠ - الاخبار)

واحدة معك فأجابتهم الى الخروج فسارت والناس حولها يمينا وشمالا . ولما فصل على من المدينة نحو الكوفة بلغه خبر الزبير وطلحة وعائشة فقال لاصحابه ان هولاء القوم قد خرجوا يؤثمون البصرة لما دبروه بينهم فسيروا بنا على أمرهم لعلنا نلحقهم قبل موافقتهم فانهم لو قد وافوها لمال معهم جميع أهلها قالوا سريننا يا أمير المؤمنين فسار حتى وافى ذا قار فأتاه الخبر بموافاة القوم البصرة ومبايعة أهل البصرة لهم الا بنى سعد فانهم لم يدخلوا فيما دخل فيه الناس وقالوا لاهل البصرة لانكون معكم ولا عليكم وقعد عنهم أيضا كعب بن سور في أهل بيته حتى أتته عائشة في منزله فأجابها وقال اكره ألا أجيب أمي وكان كعب على قضاء البصرة ولما انتهى الخبر الى علي وجه هاشم بن عتبة ابن أبي وقاص ليستنهض أهل الكوفة ثم أردفه بابنه الحسن وبعار بن ياسر فساروا حتى دخلوا الكوفة وأبو موسى يومئذ بالكوفة وهو جالس في المسجد والناس محتوشوه وهو يقول يا أهل الكوفة أطيعوني تكونوا جرثومة من جرائم العرب يا أوى اليكم المظلوم ويأمن فيكم الخائف أيها الناس ان الفتنة اذا أقبلت شبت واذا ادبرت تبينت وان هذه هي الفتنة الباقرة لا يذرى من أين تأتي ولا من أين توتى شيموا سيوفكم وانزعوا أسنة رماحكم واقطعوا أوتار قسيكم والزمو قعور البيوت أيها الناس ان النائم في الفتنة خير من القائم والقائم خير من الساعي فاتته الحسن بن علي وعمار رضى الله عنهما الى المسجد الاعظم وقد اجتمع عالم من الناس على أبي موسى وهو يقول لهم هذا وأشباهه فقال له الحسن اخرج عن مسجدنا وامض حيث شئت ثم صعد

الحسن المنبر وعمار صعد معه فاستنمرا الناس فقام حُجر بن عدى الكندى وكان من أفاضل أهل الكوفة فقال انفروا خفاً وثقالاً رحمة الله فأجابته الناس من كل وجه سماعاً وطاعة لأمير المؤمنين نحن خارجون علي اليسر والعسر والشدة والرخاء فلما أصبحوا من الغد خرجوا مستعدين فأحصاهم الحسن فكانوا تسعة آلاف وستمئة وخمسين رجلاً فوافوا علياً بذي قار قبل أن يرتحل فلما هم بالمسير غلَس الصبح ثم أمر منادياً فنادى في الناس بالرحيل فدنا منه الحسن فقال يا أبت أشرتُ عليك حين قُتل عثمان وراح الناس اليك وغدوا وسألوك أن تقوم بهذا الأمر ألا تقبله حتى تأتيك طاعة جميع الناس في الآفاق وأشرتُ عليك حين بلغك خروج الزبير وطلحة وبائشة إلى البصرة أن ترجع إلى المدينة فتقيم في بيتك وأشرتُ عليك حين حُصر عثمان أن تخرج من المدينة فإن قُتل قُتل وأنت غائب فلم تقبل رأياً في شيء من ذلك فقال له عليّ أما انتظاري طاعة جميع الناس من جميع الآفاق فإن البيعة لا تكون إلا لمن حضر الحرمين من المهاجرين والانصار فإذا رضوا وسلموا وجب على جميع الناس الرضا والتسليم وأما رجوعي إلى بيتي والجلوس فيه فإن رجوعي لو رجعت كان غدراً بالأمة ولم آمن أن تقع الفرقة وتتصدع عصا هذه الأمة وأما خروجي حين حُصر عثمان فكيف أمكنني ذلك وقد كان الناس أحاطوا بي كما أحاطوا بعثمان فاكفف يا بني عما أنا أعلم به منك . ثم سار بالناس فلما دنا من البصرة كتب الكتاب وعقد الألوية والرايات وجعلها سبع رايات عقد لخمير وهمذان راية وولى عليهم سعيد بن قيس .

الحمداني وعقد لمدحج والاشعريين راية وولى عليهم زياد بن النضر الحارثي
 ثم عقد للطائي راية وولى عليهم عدى بن حاتم وعقد لقيس وعبس وذبيان
 راية وولى عليهم سعد بن مسعود بن عمرو الثقفي عم المختار بن أبي عبيد وعقد
 لكندة وحضرموت وقضاة ومهرة راية وولى عليهم حجر بن عدى
 الكندي وعقد للأزد وبجيلة وخشم وخزاعة راية وولى عليهم مخنف بن
 سليم الأزدى وعقد لبكر وتغلب وأفناء ربيعة راية وولى عليهم محدوج
 الدهلي وعقد لسائر قريش والانصار وغيرهم من أهل الحجاز راية وولى
 عليهم عبد الله بن عباس فشهد هؤلاء الجمل وصفين والنهر وهم أسباع كذلك
 وكان على الرحالة جندب بن زهير الأزدى . ولما بلغ طلحة والزبير ورود
 على رضى الله عنه بالجيوش وقد أقبل حتى نزل الخريبة فبأهم طلحة والزبير
 وكتباهم كتاب وعقدا الألوية فجعل على الخليل محمد بن طلحة وعلى الرحالة
 عبد الله بن الزبير ودفعوا اللواء الأعظم الى عبد الله بن حرام بن خويلد
 ودفعوا لواء الأزد الى كعب بن سور وولياه المينة ووليا قريشا وكنانة عبد
 الرحمن بن عتاب بن أسيد ووليا أمر تميم هلال بن وكيع الدارمي وجعلهم
 في الميسرة ووليا أمر الميسرة عبد الرحمن بن الحرث بن هشام وهو الذى قالت
 عائشة فيه وددت لو قعدت في بيتي ولم أخرج في هذا الوجه لكان ذلك
 أحب إلى من عشرة أولاد لو رزقهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم
 على فضل عبد الرحمن بن الحرث بن هشام وعقله وزهده ووليا على قيس
 محاشع بن مسعود وعلى تيم الرباب عمرو بن يثربى وعلى قيس والانصار

وثقيف عبد الله بن عامر بن كُرَيْز وعلى خُزاعة عبد الله بن خلف الخزاعي
وعلى قُضاعة عبد الرحمن بن جابر الراسبي وعلى مَدْحَج الربيع بن زياد
الحارثي وعلى ربيعة عبد الله بن مالك . قالوا وأقام عليّ رضي الله عنه ثلاثة
أيام يبعث رسله الى أهل البصرة فيدعومهم الى الرجوع الى الطاعة والدخول
في الجماعة فلم يجد عند القوم اجابة فزحف نحوهم يوم الخميس لعشر مضين من
جمادى الآخرة وعلى ميسته الاشر وعلى ميسرته عمّار بن ياسر والراية
العظمى في يد ابنه محمد بن الحنفية ثم سار نحو القوم حتى دنا بصفوفه من
صفوفهم فواقفهم من صلاة الغداة الى صلاة الظهر يدعومهم ويناشدهم وأهل
البصرة وقوف تحت رايتهم وعائشة في هودجها أمام القوم . قالوا وان الزبير
لما علم أن عمارا مع عليّ رضي الله عنهم ارتاب بما كان فيه لقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحق مع عمّار وتقتلك الفئة الباغية . قالوا ثم ان عليا دنا
من صفوف أهل البصرة وأرسل الى الزبير يسأله ليدنو فيكلمه بما يريد
وأقبل الزبير حتى دنا من عليّ رضي الله عنه فوقفا جميعا بين الصفيين حتى
اختلفت أعناق فرسيهما فقال له عليّ ناشدتك الله يا أبا عبد الله هل تذكر
يوما مررنا أنا وأنت برسول الله صلى الله عليه وسلم ويدي في يدك فقال لك
رسول الله صلى الله عليه وسلم أتجبه قلتَ نعم يا رسول الله فقال لك أما انك
تقاتله وأنت له ظالم فقال الزبير نعم أنا ذا كر له ثم انصرف عليّ الى موقفه
وقال لأصحابه احمّلوا على القوم فقد أعدرنا اليهم فحمل بعضهم على بعض
فأقتلوا بالقنا والسيوف . وأقبل الزبير حتى دنا من ابنه عبد الله ويده الراية

العظمى فقال يا بُنَيَّ أنا منصرف قال وكيف يا أبت قال ما لي في هذا الأمر من بصيرة وقد أذكركني عليُّ أمراً قد كنت غفلت عنه فانصرف يا بُنَيَّ معي فقال عبد الله والله لا أرجع أو يحكم الله بيننا فتركه الزبير ومضى نحو البصرة ليتحمّل منها ويمضى نحو الحجاز . ويقال ان طلحة لما علم بانصراف الزبيرهم بأن ينصرف فعلم مروان بن الحكم ما يريد فرماه بسهم فوقع في ركبه فقتل حتى مات . وأقبل الزبير حتى دخل البصرة وأمر غلمانه أن يتحملوا فيلحقوا به وخرج من ناحية الخريبة فر بالاحنف بن قيس وهو جالس بفناء داره وحوله قومه وقد كانوا اعتزلوا الحرب فقال الاحنف هذا الزبير ولقد انصرف لأمر فهل فيكم من يأتينا بخبره فقال له عمرو بن جرّموز أنا آتيك بخبره فركب فرسه وتقلّد سيفه ومضى في أثره وذلك قبل صلاة الظهر فلحقه وقد خرج من دور البصرة فقال له أبا عبد الله ما الذي تركت عليه القوم قال الزبير تركتهم وبعضهم يضرب وجوه بعض بالسيف قال فأين تريد قال أنصرف لحال بالي فإلى في هذا الأمر من بصيرة قال عمرو بن جرّموز وأنا أبصا أريد الخريبة فسر بنا فسارا حتى دنا وقت الصلاة فقال الزبير ان هذا وقت الصلاة وأنا أريد أن أقضيها قال عمرو وأنا أريد أن أقضيها قال الزبير أنت مني في أمان فهل أنا منك كذلك قال نعم فترلا جميعا وقام الزبير في الصلاة فلما سجد حمل عليه عمرو بالسيف فضربه حتى قتله وأخذ درعه وسيفه وفرسه وأقبل حتى أتى عليّاً وهو واقف والناس يجتلدون بالسيوف فألقى السلاح بين يديه فلما نظر عليٌّ رضي الله عنه الى السيف قال ان هذا السيف طالما

فَرَجَّ بِهِ صَاحِبَهُ الْكَرْبَ عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَشْرًا يَأْتِلُ
 ابْنُ صَفِيَّةٍ بِالنَّارِ فَقَالَ عَمْرُو قَتَلَ أَعْدَاءَكُمْ وَتُبَشِّرُونَنَا بِالنَّارِ . قَالُوا ثُمَّ إِنَّ عَلِيًّا
 أَمْرَ ابْنِهِ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَنْفِيَّةِ قَالَ تَقَدَّمَ بِرَايَتِكَ وَكَانَ مَعَهُ الرَّايَةُ الْعَظِيمَى فَتَقَدَّمَ
 بِهَا وَقَدْ لَاقَتْ أَهْلَ الْبَصْرَةَ بَعْدَ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِرِ وَقَلَّدُوهُ الْأَمْرَ فَتَقَدَّمَ مُحَمَّدٌ
 بِالرَّايَةِ فَاسْتَقْبَلَهُ أَهْلُ الْبَصْرَةِ بِالْقَنَا وَالسِّيُوفِ فَوَقَفَ بِالرَّايَةِ فَتَنَاوَلَهَا مِنْهُ عَلِيٌّ رَضِيَ
 اللَّهُ عَنْهُ وَحَمَلَهَا مَعَهُ النَّاسُ ثُمَّ تَنَاوَلَهَا ابْنَةُ مُحَمَّدًا وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ وَحَمِيَتْ الْحَرْبُ
 وَانْكَشَفَ النَّاسُ عَنِ الْجَمَلِ وَقُتِلَ كَعْبُ بْنُ نُورٍ وَثَبَّتَ الْأَزْدُ وَضَبَّةٌ فَقَاتَلُوا
 قِتَالًا شَدِيدًا فَلَمَّا رَأَى عَلِيٌّ شِدَّةَ صَبْرِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ جَمَعَ إِلَيْهِ حُجَّاتُ أَصْحَابِهِ
 فَقَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ قَدْ مَحَكُوا فَأَصْدَقُوا الْقِتَالَ فَخَرَجَ الْأَشْتَرُ وَعَدِيُّ بْنُ
 حَاتِمٍ وَعَمْرُو بْنُ الْجَمَقِ وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ فِي عَدَدِهِمْ مِنْ أَصْحَابِهِمْ فَقَالَ عَمْرُو بْنُ
 يَثْرِبِ لِقَوْمِهِ وَكَانُوا فِي مَيْمَنَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ إِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ الَّذِينَ قَدْ بَرَزُوا
 إِلَيْكُمْ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ هُمْ قَتَلَةُ عُمَانَ فَعَلَيْكُمْ بِهِمْ وَتَقَدَّمَ أَمَامَ قَوْمِهِ بَنِي ضَبَّةٍ
 فَقَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا وَكَثُرَتِ النَّبْلِ فِي الْهُودِجِ حَتَّى صَارَ كَالْقَنْفَذِ وَكَانَ الْجَمَلُ
 مَجْفَفًا وَالْهُودِجُ مُطْبَقٌ بِصَفَاخِ الْحَدِيدِ وَصَبَرَ الْفَرِيقَانِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ حَتَّى
 كَثُرَتِ الْقَتْلَى وَنَارُ الْقَتَامِ وَطَلَّتِ الْأَثْوِيَّةُ وَالرَّايَاتُ وَحَمَلَّ عَلِيٌّ بِنَفْسِهِ وَقَاتَلَ
 حَتَّى ائْتَنَى سَيْفَهُ وَخَرَجَ فِارِسُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ عَمْرُو بْنُ الْأَشْرَفِ لَا يَخْرُجُ إِلَيْهِ
 حُدَّ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ الْإِقْتَلَهُ وَهُوَ يَرْتَجِزُ وَيَقُولُ

يَا أُمَّنَا يَا خَيْرَ أُمَّ نَعْلُمُ وَالْأُمَّ تَفْذُ وَوَلَدَهَا وَتَرْحَمُ
 أَلَا تَرَيْنَ كَمْ جَوَادٍ يُكَلِّمُ وَتُخْتَلِي هَامَتَهُ وَالْمِعْصَمُ

فخرج اليه من أهل الكوفة الحرث بن زهير الأزديّ وكان من فرسان
على فاختلعا ضربتين فأوهط كل واحد منهما صاحبه فخرا جميعا صر يمين
يفحصان بأرجلها حتى ماتا . قالوا وانكشف أهل البصرة انكشافا وانتهى
الاشترى الى الجمل وعبد الله بن الزبير آخذ بخطامه فرمى الأشتر بنفسه على
عبد الله بن الزبير فصار تحته فصاح عبد الله بن الزبير اقتلوني وما لك
فتاب الى ابن الزبير أصحابه فلما خاف الاشرع على نفسه قام عن عبد الله
ابن الزبير وقاتل حتى خلص الى أصحابه وقد عار فرسه فقال لهم ما أتجاني
الا قول اقتلوني وما لك فلم يدر القوم من مالك ولو قال اقتلوني والأشتر
لقتلوني وقاتل عدى بن حاتم حتى قئت احدى عينيه وقاتل عمرو بن الحمق
وكان من عباد أهل الكوفة ومعه النساك قتالا شديدا فضرب بسيفه حتى
اثنى ثم انصرف الى أخيه رباح فقال له رباح يا أخى ما أحسن ما صنع اليوم
ان كانت الغلبة لنا . قالوا ولما رأى على لوث أهل البصرة بالجمل وانهم كلما
كشفوا عنه عادوا فلاثوا به قال لعمار وسعيد بن قيس وقيس بن سعد بن
عبادة والاشتر وا بن بديل ومحمد بن أبى بكر وأشباههم من حماة أصحابه
ان هؤلاء لا يزالون يقاتلون مادام هذا الجمل نصب أعينهم ولو قد عقر فسقط
لم تثبت له ثابتة فقصدوا بذوى الجمل من أصحابه قصد الجمل حتى كشفوا
أهل البصرة عنه وأفضى اليه رجل من مراد الكوفة يقال له أعين بن ضبيعة
فكشف عرقوبه بالسيف فسقط وله رغاء ففرق فى القتلى ومال الهودج
بعائشة فقال علىّ لمحمد بن أبى بكر تقدم الى أختك فدنا محمد فأدخل يده فى

الهودج فالت يده ثياب عائشة فقالت انا لله من أنت ثكلتك أمك فقال
 أنا أخوك محمد ونادى علي رضي الله عنه في أصحابه لا تتبعوا موليا ولا تجهزوا
 على جريح ولا تنهبوا مالا ومن ألقى سلاحه فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن
 قال فجعلوا يملون بالذهب والفضة في معسكرهم والمتاع فلا يعرض له أحد
 الا ما كان من السلاح الذي قاتلوا به والدواب التي حاربوا عليها فقال بعض
 أصحابه يا أمير المؤمنين كيف حل لنا قتالهم ولم يحل لنا سبهم وأموالهم فقال علي
 رضي الله عنه ليس على الموحدين سبي ولا يغم من أموالهم الا ما قاتلوا به وعليه فدعوا
 مالا تعرفون والزمو ما تؤمرون. قال وأمر علي محمد بن أبي بكر أن ينزل عائشة فأنزها
 دار عبد الله بن خلف الخراعي وكان عبد الله فيمن قتل ذلك اليوم قتلته
 عند امرأته صفية وقال علي رضي الله عنه لمحمد انظر هل وصل الى أختك
 شيء قال أصاب ساعدها خدش سهم دخل بين صفايح الحديد . ودخل علي
 رضي الله عنه البصرة فأتى مسجدها الاعظم واجتمع الناس اليه فصعد المنبر
 فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال أما بعد فان
 الله ذو رحمة واسعة وعقاب أليم فما ظنكم بي يا أهل البصرة جند المرأة واتباع
 البهيمة رفا فقاتلتم وعقر فانهزمتم أخلاقكم دقاق وعهدكم شقاق وماؤكم زعاق
 أرضكم قرية من الماء بعيدة من السماء وأيم الله ليأتين عليها زمان لا يرى
 منها الا شرفات مسجدها في البحر مثل جوجو السفينة انصرفوا الى منازلهم
 ثم نزل وانصرف الى معسكره وقال لمحمد بن أبي بكر سر مع أختك حتى
 توصلها الى المدينة وعجل اللحوق بي بالكوفة فقال اعفني من ذلك يا أمير

المؤمنين فقال عليّ لا أعفّيك ومالك بُدّ فسار بها حتى أوردتها المدينة وشخص
عليّ عن البصرة واستعمل عليها عبد الله بن عباس فلما انتهى الى المربد
التفت الى البصرة ثم قال الحمد لله الذي أخرجني من شر البقاع ترابا وأسرعها
خرابا وأقربها من الماء وأبعدها من السماء ثم سار فلما أشرف على الكوفة
قال ويحك يا كوفان ما أطيب هواءك وأغذى تربتك الخارج منك بذنب
والداخل اليك برحمة لا تذهب الأيام والليالي حتى يجيء اليك كل مؤمن
ويُبغض المقام بك كل فاجر وتعمرين حتى ان الرجل من أهلك ليُكرّ الى
الجمعة فلا يلحقها من بعد المسافة. قالوا وكان مقدمه الكوفة يوم الاثنين
لاثنى عشرة ليلةً خلت من رجب سنة ست وثلاثين فقبل له يأمر المؤمنين
أنزل القصر قال لا حاجة لي في نزوله لأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه
كان يبغضه ولكنى نازل الرحبة ثم أقبل حتى دخل المسجد الاعظم فصلى
ركعتين ثم نزل الرحبة فقال الشئى يحرض عليّا على المسير الى الشام
قل لهذا الامام قد خبّت الحرب ب وتمت بذلك النعماء
وفرغنا من حرب من نكث العهد وبالشام حية صماء
تنفث السم ما لمن نهشته فارما قبل أن تعض شفاء
قالوا وان أول جمعة صلى بالكوفة خطب فقال الحمد لله أحمده وأستعينه
وأستهديه وأومن به وأتوكل عليه وأعوذ بالله من الضلالة والردى من يهده
الله فلا مضلّ له ومن يضل فلا هادى له وأشهد أن لا اله الا الله وحده
لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اتخبه لرسالته واختصه لتبليغ

أمره أكرم خلقه عليه وأحبهم اليه فبلغ رسالة ربه ونصح لأمته وأدى الذي عليه صلى الله عليه وسلم أوصيكم عباد الله بتقوى الله فان تقوى الله خير ما تواصى به عباد الله وأقر به لرضوان الله وأفضله في عواقب الامور عند الله وبتقوى الله أمرتم وللإحسان خلقتم فاحذروا من الله ما حذركم من نفسه فانه حذر بأسا شديدا واخشوا الله خشية ليست بتعذير واعملوا في غير رياء ولا سُمعة فانه من عمل لغير الله وكله الى ما عمل ومن عمل مخلصا له تولاه الله وأعطاه أفضل نيته واشفقوا من عذاب الله فانه لم يخلقكم عبثا ولم يترك شيئا من أمركم سُدىى قد سمي آثاركم وعلم أسراركم وأحصى أعمالكم وكتب آجالكم فلا تُفترنكم الدنيا فاتها غرارة لاهلها والمغرور من اغتربها والى فناء ما هي وان الآخرة هي دار القرار نسأل الله منازل الشهداء ومرافقة الانبياء ومعيشة السعداء فانما نحن به وله . ثم وجه عماله الى البلدان فاستعمل على المدائن وجُوخى كلها يزيد بن قيس الارحبي وعلى الجبل وأصبهان محمد بن سليم وعلى البهقباذات قُرط بن كعب وعلى كسكر وحيزها قدامة بن عجلان الازدي وعلى بهر سير واستاتها عدى بن الحارث وعلى استان العالى حسان بن عبد الله البكري وعلى استان الزوابى سعيد بن مسعود الثقفي وعلى سجستان وحيزها رباعي بن كاس وعلى خراسان كلها خليل بن كاس . فاما خليل بن كاس فانه لما دنا من خراسان بلغه ان أهل نيسابور خلعوا يدا من طاعة وانه قدمت عليهم بنت لكسرى من كابل فقالوا معها قاتلهم خليل فهزمهم وأخذ ابنة كسرى بأمان وبعث بها الى على فلما دخلت

عليه قال لها أئحبين أن أزوجك من ابني هذا يعني الحسن قالت لا أزوج أحدا على رأسه أحد فان أنت أحببت رضىت بك قال انى شيخ وابني هذا من فضله كذا وكذا قالت قد أعطيتك الجملة فقام رجل من عطاء دهاقين العراق يسمى نرمى فقال يا أمير المؤمنين قد بلغك أنى من سنخ الملكة وأز قرابتها فزوّجنيها فقال هي أملك بنفسها تم قال لها انطلقى حيث شئت وانكحى من أحببت لا بأس عليك . واستعمل على الموصل ونصيبين ودارا وسنجار وآمدومياً فارقين وهيت وعانات وما غلب عليها من أرض الشام الا شتر فساد اليها فلقية الضحاك بن قيس الفهرى وكان عليها من قبل معاوية بن سفيان فاقتلوا بين حرّان والرقة بموضع يقال له المرج الى وقت المساء وبلغ ذلك معاوية فأمد الضحاك بعبد الرحمن بن خالد بن الوليد فى خيل عظيمة وبلغ ذلك الا شتر فانصرف الى الموصل فأقام بها يقاتل من أتاه من اجناد معاوية

(وقعة صفين)

ثم كانت وقعة صفين . قالوا وضربت الركبان الى الشام بنى عثمان وتحرىض معاوية على الطلب بدمه فينا معاوية ذات يوم جالس اذ دخل عليه رجل فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال معاوية وعليك من أنت لله أبوك فقد روعتنى بتسليمك على بالخلافة قبل أن أناها فقال أنا الحجاج بن خزيمة بن الصمة قال فقيم قدمت قال قدمت قاصدا اليك بنى عثمان ثم أنشأ يقول

ان بنى عمك عبد المطلب هم قتلوا شيخكم غير الكذب

وأنت أولى الناس بالوثبِ قتب وسر مسير المحزّل المتلب
قال ثم انى كنت فيمن خرج مع يزيد بن أسد لنصر عثمان فلم نلحقه فلقيت
رجلا ومعى الحارث بن زفر فسألناه عن الخبر فأخبرنا بقتل عثمان وزعم انه
من شايخ على قتله فقتلناه وانى أخبرك انك تقوى بدون ما يقوى به على
على لان معك قوما لا يقولون اذا سكت ويسكتون اذا نطقت ولا يسألون
اذا أمرت ومع على قوم يقولون اذا قال ويسألون اذا سكت فقليلك خير
من كثيره وعلى لا يرضيه الا سخطك ولا يرضى بالعراق دون الشام وأنت
ترضى بالشام دون العراق فضايق معاوية بما أتاه به الحجاج بن خزيمة ذرعا فقال

أتانى أمره فيه للناس غمة وفيه بكاء للعيون طويل
مصاب أمير المؤمنين وهذه تكاد لها صم الجبال تزول
فله عينا من رأى مثل هالك أصيب بلا ذحل وذاك جليل
تداعت عليه بالمدينة عصبه فريقان منهم قاتل وخذول
دعاهم فصموا عنه عند دعائه وذاك على ما فى النفوس دليل
سأنى أبا عمرو بكل مثقف ويض لها فى الدارعين صليل
تركك للقوم الذين تظافروا عليك فماذا بعد ذلك أقول
فلمت مقيا ما حيت يسلدة أجر بها ذبلى وأنت قتيل
وأما التى فيها مودة بيننا فليس اليها ما حيت سبيل
سألقها حربا عوانا ملحة وانى بها من عامنا لكفيل

وكتب على الى جرير بن عبد الله البجلي وكان عامل عثمان بأرض الجبل

مع زحر بن قيس الجعفي يدعوهم الى البيعة له فبايع وأخذ بيعة من قبله وسار حتى قدم عليه الكوفة وكتب الى الأشعث بن قيس بمثل ذلك وكان مقبلاً بأذربيجان طول ولاية عثمان بن عفان وكانت ولايته مما عتب الناس فيه على عثمان لانه ولأه عند مصاهرته إياه وتزويج ابنة الأشعث من ابنه ويقال ان الأشعث هو الذي اقتح عامّة اذربيجان وكان له بها أثرٌ ونصحٌ واجتهاد وكان كتابه اليه مع زياد بن مرحب فبايع لعليّ وسار حتى قدم عليه الكوفة وان علياً أرسل جرير بن عبد الله الى معاوية يدعوهم الى الدخول في طاعته والبيعة له أو الايدان بالحرب فقالوا لا نشتريه غيره فاني لا آمن مداهته فلم يلتفت الى قول الاشراف سار جرير الى معاوية بكتاب عليّ فقدم على معاوية فألقاه وعنده وجوه أهل الشام فناوله كتاب عليّ وقال هذا كتاب عليّ اليك والى أهل الشام يدعوكم الى الدخول في طاعته فقد اجتمع له الحرمان والمصران والحجازان واليمن والبحران وعمان واليمامة ومصر وقارس والجليل وخراسان ولم يبق الا بلادكم هذه وان سال عليها واد من أوديته غرقها وفتح معاوية الكتاب فقرأه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عليّ أمير المؤمنين الى معاوية بن أبي سفيان اما بعد فقد لزمك ومن قبلك من المسلمين بيعتي وانا بالمدينة وأتم بالشام لانه بايعني الذين بايعوا أبابكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فليس للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد وانما الامر في ذلك للمهاجرين والانصار فاذا اجتمعوا على رجل مسلم فسموه اماما كان ذلك لله رضي فان خرج من أمرهم أحد بطعن

فيه أو رغبة عنه رُدَّ إلى ما خرج منه فإن أبي قاتلوه على اتباعه غير سبيل
المؤمنين وولاه الله ماتولى ويُصلِّه جهنمَ وساءت مصيرًا فادخلُ فيما دخل فيه
المهاجرون والانصار فإن أحبَّ الأمور فيك وفيمن قبلك العافية فإن قبلتها
والآ فائذن بحرب وقد أكثرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس
ثم حاكم القوم إلى أخيلك وإياهم على ما في كتاب الله وسنة نبيه فاماتك التي
تريدها فإما هي مُخدعة الصبي عن الرضاع. فجمع معاوية إليه أشرف أهل بيته
فاستشارهم في أمره فقال أخوه عتبة ابن أبي سفيان استعن على أمرك بعمر وبن
العاص وكان مقيمًا في ضيعة له من حيز فلسطين قد اعتزل الفتنة فكتب إليه
معاوية أنه قد كان من أمر علي في طلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين ما بلغك
وقد قدم علينا جرير بن عبد الله في أخذنا ببيعة علي فحبست نفسي عليك فاقبل
أنظرك في ذلك والسلام. فسار ومعه أبناء عبد الله ومحمد حتى قدم على معاوية
وقد عرف حاجة معاوية إليه فقال له معاوية أبا عبد الله طرقتنا في هذه الأيام
ثلاثة أمور ليس فيها وزد ولا صدر قال وما هن قال أما أولهن فإن محمد بن
حذيفة كسر السجن وهرب نحو مصر فيمن كان معه من أصحابه وهو من
أعدى الناس لنا وأما الثانية فإن قيصر الروم قد جمع الجنود ليخرج إلينا
فيحاربنا على الشام وأما الثالثة فإن جريرا قدم رسولاً لعل بن أبي طالب
يدعونا إلى البيعة له أو أيدان بحرب. قال عمرو أما ابن أبي حذيفة فما يغمك
من خروجه من سجنك في أصحابه فأرسل في طلبه الخليل فان قدرت عليه
قدرت وإن لم تقدر عليه لم يضرك وأما قيصر فأكتب إليه تعلمه أنك ترد

عليه جميع من في يديك من أسارى الروم وتسأله الموادة والمصالحة تجده
سريعا الى ذلك راضيا بالعمو منك وأما علي بن أبي طالب فان المسلمين لا
يُساوون بينك وبينه قال معاوية انه مالا على قتل عثمان وأظهر الفتنة وفرّق
الجماعة قال عمرو انه وان كان كذلك فليست لك مثل سابقته وقرابته ولكن
مالي ان شايئتُك على أمرك حتى تنال ما تريد قال حكك قال عمرو اجعل
لى مصر طعمةً مادامت لك ولاية فلكأ معاوية وقال ياأبا عبد الله لو شئت
أن أخدعك خدعتك قال عمر ومماثلى يخدع قال له معاوية ادن منى أسارك
فدنا عمرو منه فقال هذه خدعة هل ترى فى البيت غيرى وغيرك ثم قال ياأبا
عبد الله أما تعلم أن مصر مثل العراق قال عمرو غير أنها انما تكون لى اذا
كانت لك الدنيا وانما تكون لك اذا غلبت عليا فلكأ عليه وانصرف
عمرو الى رحله فقال عتبة لمعاوية أما ترى أن تشتري عمرا بمصر ان صفت
لك قليبك لا تغلب على الشام وقال معاوية بت عندنا ليلتك هذه فبات
عتبة عنده فلما أخذ معاوية مضجعه أنشأ عتبة

أيها المانعُ سيفاً لم يُهزَّ	انما ملتَ على خزٍ وقزَّ
انما أنت خروفٌ ناعمٌ	بين ضرعين و صوفٍ لم يجزَّ
نالك الخير فخذ من دره	شخبه الاول واترك ما عززَّ
واترك الحرص عليها ضنة	واشرب النار لمقرور يُكزَّ
ان مصرًا لعلى أو لنا	يُغلب اليوم عليها من عجز

وسمع معاوية ذلك فلما أصبح بعث الى عمرو فأعطاه ما سأل وكتب بينهما

في ذلك كتابا ثم ان معاوية استشار عمرًا في أمره وقال ماترى قال عمرو انه قد أتاك في هذه البيعة خبرُ أهل العراق من عند خير الناس ولست أرى لك أن تدعو أهل الشام الى الخلاف فان ذلك خطر عظيم حتى تتقدم قبل ذلك بالتوطين للاشراف منهم واشراب قلوبهم اليقين بأن عليًا مالا على قتل عثمان واعلم ان رأس أهل الشام شَرَحْبِيلُ بن السِمِط الكنديُّ فارسل اليه ليأتيك ثم وَطَّن له الرجال على طريقه كله يُخبرونه بأن عليا قتل عثمان وليكونوا من أهل الرضا عنده فانها كلمةٌ جامعة لك أهل الشام وان تعلق هذه الكلمة بقلبه لن يخرجها شئٌ أبدًا فدعا يزيدَ بن أسد وبُسر بن أبي ارطاة وسفيان بن عمرو ومخارق بن الحارث وحمزة بن مالك وحابس بن سعيد وغير هؤلاء من أهل الرضا عند شَرَحْبِيل بن السمط فوظنهم له على طريقه ثم كتب اليه يأمره بالقدوم عليه . فكان يلقي الرجل بعد الرجل من هؤلاء في طريقه فيخبرونه أن عليا مالا على قتل عثمان ثم أشربوا قلبه ذلك فلما دنا من دمشق أمر معاوية أشراف الشام باستقباله فاستقبلوه وأظهروا تعظيمه فكان كلما خلا برجل منهم ألقى اليه هذه الكلمة فأقبل حتى دخل على معاوية مغضبا فقال أبي الناس الا أن ابن أبي طالب قتل عثمان والله لئن بايعته لنخرجنك من الشام فقال معاوية ما كنت لآخالف أمركم وانما أنا واحد منكم قال فاردت هذا الرجل لي صاحبه يعني جريرا فعلم عند ذلك معاوية أن أهل الشام مع شرحبيل فقال لشرحبيل ان هذا الذي تمهم به لا يصلح الا يرضا العامة فيسرفي مدائن الشام فاعلمهم ما نحن عليه من الطالب بتار خليفتنا

وبإيعامهم على النصره والمعونه فسار شرحبيل يستقرى مدن الشام مدينةً بعد مدينة ويقول أيها الناس ان عليا قتل عثمان وانه غضب له قوم فلقبهم فقتلهم وغلب على أرضهم ولم يبق الا هذه البلاد وهو واضع سيفه على عاتقه وخائض به غمرات الموت حتى يأتيكم ولا يجد أحدًا أقوى على قتاله من معاوية فانهضوا أيها الناس بئس خليفتم المظلوم فأجابه الناس كلهم الا نفرًا من أهل حمص نسًا كما فاتهم قالوا نلزم بيوتنا ومساجدنا وأتم أعلم فلما ذاق معاوية أهل الشام وعرف مبايعتهم له قال لجرير الحق بصاحبك واعلمه أنى وأهل الشام لا تُجيبه الى البيعة ثم كتب اليه بايات كعب بن جُعيل

أرى الشام تكرة ملك العراق	وأهل العراق لهم كارهونا
وكل لصاحبه مبعض	يرى كل ما كان من ذلك دينا
وقالوا على إمام لنا	فقلنا رضينا ابن هند رضينا
وقالوا نرى أن تدينوا لنا	فقلنا لهم لا نرى أن نديننا
وكل يسر بما عنده	يرى غث ما في يديه سمينا
وما في على مستعيب	مقال سوى ضمه المحدثينا
وليس براض ولا ساخط	ولا في النهاية ولا الآمرينا
ولا هو ساء ولا سره	ولا بد من بعض ذا أن يكونا

فلما قرأ على رضى الله عنه قال للنجاشي أجب فقال

دعن معاوية ما لن يكونا	فقد حقق الله ما تحذروننا
أناكم على بأهل العراق	وأهل الحجاز فما تصنعوننا

يرَوْن الطِّعَانِ خِلالَ الْعَبَّاجِ وَضَرَبَ الْقَوَانِسِ فِي النَّقْعِ دِينَا
 هُم هَزَمُوا الْجَمْعَ جَمَعَ الزَّبِيرِ وَطَلْحَةَ وَالْمَعْشَرَ النَّا كَثِينَا
 فَانْ يَكْرَهُ الْقَوْمُ مَلِكَ الْعِرَاقِ فَقَدِمَا رَضِينَا الَّذِي تَكْرَهُونَا
 فَقُولُوا لَكُعبِ أَخِي وَائِلِ وَمَنْ جَعَلَ الْغَثَّ يَوْمًا سَمِينَا
 جَعَلْتُمْ عَلِيًّا وَأَشْيَاعَهُ نَظِيرَ ابْنِ هَنْدٍ أَمَا تَسْتَحُونَا

ولما رجع جرير الى عليّ كثر قول الناس في النهمة له واجتمع هو والأشتر عند عليّ فقال الأشرأما والله يا أمير المؤمنين لو أرسلتني فيما أرسلت فيه هذا لما أرخيت من خناق معاوية ولم أدع لهُ بابا يرجو فتحه إلا سددهة ولا أعجله عن الفكرة قال جرير فما يمنعك من اتيانهم قال الاشترا لأن وقد أفسدتهم والله ما أحسبك أتيتهم إلا لتتخذ عندهم مودة والدليل على ذلك كثرة ذكرك مساعدتهم وتخويفنا بكثرة جموعهم ولو أطاعني أمير المؤمنين لحبسك وأشباهك من أهل الظلة محبسا لا تخرجون منه حتى يستتب هذا الأمر فغضب جرير مما استقبله به الأشر فخرج من الكوفة ليلا في أناس من أهل بيته فلحق بقرقيسيا وهي كورة من كور الجزيرة فأقام بها وغضب على لخروجه عنه فركب الى داره فأمر بمجلس له فأحرق فخرج أبو زرعة ابن عمرو بن جرير فقل ان كان انسان قد أجرم فان في هذه الدار أناسا كثيرا لم يُجرموا اليك جرما وقد روعتهم فقال عليّ رضي الله عنه أستغفر الله ثم خرج منها الى دار لابن عمّ جرير يقال له ثوير بن عامر وقد كان خرج معه فشعث فيها شيئا ثم انصرف . قالوا ولما فرغ عليّ رضي الله عنه

من أصحاب الجمل خافه عبید الله بن عمر أن يقتله بالهرمزان فخرج حتى لحق
بمعاوية فقال معاوية لعمر وقد أحيا الله لنا ذكر عمر بن الخطاب رضی الله عنه
بقدم عبید الله ابنه علينا قال فأرادہ معاوية على أن يقوم في الناس فيلزم عليا
دمَ عثمان فأبى فاستخفَّ به معاوية ثم أدناه بعد وقرَّ به . قالوا ولما عزم أهل الشام
على نصر معاوية والقيام معه أقبل أبو مسلم الخولاني وكان من عبَّاد أهل
الشام حتى قدم على معاوية فدخل عليه في الناس من العبَّاد فقال له يا معاوية
قد بلغنا أنك تهتمَّ بمحاربة علي بن أبي طالب فكيف تُناويه وليست لك
سابقته فقال لهم معاوية لست أدعى أنى مثله في الفضل ولكن هل تعلمون
أن عثمان قتل مظلوما قالوا بلى قال فليدفع الينا قتله حتى نسلم اليه هذا الامر
قال أبو مسلم فاكتب اليه بذلك حتى أنطلق أنا بكتابك فكتب اليه
بسم الله الرحمن الرحيم من معاوية بن أبي سفيان الى علي بن أبي طالب سلام
عليك فاني أحمدُ اليك الله الذي لا اله الا هو أما بعد فان الخليفة عثمان قتل
معك في المحلَّة وأنت تسمع من داره الهينة فلا تدفع عنه بقول ولا بفعل
وأقسم بالله قسما صادقا لو قتت في أمره مقاما صادقا فهنت عنه ما عدل بك
من قبلائنا من الناس أحدا وأخرى أنت بها ظنينُّ ابواؤك قتله فهم عضدك
ويدك وأنصارك وبطانتك وبلغنا أنك تبتهل من دمه فان كنتَ صادقا
فأمكننا من قتله تقتلهم به ونحن أسرع الناس اليك والا فليس لك ولا
لاصحابك عندنا الا السيف فوالله الذي لا اله غيره لنطلبن قتلة عثمان في
ابربالبحر حتى تقتلهم أو تاحق أرواحنا بالله والسلام . فسار أبو مسلم بكتابه

حتى ورد الكوفة ودخل على عليّ فناوله الكتاب فلما قرأه تكلم أبو مسلم فقال يا أبا الحسن انك قد قتت بأمر ووليتته ووالله ما نُحِبُّ أنه لغيرك ان أعطيت الحق من نفسك ان عثمان رضى الله عنه قُتل مظلوما فادفع الينا قتلته وأنت أميرنا فان خالفك أحد من الناس كانت أيدينا لك ناصرة وألسنتنا لك شاهدة وكنت ذا عذر وحبّة فقال له عليّ اغدُ عليّ بالغداة وأمر به فأُنزل وأُكرم فلما كان من الغد دخل الى عليّ وهو في المسجد فاذا هو نزهاء عشرة آلاف رجل قد لبسوا السلاح وهم ينادون كلنا قتلة عثمان فقال أبو مسلم لعليّ انى لأرى قوما مالك معهم أمر وأحسب أنه بلغهم الذى قدمت له ففعلوا ذلك خوفا من أن تدفعهم الىّ قال عليّ انى ضربتُ أنفَ هذا الامر وعينه فلم أرىستقيم دفعهم اليك ولا الى غيرك فاجلس حتى أكتب جواب كتابك ثم كتب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عليّ أمير المؤمنين الى معاوية بن أبي سفيان أما بعد فانّ أخا خولان قد قدم عليّ بكتاب منك تذكر فيه قطعى رحم عثمان وتألبي الناس عليه وما فعلتُ ذلك غير أنه رحمه الله عتب الناس عليه فمن بين قاتل وخاذل فجلست في بيتي واعتزلت أمره الا أن تتجنى فتجنّ ما بدالك فأما ما سألت من دفعى اليك قتلته فانى لا أرى ذلك لعلى بأنك انما تطلب ذلك ربيعةً الى ماتأمل ومِرْقاة الى ما ترجو وما الطلب بدمه تريد ولعمري انن لم تنزع عن غيك وشقاقك لينزل بك ما ينزل بالشاق العاصى الباغى والسلام . وكتب الى عمرو بن العاص بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عليّ أمير المؤمنين الى عمرو بن

العاص أما بعد فإن الدنيا مشغلة عن غيرها صاحبها منهوم فيها لا يصيب منها شيئاً الا ازداد عليها حرصاً ولم يستغن بما نال عملاً لا يبلغ ومن وراء ذلك فراق ما جمع والسعيد من اتعظ بغيره فلا تحبط عمالك بمجاراة معاوية في باطلة فانه سفه الحق واختار الباطل والسلام . فكتب اليه عمرو بن العاص من عمرو ابن العاص الى علي بن أبي طالب أما بعد فإن الذي فيه صلاحنا وألفة ذات بيتنا أن تجيب الى ما ندعوك اليه من شورى تحملنا وإيّاك على الحق ويعذرنا الناس لها بالصدق والسلام . قالوا ولما أجمع عليّ على المسير الى أهل الشام وحضرت الجمعة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال أيها الناس سيروا الى أعداء السنن والقرآن سيروا الى قتلة المهاجرين والانصار سيروا الى الجفأة الطغام الذين كان اسلامهم خوفاً وكرهاً سيروا الى المؤلفة قلوبهم ليكفوا عن المسلمين بأسهم . فقام اليه رجل من فزارة يسمى أربد فقال أتريد أن تسير بنا الى اخواننا من أهل الشام فقتلهم كما سرت بنا الى اخواننا من أهل البصرة فقتلناهم كلاًها الله اذاً لا نفعل ذلك فقام الاشرق فقال أيها الناس من لهذا فهرب الفزاري وسعى شوّبوب من الناس في أثره فاحقوه بالكناسة فضربوه بنعالم حتى سقط ثم وطئوه بأرحلهم حتى مات فاخبر بذلك عليّ رضي الله عنه فقال قتيل عمية لا يُدرى من قتله فدفن ديته الى أهله من نيت المال وقال بعض شعراء بني ثميم

أعوذ بربي أن تكون منيتي كما مات في سوق البراذين أربد
تماوره همدان خصف نعالم اذا رُفعت عنه يدٌ وقعت يدٌ

وقام الاشر فقال يا أمير المؤمنين لا يؤسنتك من نصرتنا ما سمعت من هذا
 الخائن ان جميع من ترى من الناس شيعتك لا يرغبون بأنفسهم عنك ولا
 يحبون البقاء بعدك فسر بنا الى أعدائك فوالله ما ينجو من الموت من خافه
 ولا يعطى البقاء من أحبه ولا يعيش بالامل الا المغرور فأجابته جلّ الناس
 الى المسير الا أصحاب عبد الله بن مسعود وعبيدة السلمانيّ والربيع بن
 خثيم في نحو من أربعائة رجل من القراء فقالوا يا أمير المؤمنين قد شككنا
 في هذا القتال مع معرفتنا فضلك ولا غنى بك ولا بالمسلمين عنم يقاتل
 المشركين فولّنا بعض هذه الثغور لنقاتل عن أهله فولّاهم ثغر قزوين والرى
 وولى عليهم الربيع بن خثيم وعقد له لواء وكان أول لواء عقد بالكوفة. قالوا
 وبلغ عليا ان حُجْرَ بن عديّ وعمرو بن الحنق يظهران شتم معاوية ولعن أهل
 الشام فأرسل اليهما أن كُفّا عما بلغني عنكما فأتياه فقالا يا أمير المؤمنين ألسنا
 على الحق وهم على الباطل قال بلى وربّ الكعبة المسدّنة قالوا فلم تمنعنا من
 شتمهم ولعنهم قال كرهت لكم أن تكونوا شتامين لعائين ولكن قولوا
 اللهم أحقن دماءنا ودماءهم وأصلح ذات بيننا وبينهم واهدهم من ضلالتهم
 حتى يعرف الحق من جهله ويرعوى عن الغي من لَحَجَ به قالوا ولما عزم على
 رضى الله عنه على الشخوص أمر مناديا فنادى بالخروج الى المعسكر بالنخيلة
 فخرج الناس مستعدين واستخاف علىّ على الكوفة أبا مسعود الانصارى
 وهو من السبعين الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وخرج
 علىّ رضى الله عنه الى النخيلة وأمامه عمّار بن ياسر فأقام بالنخيلة مُعسكرا

وكتب الى عماله بالقدوم عليه . ولما انتهى كتابه الى ابن عباس ندب الناس
وخطبهم وكان من تكلم الأحنف بن قيس ثم قام خالد بن المعمر السدوسي
ثم قام عمرو بن مرحوم العبدى وكلهم أجاب وسارع فخلف على البصرة أبا
الأسود الديلي وسار بالناس حتى قدم على علي بالنخيلة فلما اجتمع الى علي
قواصيه وانضمت اليه أطرافه تهباً للسير من النخيلة ودعا زياد بن النضر
وشريح بن هاني فعد لكل واحد منهما على ستة آلاف فارس وقال ليسر
كل واحد منكما منفردا عن صاحبه فان جمعكما حرب فانت يا زياد الامير
واعلم ان مقدمة القوم عيونهم وعيون المقدمة طلائعهم فإيا كما أن تسأما عن
توجيه الطلائع ولا تسيرا بالكتائب والقبائل من لدن مسيركما الى نزولكما
الابتعية وحذر واذا نزلتم بعدو أو نزل بكم فليكن معسكركم في أشرف
المواقع ليكن ذلك لكم حصنا حصينا واذا غشيم الليل فحفوا معسكركم بالرمح
والترسة وليليهم الرماة وما أقمم فكذلك فكونوا لان لا يصاب منكم غرة
واحرصا معسكركما بأنفسكما ولا تذوقا نوما الا غرارا ومضمضة وليكن عندى
خبركما فإني ولا شئ الا ما شاء الله حيث السير في أثركما ولا تقاتلا حتى تبدأ
أو يأتكما أمرى ان شاء الله . فلما كان اليوم الثالث من مخرجهما قام في أصحابه
خطيبا فقال يا أيها الناس نحن سائرون غدا في آثار مقدمتنا فإياكم والتخلف
فقد خلفت مالك بن حبيب اليربوعى وجعلته على الساقة وامرته أن لا يدع
أحدا الا ألحقه بنا فلما أصبح نادى في الناس بالرحيل وسار فلما انتهى الى رسوم
مدينة بابل قال لمن كان يسيره من أصحابه ان هذه مدينة قد خسف بها

مرارا فخرت كوا خيلكم وأرخوا أعنتها حتى تجوزوا موضع المدينة لعننا ندرك
 العصر خارجا منها فحرك وحر كوا دوابهم فخرج من حد المدينة وقد حضرت
 الصلاة فظل فصلى بالناس ثم ركب وسار حتى انتهى الى دير كعب فجاوزه
 وأتى ساباط المدائن فظل فيه بالناس وقد هيئت له فيه الانزال فلما أصبح ركب
 وركب الناس معه وانهم لثمانون ألف رجل أو يزيدون سوى الاتباع والخدم
 ثم سار حتى أتى مدينة الانبار فلما وافى المدائن عقد لمعقل بن قيس في ثلاثة
 آلاف رجل وأمره أن يسير على الموصل ونصيبين حتى يوافيه بالرقعة فسار حتى
 وافى حديثة الموصل وهي اذ ذاك المصر وانما بنى الموصل بعد ذلك مروان
 ابن محمد . فلما انتهى معقل لليها اذا هو بكبشين يتناطحان ومع معقل رجل من
 خشم يزجر فجعل الخشمى يقول ايه ايه فأقبل رجلان فأخذ كل واحد منهما
 كبشا فقاده وانطلق به فقال الخشمى لمعقل لا تغلبون ولا تغلبون فقال معقل
 يكون خيرا ان شاء الله ثم مضى حتى وافى عليا وقد نزل البليخ فأقام ثلاثا ثم
 أمر بجسر فعقد وعبر الناس ولما قطع على رضى الله عنه الفرات أمر زياد بن
 النضر وشریح بن هانى ان يسيرا أمامه فسارا حتى انتهيا الى مكان يدعى
 سور الروم لقيهما أبو الاعور السهمى فى خيل عظيمة من أهل الشام فأرسلا
 الى على يعلمانه ذلك فأمر على الاشتهر أن يسير اليهما وجعله أميرا عليهما
 فسار حتى وافى القوم فاقتلوا وصبر بعضهم لبعض حتى جن عليهم الليل وأنسل
 أبو الاعور فى جوف الليل حتى أتى معاوية وأقبل معاوية بالخليل نحو صفين
 وعلى مقدمته سفیان بن عمرو وعلى ساقه بسر بن أبى ارطاة العامرى فأقبل

سفيان بن عمرو ومعه أبو الاعور حتى وافيا صفين وهي قرية خراب من بناء الروم منها الى الفرات غلوة وعلى شط الفرات مما يليها غيضة ملتفة فيها نزوز طولها نحو من فرسخين وليس في ذينك الفرسخين طريق الى الفرات الا طريق واحد مفروش بالحجارة وسائر ذلك خلاف وغرب ملتف لا يسلك وجميع الغيضة نزوزٌ ووحلٌ الا ذلك الطريق الذي يأخذ من القرية الى الفرات . فأقبل سفيان بن عمرو وأبو الاعور حتى سبقا الى موضع القرية فنزلا هناك مع ذلك الطريق ووافاهما معاوية بجميع الفيلق حتى نزل معهما وعسكر مع القرية وأمر معاوية أبا الاعور أن يقف في عشرة آلاف من أهل الشام على طريق الشريعة فيمنع من أراد السلوك الى الماء من أهل العراق وأقبل على رضى الله عنه حتى وافى المكان فصادف أهل الشام قد احتوا على القرية والطريق فأمر الناس فنزلوا بالقرب من عسكر معاوية وانطلق السقاؤون والغلمان الى طريق الماء فقال أبو الاعور بينهم وبينه وأخبر على رضى الله عنه بذلك فقال لصمصعة ابن صوحان انت معاوية قتل له انا سرنا اليكم نعدرك قبل القتال فان قبلتم كانت العافية أحب الينا وأراك قد حلت بيننا وبين الماء فان كان أعجب اليك أن ندع ما جئنا له ونذر الناس يقتلون على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب فعلنا فقال الوليد أمنعهم الماء كما منعه أمير المؤمنين عثمان أقتلهم عطشا قتلهم الله فقال معاوية لعمر وبن العاص ما ترى قال أرى أن تخلى عن الماء فان القوم لن يعطشوا وانت ريان فقال عبد الله بن أبي سرح وكان أخا عثمان لآمه امنعهم الماء الى الليل لعلهم أن ينصرفوا الى طرف الغيضة فيكون

انصرفهم هزيمة فقال صعصعة لمعاوية ما الذي ترى قال معاوية ارجع فسيأتيكم رأيي فانصرف صعصعة الى علي فأخبره بذلك وظل أهل العراق يومهم ذلك وليتهم بلا ماء الا من كان ينصرف من العلمان الى طرف الغيضة فيمشي مقدار فرسخين فيستقي فغمّ عليا رضي الله عنه أمر الناس غما شديدا وضاق بما أصابهم من العطش ذرعا فأتاه الأشعث بن قيس فقال يا أمير المؤمنين ايمنعنا القوم الماء وأنت فينا ومعنا سيوفنا ولني الزحف اليه فوالله لا أرجع أو أموت ومُرّ الاشر فليضمّ اليّ في خيله فقال له عليّ ائت في ذلك مارأيت. فلما أصبح زاحف أبا الأعور فاقتلوا وصدقهم الأشرُّ والأشعثُ حتى نفيا أبا الأعور وأصحابه عن الشريعة وصارت في أيديهما فقال عمرو بن العاص لمعاوية ما ظنك بالقوم اليوم ان منعوك الماء كما منعتمهم أمس فقال معاوية دع ماضى ما ظنك بعليّ قال ظني انه لا يستحل منك ما استحللت منه لانه أذاك في غير أمر الماء . ثم توادع الناس وكف بعض عن بعض وأمر عليّ أن لا يمنع أهل الشام من الماء فكانوا يسقون جميعا ويختلط بعضهم ببعض ويدخل بعضهم في معسكر بعض فلا يعرض أحد من الفريقين لصاحبه الا بخير ورجوا أن يقع الصلح . وأقبل عبيد الله بن عمر بن الخطاب حتى استأذن عليّ فأذن له فدخل عليه فقال له عليّ أقتلتَ الهرمزان ظلما وقد كان أسلم عليّ يدي عمى العباس وفرض له أبوك في المنين وترجو أن تسلم مني فقال له عبيد الله الحمد لله الذي جعلك تطلبني بدم الهرمزان وأنا أطلبك بدم أمير المؤمنين عثمان فقال له عليّ ستجمعنا واياك الحرب فتعلم . قال فلم

يزالوا يتراسلون شهرى ربيع وجمادى الاولى ويفزعون فيما بين ذلك يزحف بعضهم الى بعض فيحجز بينهم القراء والصالحون فيفترقون من غير حرب حتى فزعوا في هذه الثلاثة الاشهر خمسا وثمانين فرزة كل ذلك يحجز بينهم القراء فلما انتقضت جمادى الاولى بات على رضى الله عنه يعي أصحابه ويكتب كتابه وبعث الى معاوية يؤذنه بحرب فعي معاوية أيضا أصحابه وكتب كتابه فلما أصبحوا تراحفوا وتواقفوا تحت رايتهم فى صفوفهم ثم تهاجروا فلم تكن حرب وكانوا يكرهون أن يلتفوا بجميع الفيالق مخافة الاستئصال غير أنه يخرج الجماعة من هؤلاء الى الجماعة من أولئك فيقتلون بين العسكرين فكانوا كذلك حتى أهلى هلال رجب فأمسك الفريقان . قالوا وأقبل أبو الدرداء وأبو أمامة الباهلى حتى دخلا على معاوية فقالا على ما تقاتل عليا وهو أحق بهذا الامر منك قال أقاتله على دم عثمان قالا أو هو قتله قال آوى قتلته فسأله أن يسلم الينا قتله وأنا أول من بايعه من أهل الشام فأقبلوا الى على رضى الله عنه فأخبراه بذلك فاعتزل من عسكر على زهاء عشرين ألف رجل فصاحوا نحن جميعا قتلنا عثمان فخرج أبو الدرداء وأبو أمامة فلحقا ببعض السواحل ولم يشهدا شيئاً من تلك الحروب . وان معاوية بعث الى شرحبيل ابن السمط وحبيب بن مسلمة ومعن بن يزيد بن الاخنس وقال انطلقوا اليه وسأله أن يسلم الينا قتلة عثمان ويتخلى مما هو فيه حتى نجعلها سُورى بين المسلمين يختارون لانفسهم من رضوا وأحبوا فأقبلوا حتى دخلوا على على رضى الله عنه فبدأ حبيب بن مسلمة فتكلم بما حمله معاوية فقال له على وما أنت

وذاك لأُمّ لك فليست هناك فقام حبيب مغضبا فقال والله لتريني بحيث
تكره فقال شرحبيل أفلا تسلم الينا قتلة عثمان قال على انى لا أستطيع ذلك
وهم زهاء عشرين الف رجل فقاما عنه فخرجا . قالوا فكث الناس كذلك
الى أن انسلخ المحرم وفي ذلك يقول حابس بن سعد الطائي وكان صاحب
لواء طي مع معاوية

فما بين المنايا غيرُ سبع بقين من المحرم أوثمان
ألم يعجبك انا قد هجمنا واياهم على الموت العيان
أينانا كتاب الله عنهم ولا ينهائم آى القرآن

فلما انسلخ المحرم بعث على مناديا فنادى فى عسكر معاوية عند غروب
الشمس انا أمسكنا لتصرم الاشهر الحرم وقد تصرمت وانا ننبذ اليكم على
سواء ان الله لا يجب اثلاثين فبات الفريقان يكتبون الكتاب وقد أوقدوا
النيران فى العسكرين فلما أصبحوا تراحفوا وقد استعمل على الخيل عمار
ابن ياسر وعلى الرجالة عبد الله بن بُدَيل بن ورقاء الخزاعى ودفع الراية
العظمى الى هاشم بن عُبَبة المرقال وجعل على الميمنة الاشعث بن قيس وعلى
الميسرة عبد الله بن عباس وعلى رجالة الميمنة سليمان بن صرد وعلى رجالة
الميسرة الحرث بن مُرّة العبدي وجعل فى القلب مضر وفى الميمنة ربيعة
وفى الميسرة أهل اليمن وضم قريشا وأسدا وكناة الى عبد الله بن عباس
وضم كندة الى الاشعث وضم بكر البصرة الى الحضين بن المنذر وضم تميم
البصرة الى الأحنف بن قيس وولى أمر خُزاعة عمرو بن الحامق وولى بكر

الكوفة نُعَيْم بن هُبَيْرَة وولى سعد رباب البصرة خارجه بن قُدَامَة وولى
بِجِيلَة رِفَاعَة بن شدَّاد وولى ذهل الكوفة رُوَيْمَة الشيباني وولى حنظلة البصرة
أَعْيَن بن ضَبِيعَة وجعل على قضاء كلها عدى بن حاتم وجعل على لهازم
الكوفة عبد الله بن بُدَيْل وعلى تميم الكوفة عمير بن عَطَّارِد وعلى الأزْد
جندُب بن زهير وعلى ذهل البصرة خالد بن مَعْمَرُ وعلى حنظلة الكوفة
شَبَثَ بن رَبِيعٍ وعلى هَمْدَان سعد بن قيس وعلى لهازم البصرة خزيمة بن
خازم وعلى سعد رباب الكوفة أبا صِرْمَة واسمه الطفيل وعلى مَذْحِج الاشتر
وعلى عبد قيس الكوفة عبد الله بن الطفيل وعلى عبد قيس البصرة عمرو بن
حنظلة وعلى قيس البصرة شدَّاد الهلالي وعلى الليف من القواصي القاسم بن
حنظلة الجهني . واستعمل معاوية على الخليل عبد الله بن عمرو بن العاص وعلى
الرجالة مُسَلِم بن عُقْبَة لعنه الله وعلى الميمنة عُبيد الله بن عمر بن الخطاب وعلى
الميسرة حبيب بن مَسْلَمَة ودفن اللواء الأَعْظَم الى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد
واستعمل على أهل دمشق الضحاك بن قيس وعلى أهل حمص ذا الكَلَاع
وعلى أهل قنسرين زفر بن الحرث وعلى أهل الأردن سفيان بن عمرو وعلى
أهل فلسطين مَسْلَمَة ابن خالد وعلى رجالة دمشق بُسر بن أبي أرطاة وعلى رجالة
حمص حَوْشِبَاذَا ظليم وعلى رجالة قنسرين طريف بن حابس وعلى رجالة الأردن
عبد الرحمن القيني وعلى رجالة فلسطين الحرث بن خالد الأزدي وعلى قيس
دمشق هَمَام ابن قبيصة وعلى قيس حمص هلال بن أبي هُبَيْرَة وعلى رجالة الميمنة
حابس ابن ربيعة وعلى قضاء دمشق حسان بن بِمَدَل وعلى قضاء حمص عبَّاد

ابن يزيد وعلى كندة دمشق عبد الله بن جون السكسكي وعلى كندة
حمص يزيد بن هبيرة وعلى النمر بن قاسط يزيد بن أبي أسد العجلي وعلى
حمير هاني بن عمير وعلى قضاة الاردن مخارق بن الحرث وعلى نلم فلسطين
نابل بن قيس وعلى همدان الاردن حمزة بن مالك وعلى غسان الاردن زيد
ابن الحرث وعلى أهل القواصي القعقاع بن أبرهة وعلى الخليل كلها عمرو بن
العاص وعلى الرحلة كلها الضحاك بن قيس واصطف كل فريق منهم سبعة
صفوف صفين في الميمنة وصفين في الميسرة وثلاثة صفوف في القلب فكان
الفريقان أربعة عشر صفا فوقفوا تحت راياتهم لا ينطق أحد منهم بكلمة
فخرج رجل من أهل العراق يسمى جحل بن أنال وكان من فرسان العرب
فوقف بين صفوف أهل العراق وأهل الشام ثم نادى هل من مبارز وهو
متقنع بالحديد فخرج اليه أبوه أنال وكان من معدودي فرسان أهل الشام متقنعا
بالحديد ولم يعلم واحد منهما من صاحبه فتطاردا والناس قد شخصت أبصارهم
ينظرون فطعن كل واحد منهما صاحبه فلم يصنعا شيئا لكمال لامتيةما فحمل
الأب على الابن فاحتضنه حتى أشاله عن سرجه فسقط وسقط الاب عليه
فانكشفت وجوههما فمرف كل واحد منهما صاحبه فانصرفا الى عسكريهما
ثم تفرق الناس يومئذ ولم يكن بينهما غير هذا . فلما أصبحوا عادوا الى مواقعهم
كما كانوا بلامس فخرج عتبة بن أبي سفيان حتى . قف على فرسه بين الصفين
فدعا جمدة بن هبيرة بن أبي وهب القرشي ليخرج اليه فأقبل جمدة حتى
دنا من عتبة فتجاريا ما هم فيه وتقاولا حتى أغضب جمدة عتبة فتناوله عتبة

بلسانه فانصرفا مغضبين وعبي كل واحد منهما لصاحبه كتيبة فاقتلوا بين
الصفين وأعين الناس اليهم وباشر جعدة القتال فتهزم عتبة وانصرف الفريقان
لم يكن بينهم يومئذ الا ذاك فقال النجاشي يذكر ما كان بينهما

ان شتم الكريم يا عتب خطب . فاعلمنه من الخطوب عظيم
أمه أم هاني وأبوه من لوئى بن غالب الصميم
انه للهيرة بن أبي وهب أقرت بفضلته مخزوم

وقال أيضا

مازلت تنظر في عطفك أبهة لا يرفع الطرف منك التيه والصلف
لما رأيتهم صباحا حسبتهم أسد العرين حتى أشبالها الغرف
ناديت خيلك اذ عض السيوف بها عوجي الى فما عاجوا وما وقفوا
هلا عطفت الى قتلى مصرعة منها السكون ومنها الازد والصدف
قد كنت في منظر عن ذاو مستمع يا عتب لولا سفاه الرأي والترف

قالوا وخرج الأشعث في يوم من الايام في خيل من ابطال أهل العراق فخرج
اليه حبيب بن مسلمة في مثل ذلك من أهل الشام واقتلوا بين الصفين مليا
حتى مضى جل النهار ثم انصرفوا وقد انصف بعضهم من بعض . وخرج
يوما آخر المرقال هاشم بن عتبة بن أبي وقاص في خيل فخرج اليه أبو الاعور
السلمي في مثل ذلك فاقتلوا بين الصفين جل النهار فلم يفر أحد عن أحد
وخرج يوما آخر عمار بن ياسر في خيل من أهل العراق فخرج اليه عمرو بن
العاص في مثل ذلك ومعه شقة سوداء على قناة فقال الناس هكذا لواء عقده

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علي رضي الله عنه أنا مخبركم بقصة هذا اللواء هذا لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال من يأخذه بحقّه فقال عمرو وما حقّه يا رسول الله فقال لا تفرّ به من كافر ولا تقاتل به مسلماً فقد فرّ به من الكافرين في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قاتل به المسلمين اليوم فاقتل عمرو وعمار ذلك اليوم كله لم يولّ واحد منهما صاحبه الدبر .

وخرج في يوم آخر محمد بن الحنفية فخرج اليه عبيد الله بن عمر في مثل عدده من أهل الشام فقال عبيد الله لابن الحنفية ابرز لي فقال محمد نزال قال وذاك فتزلا جميعا عن فرسيهما ونظر علي اليهما فحرك فرسه حتى دنا من محمد ثم نزل وقال لمحمد أمسك علي فرسي ففعل ومشي الى عبيد الله فولى عنه عبيد الله وقال مالي في مبارزتك من حاجة انما أردت ابنك فقال محمد يا أبت لو تركتني أبارزه لرجوت أن أقتله قال لو بارزته لرجوت ذلك وما كنت آمنّا أن يقتلك واقتاتت خيلاهما الى أنصاف النهار ثم انصرفت وكلّ غير غالب

وخرج في يوم آخر عبد الله بن عباس في خيل من أهل العراق فخرج اليه الوليد بن عتبة في مثلها من أهل الشام فقال الوليد يا ابن عباس قطعتم أرحامكم وقتلتم إمامكم ولم تدركوا ما أملمتم فقال له ابن عباس دع عنك الأساطير وابرز إلى فآبى الوليد وقاتل ابن عباس يومئذ بنفسه قتالا شديدا ثم انصرفا متصفيين

وخرج في يوم آخر عمرو بن العاص في خيل من أهل الشام فخرج اليه سعد ابن قيس الهمداني في مثل ذلك من أهل العراق وعمرو يرتجز

لا تأمننّ بعدها أبا حسن طاحنة تدقّكم دقّ الطحن

أَنَا نُمِرُ الْحَرْبَ أَمْرًا الرَّسَنُ

فبدر من كان مع عمرو فتي من أهل الشام يسمى حُجر الشرّ فدعا للبراز
فبرز إليه حجر بن عدى فأتطنا قطعنه حجر الشر طعنة أذراه عن فرسه
وحماه أصحابه فأنصرفا وقد جرحه السنان فخرج إليه الحكم بن أزهري وكان
من أشرف الكوفة فاختلفا ضربتين فضربه حجر الشر فقتله ثم نادى هل
من مبارز فبرز إليه ابن عمّ للحكم يسمى رفاعة بن طليق فضرب حجر الشر
فقتله فقال عليّ الحمد لله الذي قتل هذا

(مقتل عبد الله بن بديل)

وخرج في يوم آخر عبد الله بن بديل الخزاعيّ وكان من أفاضل أصحاب
عليّ في خيل من أهل العراق فخرج إليه أبو الأعور السلميّ في مثل ذلك
من أهل الشام فاقتلوا هويّاً من النهار فترك عبد الله أصحابه يعتركون في
مجالهم وضرب فرسه حتى أحماه ثم أرسله على أهل الشام فشقّ جموعهم لا يدنو
منه أحد إلا ضربه بالسيف حتى انتهى إلى الراية التي كان معاوية عليها
فقام أصحاب معاوية دونه فقال معاوية ويحكم ان الحديد لم يؤذن له في هذا
فعلبكم بالمجارة فرث بالصخر حتى مات فأقبل معاوية حتى وقف عليه فقال

هذا كبش القوم هذا كما قال الشاعر

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضهاً وان شمّرت عن ساقها الحرب شمراً
كليث عرين بات يحى عرينه رمته المنايا قصدها فتقطراً
قالوا وكان فارس معاوية الذي يتهى به حرّيث مولاه وكان يلبس بزّة

معاوية ويستلم سلاحه ويركب فرسه ويحمل متشبها بمعاوية فاذا حمل قال
الناس هذا معاوية وقد كان معاوية نهاه عن علي وقال اجتنبه وضع رحلك
حيث شئت فخلا به عمرو وقال ما يمنعك من مبارزة علي وأنت له كفوء قال
قد نهاني مولاي عنه قال انى والله لا رجوان بارزته أن تقتله فتذهب بشرف
ذلك فلم يزل يُزَيْن له ذلك حتى وقع في قلب حريث فلما أصبحوا خرج
حريث حتى قام بين الصفيين وقال يا أبا الحسن ابرز الى أنا حريث فخرج
اليه علي فضربه فقتله . وبعث علي يوما من تلك الايام الى معاوية لم يقتل
الناس بيني وبينك ابرز الى فأينا قتل صاحبه تولى الأمر فقال معاوية لعمرو
ما ترى قال قد أنصفك الرجل فابرز اليه فقال معاوية آتخذعنى عن نفسى
ولم ابرز اليه ودونى عك والأشعرون ثم قال

ما للملوك وللبراز وانما حظُّ المبارزِ خطفةٌ من باز

ووجد من ذلك على عمرو فهجره أياما فقال عمرو لمعاوية أنا خارج الى علي
غدا فلما أصبحوا بدر عمرو حتى وقف بين الصفيين وهو يرتجز

شداً على شكى لا تنكشيف يوم لمدان ويوم للصدف
ولتميم مثله أو تنحرف والرابعون لهم يوم عصيف
اذا مشيت مشية العود النطف اطعنهم بكل خطى ثقف

ثم نادى يا أبا الحسن اخرج الى أنا عمرو بن العاص فخرج اليه على قطاعنا
فلم يصنع شيئاً فاتضى على سيفه فحمل عليه فلما أراد أن يجلله رمى بنفسه عن فرسه
ورفع احدى رجليه فبدت عورته فصرف علي وجهه وتركه وانصرف عمرو

الى معاوية فقال له معاوية احمد الله وسوداء أستك يا عمرو . قالوا وخرج
 عبيد الله بن عمر بن الخطاب يوما من تلك الايام وكان من فرسان العرب
 وأبطالها في خيل من أهل الشام وخرج الاشر في مثلها فاشتدت بينهما الحرب
 فالتقى عبيد الله والاشتر فحمل عبيد الله على الاشر و بدره الاشر بطعنة
 فأخطأه وأسرع الاشر في أصحاب عبيد الله فانصرف الفريقان وللأشر
 الفضل . وخرج يوما آخر عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وكان من معدودي
 رجال معاوية فخرج اليه عدى بن حاتم في مثلها فاقتلوا يومهم كله ثم انصرفوا
 وكل غير غالب وخرج يوما ذوالكلاع في أربعة آلاف فارس من أهل
 الشام قد تبايعوا على الموت فحملوا على ربيعة وكانوا في ميسرة على وعليهم
 عبد الله بن عباس فتصدت جموع ربيعة فناداهم خالد بن المعمر يا معشر
 ربيعة أسخطم الله فتابوا اليه فاشتد القتال حتى كثرت القتلى ونادى عبيد الله
 ابن عمر أنا الطيب بن الطيب فسمعه عمار فناداه بل أنت الخليل بن الطيب
 ثم حمل عبيد الله وهو يرتجز

انا عبيدُ الله ينمى عُمرُ خيرُ قريش من مضى ومن غبرُ
 غير رسول الله والشيوخ الأغرُ أبطأ عن نصرِ ابن عفان مُصرُ

والرعيون فلا أسقطوا المطر

فحضر شير بن الريان العجلي فقتله وكان من فرسان ربيعة

(مقتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب)

فلما أصبحوا خرج عبيد الله فيمن كان معه بالامس وخرجت اليهم ربيعة

فاقتلوا بين الصفين وعيّد الله امامهم يضرب بسيفه فحمل عليه حرّيث بن جابر الحنفيّ قطعنه في لبته فقتله وقد اختلفوا في قتله فقال همدان قتله هانيّ بن الخطّاب وقال حضرموت قتله مالك بن عمرو الحضرميّ وقالت ربيعة حرّيث ابن جابر الحنفيّ وهو المجتمع عليه فقال كعب بن جُعيل يرثيه

ألا انما تبكى العيون لفارسٍ	بصفين أجلت خيله وهو واقفٌ
فأضحى عبيدُ الله بالقاعِ مسلها	تمجُّ دما منه العروق النوازفُ
ينوء وتعلوه سبائبُ من دمٍ	كالملاح في جيب القميص الكفائف
وقد ضربت حول ابن عم نبينا	من الموت شهباء المناكب شارِفُ
تموجُ ترى الرايات حمرا كأنها	إذا صوّبت للطنن طيرٌ عوا كف
جزى الله قتلانا بصفين ماجزى	عبادا له اذ غودروا في المزاحفِ

(مقتل ذي الكلاع)

قالوا وخرج ذو الكلاع في يوم من تلك الايام في كتيبة من أهل الشام من عك ونلم فخرج اليه عبد الله بن عباس في ربيعة فالتقوا ونادى رجل من مذحج العراق يال مذحج خذّوا فاعترضت مذحج عكا يضربون سوقهم بالسيوف فيبركون فنادى ذو الكلاع يال عك بروكا كبروك الابل وحمل رجل من بكر بن وائل يسمى خندا فاعلى ذي الكلاع فضربه بالسيف على عاتقه فقدّ الدرع وفرى عاتقه فخرّ ميتا . فلما قتل ذو الكلاع تمحكت عك وصبروا لعض السيوف فلم يزلوا كذلك حتى أمسوا وكان أهل العراق وأهل الشام أيام صفين اذا انصرفوا من الحرب

يدخل كل فريق منهم في الفريق الآخر فلا يعرض أحده لصاحبه وكانوا يطلبون قتلام فيخرجونهم من المعركة ويدفنونهم . قالوا وان عليا رضى الله عنه أشاع أنه يخرج الى أهل الشام بجميع الناس فيقاتلهم حتى يحكم الله بينه وبينهم ففرغ الناس لذلك فرضا شديدا وقالوا انما كنا الى اليوم نخرج الكتيبة الى مثلها فيقتلون بين الجمعين فان التقينا بجميع القبليين فهو فناء العرب وقام في الناس خطيبا فقال ألا انكم ملاقوا القوم غدا بجميع الناس فأطيلوا الليلة القيام وأكثروا تلاوة القرآن وسلوا الله الصبر والنصر والقوهم بالجد فقال كعب بن جُعيل

أصبحت الامة في أمر عجب والملك مجموع غدا لمن غلب
أقول قولا صادقا غير الكذب ان غدا تهلك أعلام العرب

واجتمع أهل الشام الى معاوية فعرضهم فنادى مناديه أين الجند المقدم فخرج أهل حمص تحت رايتهم وعليهم أبو الاعور التلمي ثم نادى أين أهل الاردن فخرجوا تحت رايتهم وعليهم زفر بن الحرث الكلابي ثم نادى أين جند الامير فجاء أهل دمشق تحت رايتهم وعليهم الضحاك بن قيس فأطافوا بمعاوية فعقد لعمر بن العاص على جميع الناس وساروا حتى وقفوا بازاء أهل العراق وقعد معاوية على منبر ينظر منه فوق راية الى الفريقين اذا اقتلوا وأقبلت عك الشام وقد عصّبوا أنفسهم بالعائم وطرحوا بين أيديهم حجرا وقالوا لانولى الدبر أو يولى معنا هذا الحجر فصفهم عمرو وخمسة صفوف ووقف أمامهم يرتجز

يأيها الجيشُ الصليبُ الأيمانُ قوموا قياما فاستعينوا الرحمن
 انى أتانى خبرٌ فأبكانُ انّ عليا قتل ابن عفّان
 رُدُّوا علينا شيخنا كما كان

وأنشأ رجل من أهل الشام يقول

تبكى الكتيبةُ يومَ جرّ حديدِها يوم الوغا جزعاً على عثمانا
 يسلون حقّ الله لا يمدونه وسأتم لعليّ السلطانا
 فأتوا بيّنة بما تسولونه هذا البيان فأحضروا البرهانا

ولما أصبح عليّ رضي الله عنه غلّس بصلاة الفجر ثم أمر أصحابه فخرجوا تحت
 راياتهم ثم جعل يدور على رايات أهل الشام فيقول من هؤلاء فيسمّون له
 حتى اذا عرفهم وعرف ما كرمهم قال لأزد الكوفة ا كفوني أزد الشام وقال
 نخشم الكوفة ا كفوني خشم فأمر كل قبيلة من أهل العراق أن تكفيه أختها
 من أهل الشام ثم أمرهم أن يحملوا من كل ناحية حملة رجل واحد فحملوا
 وحمل عليّ رضي الله عنه على الجمع الذي كان فيه معاوية في أهل الحجاز من
 قريش والانصار وغيرهم وكانوا زهاء اثني عشر ألف فارس وعليّ أمامهم
 وكبروا وكبر الناس تكبيرة ارتجت لها الارض فانتقضت صفوف أهل
 الشام واختلفت راياتهم وانتهوا الى معاوية وهو جالس على منبره معه عمرو
 ابن العاص ينظران الى الناس فدعا بفرس ليركبه ثم ان أهل الشام تداعوا
 بعد جوتهم وثابوا ورجعوا على أهل العراق وصبر القوم بعضهم لبعض الى
 أن حجز بينهم الليل فقتل في ذلك اليوم اناس كثير من أعلام العرب

وأشرفهم فلما أصبحوا دخل الناس بعضهم في بعض يستخرجون قسلاهم
فيدفنونهم يومهم ذلك كله . ثم ان عليا قام في عشية ذلك اليوم في أصحابه
فقال يا أيها الناس اغدوا على مصافكم وازحفوا الى عدوكم وغضوا الابصار
واخفضوا الاصوات وأقلوا الكلام واثبتوا واذكروا الله كثيرا ولا تنازعوا
ففتشوا وتذهب ربحكم واصبروا ان الله مع الصابرين . وقام معاوية في
أهل الشام فقال أيها الناس اصبروا وصابروا ولا تتخاذلوا ولا تتواكلوا فانكم
على حق ولكم حجة وانما تقاتلون من سفك الدم الحرام فليس له في السماء
عاذر . وقام عمرو فقال أيها الناس قدموا المستثمة وأخروا الحسروا غير وناجماجمكم
اليوم فقد بلغ الحق مقطعه وانما هو ظالم أو مظلوم فبات الفريقان طول تلك
الليلة يتعبون للحرب ثم غدوا على مصافهم وحمل الفريقان بعضهم على بعض
وحمل حبيب بن مسامة وكان على ميسرة معاوية على ميمنة على رضى الله
عنه فانكشفوا وجالوا جولة ونظر على الى ذلك فقال لسهل بن حنيف انهض
فيمن معك من أهل الحجاز حتى تعين أهل الميمنة فمضى سهل فيمن كان معه
من أهل الحجاز نحو الميمنة فاستقبلهم جموع أهل الشام فكشفوه ومن معه
حتى انتهوا الى على وهو في القلب فجال القلب وفيه على جولة فلم يبق مع
على الا أهل الحفاظ والنجدة فحث على فرسه نحو ميسرته وهم وقوف يقاتلون
من بازائهم من أهل الشام وكانوا ربيعة . قال زيد بن وهب فاني لا نظر الى
على وهو يمر نحو ربيعة ومعه بنوه الحسن والحسين ومحمد وان النبل ليمر بين
أذنيه وعاتقه وبنوه يقونه بأنفسهم فلما دنا على من الميسرة وفيها الاشتروقد

وقفوا في وجوه أهل الشام يجالدونهم فناداه عليّ وقال ائت هؤلاء المهزمين
قُتل ابن فراركم من الموت الذي لم تُعجزوه الى الحياة التي لا تبقى لكم فذبح
الاشتر فرسه فعارض المهزمين فناداهم أيها الناس اليّ اليّ أنا مالك بن الحارث
فلم يلتفتوا اليه فظنّ انه بالاستعراف فقال أيها الناس أنا الاشتر فتابوا اليه
فزحف بهم نحو ميسرة أهل الشام فقاتل بهم قتالا شديدا حتى انكشف
أهل الشام وعادوا الي مواقفهم الاولى ورتب الاشتر ميمنة عليّ رضي الله عنه
واقبل مراتبها قبل الجولة فلما عادوا الي مواقفهم جعل عليّ يسير في الصفوف
ويؤنّبهم علي ما كان من جوتهم وذلك ما بين صلاة العصر والمغرب . قال ثم
أن أهل الشام حملوا علي تميم وكانوا في اليمنة فكشفوهم فناداهم زحر بن
نهشل يا بني تميم الي أين قالوا ألا ترى الي ما قد غشنا فقال ويحكم أفرارا
واعتذارا ان لم تقاتلوا علي الدين فقاتلوا علي الاحساب احملاوا معي فحمل وحملوا
فقاتل حتى قُتل وهو أمامهم وحمل الناس جميعا بعضهم علي بعض واقتلوا
حتى تكسرت الرماح وتقطعت السيوف ثم تكادموا بالافواه وتحاتوا بالتراب
ثم نادوا من كل جانب يامعشر العرب من النساء والاولاد الله الله في الحرمات
وان عليا رضي الله عنه لينغمس في القوم فيضرب بسيفه حتى ينتهي ثم يخرج
متخضبا بالدم حتى يسوي له سيفه ثم يرجع فينغمس فيهم وربيعة
لا تترك جهدا في القتال معه والصبر وغابت الشمس وقربوا من معاوية فقال
لعمر و ما ترى قال أرى ان تخلي سرادقك فتزل معاوية عن المنبر الذي
كان يكون عليه وأخلي السرادق وأقبلت ربيعة وامامها علي رضي الله عنه

حتى غشوا السرادق فقتلوه ثم انصرفوا وبات عليّ تلك الليلة في ربيعة

(مقتل هاشم بن عتبة بن أبي وقاص المرقال)

فلما أصبح عليّ غادى أهل الشام القتال ودفع رايته العظمى الى هاشم ابن عتبة فقاتل بهانهاره كله فلما كان العشيّ انكشف أصحابه انكشافاً وثبت هاشم في أهل الحفاظ منهم والنجدة فحمل عليهم الحارث بن المنذر التتوخي فطعنه طعنة جائرة فلم ينته عن القتال ووافاه رسول عليّ يأمره أن يقدم رايته فقال للرسول أنظر الى ما بي فنظر الى بطنه فرآه منشقا فرجع الى عليّ فأخبره ولم يلبث هاشم أن سقط وجال أصحابه عنه وتركوه بين القتلى فلم يلبث ان مات وحال الليل بين الناس وبين القتال . فلما أصبح عليّ غلس بالصلاة وزحف بجموعه نحو القوم على التعمية الاولى ودفع الراية الى ابنه عبد الله بن هاشم بن عتبة وتزاحف الفريقان فاقتلوا فرؤى عن القعقاع الظفريّ أنه قال لقد سمعتُ في ذلك اليوم من أصوات السيوف ما الرعد القاصف دونه وعليّ رضی الله عنه واقف ينظر الى ذلك ويقول لاحول ولا قوة الا بالله والله المستعان (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين) ثم حمل عليّ بنفسه على أهل الشام حتى غاب فيهم فانصرف متخضبا بالدماء فلم يزالوا كذلك يومهم كله والليل حتى مضى ثلثه ووجرح عليّ خمس جراحات ثلاث في رأسه واثنان في وجهه . ثم تفرقوا وغدوا على مصافهم وعمرو بن العاص يقدم أهل الشام فحمل عبد الله بن جعفر ذو الجناحين في قریش والانصار في وجه عمرو فاقتلوا وحمل غلامان اخوان من الانصار على جموع أهل الشام

حتى انتهى الى سرادق معاوية فقتل على باب السرداق ودارت رحى الحرب الى أن ذهب ثلث الليل ثم تجاوزوا ولما أصبح الناس اختلط بعضهم ببعض يستخرجون قتلاهم فيدفنونهم . وكتب معاوية الى عليّ أما بعد فإني إنما أقاتلك على دم عثمان ولم أر المداهنة في أمره واسلام حقه فان أدرك بثأري فيه فذاك والآ فالموت على الحق أجمل من الحياة على الضيم وإنما مثلى ومثل عثمان كما قال المخارق

فهما تسل عن نصرى السيد لا تجد لدى الحرب بيت السيد عندى مذمما
فكتب اليه عليّ أما بعد فإني عارض عليك ما عرض مخارق على بنى قالمج
حيث قال

يا را كبا اما عرضت قبلنا بنى قالمج حيث استقرت قرارها
هلموا الينا لا تكونوا كأنكم بلاقع أرض طار عنها غبارها
سليم بن منصور أناس أغرّة وأرضهم أرض كثيرة وبارها
فكتب اليه معاوية أنا لم نزل للحرب قادة وإنما مثلى ومثلك ما قال أوس
ابن حجر

إذا الحرب حلت ساحة الحى أظهرت عيوب رجال يعجبونك فى الأمن
وللحرب أقوام يحامون دونها وكم قد ترى من ذى رواء ولا يغنى
ثم غدوا على الحرب وراية أهل الشام المظى مع عبد الرحمن بن خالد بن
الوليد وكان يحمل بها ولا يلقاه شئ الا هدّه وكان من فرسان العرب وكانت
من أهل العراق جولة شديدة فنادى الناس الا شتر وقالوا أما ترى اللواء أين

قد بلغ فتاويل الاشرار لواء أهل العراق فتقدم به وهو يرتجز
 انى أنا الاشر معروفُ الشترُ انى أنا الأفى العراقى الذكْرُ
 قاتل أهل الشام حتى رد اللواء وردد على أعقابهم فنى ذلك يقول النجاشى
 رأيت اللواء كظلّ العقابِ يُقحمه الشامى الأخرزُ
 دعوتله الكبتش كبش العراقِ ، وقد خالطَ العسكرَ العسكرُ
 فردّ اللواء على عقبه وفاز بمخطوتها الأشر

(مقتل حوشب ذى ظليم)

قالوا وأخذ الراية جندب بن زهير فخرج اليه حوشب ذو ظليم وكان
 من عطاء أهل الشام وفرسانهم فأخذ الراية وجعل يمضى بها قد ما وئسكى فى
 أهل العراق فخرج اليه سليمان بن صرد وكان من فرسان على فاقتلوا قتل
 حوشبا وجال أهل العراق جولة انتقضت صفوفهم وانجاز أهل الحفاظ منهم
 مع على رضى الله عنه الى ناحية أخرى يقاتلون . وأقبل عدى بن حاتم يطلب
 عليا فى موضعه الذى خلفه فيه فلم يجده فسأل عنه فدُلّ عليه فأقبل اليه فقال
 يا أمير المؤمنين اما اذ كنت حيا فالأمر أمّ وأعلم أنى ما مشيت اليك إلا
 على اشلاء القتلى وما أبى هذا اليوم لنا ولاهم عميدا وكان أكثر من صبر
 فى تلك الساعة مع على وقاتل ربيعة فقال على رضى الله عنه يا معشر ربيعة
 أنتم درعى وسيفى ثم ركب الفرس الذى كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 يسى الريح وجنب بين يديه بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهباء
 وتعم بعامة صلى الله عليه وسلم السوداء ثم أمر مناديه فنادى أيها الناس من

من يشري نفسه لله فأتدب له الناس وانضموا اليه فأقبل بهم على أهل الشام
 حتى أزال راياتهم وجالوا جولة قبيحة حتى دعا معاوية بفرسه ليركبها ثم
 نادى. مناديه في أهل الشام الى أين أيها الناس أثيبوا فان الحرب سجال
 فتاب اليه الناس وكروا على أهل العراق وقال معاوية لعمر و قدّم عكّ
 والأشعريين فانهم كانوا أول من انهزم في هذه الجولة فأتاهم عمرو فبلغهم
 قول معاوية فقال رئيسهم مسروق العكّي ابتظروني حتى آتي معاوية فأتاه
 فقال افرض لقومي في ألفين ألفين ومن هلك منهم فابن عمه مكانه قال
 ذلك لك فانصرف الى قومه فأعلمهم ذلك فتقدموا فاضطربوا هم وهمدان
 بالسيوف اضطرابا شديدا فأقسمت عكّ لا ترجع حتى ترجع همدان وأقسمت
 همدان على مثل ذلك فقال عمرو لمعاوية لقيت أسدًا أسدا لم أر كاليوم قط
 فقال عمرو لو أن معك حيّا آخر كهكّ ومع عليّ كهمدان لكان الفناء .
 وكتب معاوية الى عليّ بسم الله الرحمن الرحيم من معاوية بن أبي سفيان الى
 عليّ بن أبي طالب أما بعد فاني أحسبك أن لو علمت وعلمنا أن الحرب تبلغ
 بك و بنا ما بلغت لم نَجْهها على أنفسنا فانا وان كنا قد غلبنا على عقولنا فقد
 بقي لنا منها ما ينبغي أن نندم على ما مضى ونُصلح ما بقي فانك لا ترجو من
 البقاء الا ما أرجو ولا أخاف من القتل الا ما تخاف وقد والله رقت الاجناد
 وتفانى الرجال ونحن بنو عبد مناف ليس لبعضنا على بعض فضل الا ما لا
 يستدلّ به العزيز ولا يسترقّ به الحرّ والسلام . فكتب اليه عليّ رضى الله
 عنه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر أنك لو علمت

وعلمنا أن الحرب تبلغ بك و بنا ما بلغت لم ننجها على أنفسنا فاعلم انك وإيانا
 منها الى غاية لم نبلغها بعد وأما استواؤنا في الخوف والرجاء فانك لست أمضى
 على الشك منى على اليقين وليس أهل الشام بأحرص على الدنيا من أهل
 العراق على الآخرة وأما قولك إنا بنو عبد مناف وليس لبعضنا على بعض
 فضل فليس كذلك لأن أمية ليس كهاشم ولا خزبا كعبد المطلب ولا أبو
 سفيان كأبي طالب ولا المهاجر كالطلق وفي أيدينا فضل النبوة التي بها قتلنا
 العزيز ودان لنا بها الدليل . ثم ان عليا رضى الله عنه غلّس بالصلاة صلاة
 الفجر وزحف بجموعه نحو أهل الشام فوقف الفريقان تحت راياتهم وخرج
 الاشرع على فرس كُتبت ذنوب مقنعا بالحديد ويده الرمح فحمل على أهل
 الشام فاتبعه الناس وكسّر فيهم ثلاثة أرماح واضطرب الناس بالسيوف وعمد
 الحديد وبرز رجل من أهل الشام مقنعا بالحديد ونادى يا أبا الحسن ادن
 منى أكلمك فدنا منه على حتى اختلفت أعناق فرسيهما بين الصفيين فقال
 ان لك قدما في الاسلام ليس لأحد وهجرة مع رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وجهادا فهل لك أن تحمّن هذه الدماء وتؤخر هذه الحرب برجوعك
 الى عراقك ونرجع الى شامنا الى أن تنظر وننظر في أمرنا فقال على يا هذا اتى
 قد ضربت أنف هذا الأمر وعينه قلم أجده يسعى الا القتال او الكفر بما
 أنزل الله على محمد ان الله لا يرضى من أوليائه أن يعصى في الارض وهم
 سكوت لا يأمرؤن بمعروف ولا ينهون عن منكر فوجدت القتال أهون
 من معالجة الاغلال في جهنم قال فانصرف الشامى وهو يسترجع ثم اقتلوا

حتى تكسرت الرماح وتقطعت السيوف وأظلمت الأرض من القتام
 أصابهم البُهْرُ وبقي بعضهم ينظر الى بعض بهيرا فتجاوزوا بالليل وهي ليلة
 لهرير ثم أصبحوا غداة هذه الليلة واختلط بعضهم ببعض يستخرجون قتلاهم
 يدفنونهم . ثم ان عليًا قام من صبيحة ليلة الهرير في الناس خطيبا فحمد الله
 أثنى عليه ثم قال أيها الناس انه قد بلغ بكم وبعدوكم الأمر الى ماترون ولم
 بق من القوم الا آخر نفس فتأهبوا رحمكم الله لمناجزة عدوكم غدا (حتى يحكم
 الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين)

(طلب التحكيم واختلاف أهل العراق)

وبلغ ذلك معاوية فقال لعمر و ماترى فاتما هو يومنا هذا وليتنا هذه قال
 مرو انى قد أعددت بحيلتى أمرا آخرته الى هذا اليوم فان قبلوه اختلفوا وان
 دوه تفرقوا قال معاوية وما هو قال عمرو وتدعوهم الى كتاب الله حكما بينك
 بينهم فانك بالغ به حاجتك فعلم معاوية ان الامر كما قال . قالوا وان الاشعث
 بن قيس قال لقومه وقد اجتمعوا اليه قد رأيتم ما كان في اليوم الماضى من
 لحرب المبيرة وانا والله ان التقينا غدا انه لبوار العرب وضيفة الحرمات .
 الو فانطلقت العيون الى معاوية بكلام الاشعث فقال صدق الاشعث لئن
 لتقينا غدا ليملن الروم على ذرارى أهل الشام وليميلن دهاقين فارس على ذرارى
 هل العراق وما يبصر هذا الامر الا ذوو الاحلام اربطوا المصاحف على
 طراف القنا . قالوا فربطت المصاحف فأول ما ربط مصحف دمشق الاعظم
 ربط على خمسة أرماع يحملها خمسة رجال ثم ربطوا سائر المصاحف جميع

ما كان معهم وأقبلوا في الغلس ونظر أهل العراق الى أهل الشام قد أقبلوا
وأمامهم شبيهة بالرايات فلم يدروا ما هو حتى أضاء الصبح فنظروا فاذا هي
المصاحف . ثم قام الفضل بن أدهم أمام القلب وشرح الجذامى أمام الميمنة
وورقاء بن المعمر أمام الميسرة فنادوا يامعشر العرب الله الله فى نساتكم
وأولادكم من فارس والروم غدا فقد فنيتم هذا كتاب الله بيننا وبينكم فقال
على رضى الله عنه ما الكتاب تريدون ولكن المكر تحاولون ثم أقبل أبو
الاعور السلمى على برذون أشهب وعلى رأسه مصحف وهو ينادى يا أهل
العراق هذا كتاب الله حكما فيما بيننا وبينكم فلما سمع أهل العراق ذلك
قام كردوس بن هانىء البكرى فقال يا أهل العراق لا يهدئكم ماترون من
رفع هذه المصاحف فانها مكيدة . ثم تكلم سفيان بن ثور النكرى فقال
أيها الناس انا قد كنا بدأنا بدعاء أهل الشام الى كتاب الله فردوا علينا
فاستحللنا قتالهم فان رددناه عليهم حل لهم قتالنا ولسنا نخاف أن يحيف الله
علينا ولا رسوله . ثم قام خالد بن المعمر فقال اعلى يا أمير المؤمنين ما البقاء الا
فيما دعا القوم اليه ان رايته وان لم تره فرأيك أفضل . ثم تكلم الحضين بن
المنذر فقال أيها الناس ان لنا داعيا قد حمدنا وورده وصدده وهو المأمون على
ما فعل فان قال لا قلنا لا وان قال نعم قلنا نعم فتكلم على وقال عباد الله انا
أحرى من أجب الى كتاب الله وكذلك أتم غير ان القوم ليسوا يريدون بذلك
الا المكر وقد عضتهم الحرب والله لقد رفعوها وما رأيهم العمل بها وليس
يسعنى مع ذلك ان ادعى الى كتاب الله فأبى وكيف وانما أقاتلهم ليدينوا بحكمه

فقال الاشعث يا أمير المؤمنين نحن لك اليوم على ما كنا لك عليه أمس غير أن
الرأى مارأيت من اجابة القوم الى كتاب الله حكما فأما عدى بن حاتم وعمرو
ابن الحمق فلم يهويا ذلك ولم يشيرا على على به . ولما أجاب على رضى الله
عنه قالوا له فابث الى الاشتر ليمسك عن الحرب ويأتيك وكان يقاتل
فى ناحية الميمنة فقال على ليزيد بن هانى انطلق الى الاشتر فمره أن يدع
ما هو فيه ويقبل فأتاه فأبلغه فقال ارجع الى أمير المؤمنين فقل له ان الحرب
قد اشتجرت بينى وبين أهل الناحية فليس يجوز أن أنصرف فانصرف
يزيد الى على فأخبره بذلك وعلت الاصوات من ناحية الاشتر وثار النقع
فقال القوم لعلى والله ما نحسبك أمرته الا بالقتال فقال كيف أمرته بذلك ولم
لُسطره سرا . ثم قال ليزيد عد الى الاشتر فقل له أقبل فان الفتنة قد وقعت
فأتاه فأخبره بذلك فقال الاشتر أرفع هذه المصاحف قال نعم قال أما والله
لقد ظننت بها حين رُفعت انها ستوقع اختلافا وفرقة . فأقبل الاشتر حتى
انتهى اليهم فقال يا أهل الوهن والذل أحين علوتم القوم تنكلون لرفع هذه
المصاحف أمهلونى فواقا قالوا لاندخل معك فى خطيئتك قال ويحكم كيف
بكم وقد قتل خياركم وبقى أراذلكم فمتى كنتم محقين أحين كنتم تقاتلون
أم الآن حين أمسكنم فما حال قتلاكم الذين لا تنكرون فضلهم أفى الجنة
أم فى النار قالوا قاتلناهم فى الله وندع قتالهم فى الله فقال يا أصحاب الجباه السود
كنا نظن أن صلاتكم عبادة وشوق الى الجنة فنراكم قد فررتم الى الدنيا
فقبحا لكم فسبوه وسبهم وضربوا وجهه دابته بسياطهم وضربوه وجوه دوابهم
(١٣ - الاخبار)

بسوطه وكان مسعر بن قذكى وابن الكواء وطبقهم من القراء الذين صاروا بعد خوارج كانوا من أشد الناس في الاجابة الى حكم المصحف وأن معاوية قام في أهل الشام فقال أيها الناس ان الحرب قد طالت بيننا وبين هؤلاء القوم وأن كل واحد منا يظن انه على الحق وصاحبه على الباطل وانا قد دعوناهم الى كتاب الله والحكم به فان قبلوه والا كنا قد أعذرنا اليهم. ثم كتب الى عليّ ان اول من يحاسب على هذا القتال أنا وأنت وأنا أدعوك الى حقن هذه الدماء والفة الدين وإطراح الضغائن وأن يحكم بيني وبينك حكمان أحدهما من قبلي والآخر من قبلك ما يجداه مكتوبا بيننا في القرآن يحكمان به فارض بحكم القرآن ان كنت من أهله . فكتب اليه على دعوت الى حكم القرآن واني لاعلم انك ليس حكمه تحاول وقد أجبنا القرآن الى حكمه لا اياك ومن لم يرض بحكم القرآن فقد ضل ضلالا بعيدا . وكتب الى عمرو ابن العاص أما بعد فان الدنيا مشغلة عن غيرها ولم يصب صاحبها منها شيئا الا افتتح له بذلك حرص يزيد فيها رغبة ولن يستغنى صاحبها بما نال منها عما ينله ومن وراء ذلك فراق ما جمع فلا تحبط عملك بمجارة معاوية على باطله وان لم تنته لم تضرّ بذلك الا نفسك والسلام . فأجابه عمرو أما بعد فان الذي فيه صلاحنا وألفة ما بيننا الانابة الى الحق وقد جعلنا القرآن حكما بيننا وبينك لنرضى بحكمه ويعذرنا الناس عند المناجزة والسلام . فكتب اليه علىّ أما بعد فان الذي أعجبتك مما نازعتك نفسك اليه من طلب الدنيا منقلب عنك فلا تطمئن اليها فانها غرارة ولو اعتبرت

بما مضى اتفقت بما بقي والسلام . فكتب اليه عمرو أما بعد فقد أنصف من
جعل القرآن حكماً فصيراً أبا حسن فانا غير مُنيليك إلا ما أنالك القرآن والسلام

(الاتفاق على التحكيم)

فاجتمع قراء أهل العراق وقراء أهل الشام فقمعدوا بين الصفيين ومعهم
المصحف يتدارسونه فاجتمعوا على أن يُحكوا حكيم وانصرفوا . فقال أهل
الشام قد رضينا بعمرو وقال الأشعث ومن كان معه من قراء أهل العراق
قد رضينا نحن بأبي موسى فقال لهم عليّ لست أثق برأى أبي موسى ولا بحزبه
ولكن أجعلُ ذلك لعبد الله بن عباس قالوا والله ما نفرّق بينك وبين ابن
عباس وكأنك تريد أن تكون أنت الحاكم بل اجعله رجلاً هومنتك ومن
معاوية سواء ليس الى أحد منكما بأدنى منه الى الآخر قال عليّ رضى الله
عنه فلم ترضون لاهل الشام بابن العاص وليس كذلك قالوا أولئك أعلم انما
علينا أنفسنا قال فاني أجعل ذلك الى الأشعث قال الأشعث وهل سعر هذه
الحرب الا الأشعث وهل نحن الا في حكم الأشعث قال عليّ وما حكمه قال
يضربُ بعضٌ وجوه بعضٍ حتى يكون ما يريد الله قال فقد أيتيم الا أن
تجعلوا أبا موسى قالوا نعم قال فاصنعوا ما أحببتم . قالوا فارسوا رسولا الى أبي
موسى وقد كان اعتزل الحرب وأقام بعرض من أعراض الشام فدخل عليه
مولى له فقال قد اصطلح الناس فقال الحمد لله رب العالمين قال وقد جعلوك حكماً
قال انا لله وانا اليه راجعون فأقبل أبو موسى حتى دخل عسكر عليّ فولّوه
الأمر ورضوا به فقبله فقال الأحنف بن قيس لعليّ انك قد مُنيت بحجّر

الأرض وداهية العرب وقد عجمتُ أبا موسى فوجدته كليل الشفرة قريب
العقر وانه لا يصلح لهذا الأمر الا رجل يدنو من صاحبه حتى يكون في كفه
ويبعد منه حتى يكون مكان النجم فان شئت أن تجعلني حكما فافعل والا
فتانيا أو ثالثا فان قلت اني لست من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فابعث رجلا من صحابته واجعلني وزيرا له ومشييرا فقال عليّ ان القوم قد
أبوا أن يرضوا بنسب أبي موسى والله بالغ أمره . قالوا فقال أيمن بن خريم
الاسدي من أهل الشام وكان معتزلا للقوم

لو كان للقوم رأى يهتدون به بعد القضاء رموكم بآبن عباس
لكن رموكم بشيخ من ذوى يمين لم يدر ما ضرب أخماس لاسداس
قالوا وقد كان معاوية جعل لآبن بن خريم ناحية من فلسطين على أن
يبايعه فأبى وقال

لست بقاتل رجلاً يصلى على سلطان آخر من قریش
له سلطانه وعلىّ ائمة معاذ الله من سفه وطيش
أقتل مسلما فى غير حق فليس بئافى ما عشت عيشى

(عقد التحكيم)

قالوا فاجتمع أهل العراق وأهل الشام وأتوا بكاتب وقالوا اكتب بسم
الله الرحمن الرحيم هذا ما تراضى عليه أمير المؤمنين فقال معاوية بثس الرجل
أنا اذا ان أقررتُ بانه أمير المؤمنين ثم أقاتله قال عمرو اكتب اسمه واسم
أبيه فقال الأحنف بن قيس يا أمير المؤمنين لا تمحُ اسم امرة المؤمنين فانى

أخاف ان محوتها لم ترجع اليك أبدا ولا تجبهم الى ذلك فقال عليّ الله أكبر سنة بسنة أما والله لقد جرى على يدي نظير هذا يعني القضية يوم الحديبية وامتناع قريش أن يكتب محمد رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم للكاتب اكتب محمد بن عبد الله فكتبوا . هذا ما تقاضى عليه عليّ ابن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وشيعتهما فيما تراضيا به من الحكم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم قضية عليّ على أهل العراق شاهدهم وغائبهم وقضية معاوية على أهل الشام شاهدهم وغائبهم انا تراضينا أن نقف عند حكم القرآن فيما يحكم من فاتحته الى خاتمه نُحيي ما أحيا ونُمت ما أمت على ذلك تقاضينا وبه تراضينا وان عليّا وشيعته رضوا بعبد الله بن قيس ناظرا وحاكما ورضى معاوية وشيعته بعمر وبن العاص ناظرا وحاكما على أن عليّا ومعاوية أخذوا على عبد الله بن قيس وعمر وبن العاص عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله أن يتخذوا القرآن اماما ولا يعدوا به الى غيره في الحكم بما وجداه فيه مسطورا وما لم يجدوا في الكتاب رداه الى سنة رسول الله الجامعة لا يتعمدان لها خلافا ولا يبغيان فيها بشبهة وأخذ عبد الله بن قيس وعمر وبن العاص على عليّ ومعاوية عهد الله وميثاقه بالرضا بما حكما به مما في كتاب الله وسنة نبيه وليس لهما أن ينقضا ذلك ولا يخالفاه الى غيره وهما آمانان في حكومتها على دمائها وأموالها وأشعارها وأبشارها وأهاليها وأولادها ما لم يعدوا الحق رضى به راض أو سخطه ساخط وان الامة أنصارهما على ما قضيا به من الحق مما في كتاب الله فان توفى أحد الحكيمين قبل اتقضاء الحكومة

فلسيعة وأصحابه أن يختاروا مكانه رجلا من أهل المعدلة والصلاح على ما كان عليه صاحبه من العهد والميثاق وإن مات أحد الأميرين قبل انقضاء الأجل المحدود في هذه القضية فلسيعة أن يولوا مكانه رجلا يرضون عدله . وقد وقعت القضية بين الفريقين والمفاوضة ورفع السلاح وقد وجبت القضية على ماسمينا في هذا الكتاب من موقع الشرط على الاميرين والحكمين والفريقين والله أقرب شهيد وكفى به شهيدا فان خالفا وتعديا فالامة بريئة من حكمها ولا عهد لهما ولا ذمة والناس آمنون على أنفسهم وأهاليهم وأولادهم وأموالهم الى انقضاء الأجل والسلاح موضوعة والسبل آمنة والغائب من الفريقين مثل الشاهد في الأمر . وللحكمين أن ينزلا منزلا متوسطا عدلا بين أهل العراق وأهل الشام ولا يحضرهما فيه الا من أحبا عن تراض منهما والأجل الى انقضاء شهر رمضان فان رأى الحكمان تعجيل الحكومة عجلها وان رأيا تأخيرها الى آخر الأجل أخرها فان هما لم يحكما بما في كتاب الله وسنة نبيه الى انقضاء الأجل فالفريقان على أمرهم الاوّل في الحرب وعلى الامة عهد الله وميثاقه في هذا الامر وهم جميعا يد واحدة على من أراد في هذا الأمر الحادا أو ظلما أو خلافا . شهد على مافي هذا الكتاب الحسن والحسين ابنا عليّ بن أبي طالب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب والأشعث بن قيس والاشتر بن الحارث وسعيد بن قيس والحصين والطفيل ابنا الحارث بن عبد المطلب وأبوسعيد بن ربيعة الانصارى وعبد الله بن خباب بن الارت وسهل بن حنيف وأبو بشر بن عمر الانصارى

وعوف بن الحارث بن عبد المطلب ويزيد بن عبد الله الأسلمي وعقبة بن عامر الجهني ورافع بن خديج الأنصاري وعمرو بن الحلق الخزاعي والنعمان ابن العجلان الأنصاري وحجر بن عدي الكندي ويزيد بن حجة النكري ومالك بن كعب الهمداني وربيعة بن شرحبيل والحارث بن مالك وحجر ابن يزيد وعلبة بن حجة . ومن أهل الشام حبيب بن مسلمة الفهري وأبو الأعور السلمي وبشر بن أبي أرطاة القرشي ومعاوية بن حديج الكندي والحارق بن الحارث ومسلم بن عمرو السكسكي وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد وحمزة بن مالك وسبيع بن يزيد الحضرمي وعبد الله بن عمرو بن العاص وعلقمة بن يزيد الكلبي وخالد بن الحصين السكسكي وعلقمة بن يزيد الحضرمي ويزيد بن أبجر العبسي ومسروق بن جيلة العكي وبشر ابن يزيد الحميري وعبد الله بن عامر القرشي وعتبة بن أبي سفيان ومحمد ابن أبي سفيان ومحمد بن عمرو بن العاص وعمار بن الأحوص الكلبي ومسعدة ابن عمرو العتيبي والصباح بن جلهمة الحميري وعبد الرحمن بن ذى الكلاع وثمامة بن حوشب وعلقمة بن حكم وكتب يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من صفر سنة سبع وثلاثين .

(بدء أمر الخوارج)

وان الأشعث أخذ الكتاب فقرأه على الفريقين يمرّ به على راية راية وقبيلة قبيلة فيقرأه عليهم فرّ برايات عنزة وكان مع عليّ منهم أربعة آلاف رجل فلما قرأه عليهم قال أخوان منهم اسمها جعد ومعدان لا حكم إلاّ الله ثم شدّا

على أهل الشام فقاتلوا حتى قُتلا وهما أول من حكم . ثم مرّ على رايات مراد فقرأ عليهم فقال صالح بن شقيق وكان من أفاضلهم لاحكم الآلهة وان كره المشركون . ثم مرّ به على رايات بني راسب فتنادوا لا يُحكم الرجال في دين الله . ثم مرّ به على رايات بني تميم فقالوا مثل ذلك فقال عُروة بن أُديّة أتحمون في دين الله الرجال فأين قتلانا يا أشعث ثم حمل بسيفه على الأشعث فأخطأه وأصاب السيف عُجز دابته فانصرف الأشعث الى قومه فمضى اليه سادات تميم فاعتذروا اليه فقبل وصفح . وأقبل سليمان بن صرد الى عليّ مضروبا في وجهه بالسيف فقال يا أمير المؤمنين أما لو وجدت أعوانا ما كتبت هذه الصحيفة . وقام مُحَرِّز بن خنيس بن ضليح الى عليّ فقال يا أمير المؤمنين أما الى الرجوع عن هذا الكتاب سبيل فوالله اني لخائف أن يورثك ذلّا قال عليّ أبعد أن كتبناه ننقضه هذا لا يجوز . ثم ان عليّا ومعاوية اتفقا على أن يكون مجتمع الحكمين بدومة الجندل وهو المنصف بين العراق والشام

(اجتماع الحكمين بدومة الجندل)

ووجه عليّ مع أبي موسى شريح بن هانئ في أربعة آلاف من خاصته وصيّر عبد الله بن عباس على صلاتهم وبعث معاوية مع عمرو بن العاص أبا الاعور السلمي في مثل ذلك من أهل الشام فساروا من صفين حتى وافوا دومة الجندل وانصرف عليّ بأصحابه حتى وافى الكوفة وانصرف معاوية بأصحابه حتى وافى دمشق ينتظران ما يكون من أمر الحكمين . وكان عليّ اذا كتب الى ابن عباس في أمر اجتمع اليه أصحابه فقالوا ما كتب

اليك أمير المؤمنين فيكتهم فيقولون لم كنتمنا وانما كتب اليك في كذا وكذا فلا يزالون يزكون حتى يقفوا على ما كتب به وتأتي كتب معاوية الى عمرو بن العاص فلا يأتيه أحد من أصحابه يسأله عن شيء من أمره قالوا وكتب معاوية الى عبد الله بن عمر بن الخطاب والى عبد الله بن الزبير والى أبي الجهم بن حذيفة والى عبد الرحمن بن عبد يغوث أما بعد فان الحرب قد وضعت أوزارها وصار هذان الرجلان الى دومة الجندل فاقدموا عليهما ان كنتم قد اعتزلتم الحرب فلم تدخلوا فيما دخل فيه الناس لتشهدوا ما يكون منهما والسلام. فلما أتاهم كتابه ساروا جميعا الى دومة الجندل فأقاموا ينتظرون ما يكون من الرجلين وحضر معهم سعد بن أبي وقاص وسار المغيرة بن شعبة وكان مقيا بالطائف لم يشهد شيئا من تلك الحروب حتى أتى دومة الجندل فأقام ينتظر ما يكون منهما فلما طال مقامه سار من هناك حتى أتى معاوية بدمشق فقال له معاوية أشرك علي بما ترى فقال له المغيرة لو أشركت عليك لقاتلت معك ولكني قد أتيتك بنخبر الرجلين قال وما خبرها قال اني خلوت بأبي موسى لأبلو ما عنده فقلت ماتقول فيمن اعتزل عن هذا الامر وجلس في بيته كراهية للدماء فقال أولئك خيار الناس خفت ظهورهم من دماء اخوانهم وبطونهم من أموالهم قال فخرجت من عنده وأتيت عمرو بن العاص فقلت يا أبا عبد الله ماتقول فيمن اعتزل هذه الحروب فقال أولئك شرار الناس لم يعرفوا حقا ولم ينكروا باطلا وأنا أحسب أبا موسى خالما صاحبه وجاعلها لرجل لم يشهد وأحسب هواه في عبد الله بن عمر بن الخطاب وأما

عمر وبن العاص فهو صاحبك الذي عرفته وأحسب سيطلبها لنفسه أولابنه عبد الله ولاأراه يظن أنك أحق بهذا الامر منه فاقلق ذلك معاوية قالوا ثم ان عمرو بن العاص جعل يُظهر تبجيل أبي موسى واجلاله وتقديمه في الكلام وتوقيره ويقول صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلي وأنت أكبر سنًا مني ثم اجتمعا ليتناظرا في الحكومة فقال أبو موسى يا عمرو هل لك فيما فيه صلاح الأمة ورضا الله قال وما هو قال تولى عبد الله بن عمر فانه لم يدخل نفسه في شيء من هذه الحروب قال له عمرو وأين أنت عن معاوية قال أبو موسى ما معاوية موضعا لها ولا يستحقها بشيء من الامور قال عمرو ألسنت تعلم أن عثمان قتل مظلوما قال بلى قال فان معاوية ولي عثمان وبيته بعد في قريش ما قد علمت فان قال الناس لم ولي الأمر وايست له سابقة فان لك في ذلك عذرا تقول اني وجدته ولي عثمان والله تعالى يقول (وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا) وهو مع هذا أخو أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وهو أحد أصحابه قال أبو موسى اتق الله يا عمرو أما ما ذكرت من شرف معاوية فلو كان يستوجب بالشرف الخلافة لكان أحق الناس بها أبرهة بن الصباح فانه من أبناء ملوك اليمن التبايعه الذين ملكوا شرق الارض وغربها ثم أي شرف لمعاوية مع علي بن أبي طالب وأما قولك ان معاوية ولي عثمان فأولى منه ابنه عمرو بن عثمان ولكن ان طاوعتني أحيينا سنة عمر بن الخطاب وذكروه بتوليتنا ابنه عبد الله الخبر قال عمرو فما يمنعك من ابني عبد الله مع فضله وصلاحه وقديم هجرته وصحبته

فقال أبو موسى ان ابنك رجل صدق ولكنك قد غمسته في هذه الحروب غمسا ولكن هلمّ نجعلها للطيب ابن الطيب عبد الله بن عمر قال عمرو يا أبا موسى انه لا يصلح لهذا الامر الا رجل له ضرسان يأكل بأحدهما ويطعم بالآخر قال أبو موسى ويحك يا عمرو ان المسلمين قد أسندوا الينا أمرا بعد أن تقارعوا بالسيوف وتشاكوا بالرماح فلا نردّهم في فتنة قال فأتى قال أرى أن نخلع هذين الرجلين عليا ومعاوية ثم نجعلها شورى بين المسلمين يختارون لأنفسهم من أحبوا قال عمرو فقد رضيت بذلك وهو الرأي الذي فيه صلاح الناس . قال فافترقا على ذلك وأقبل ابن عباس الى أبي موسى فخلابه وقال ويحك يا أبا موسى أحسب والله عمرا قد أخذتكم فان كنتم قد اتفقتم على شيء فقدّمه قبلك ليتكلم ثم تكلم بعده فان عمرا رجل غدار ولست آمن أن يكون قد أعطاك الرضا فيما بينك وبينه فاذا قتبه في الناس خالفك قال أبو موسى قد اتفقنا على أمر لا يكون لاحدنا على صاحبه فيه خلاف ان شاء الله . فلما أصبحوا من غد خرجوا الى الناس وهم مجتمعون في المسجد الجامع فقال أبو موسى لعمرو أصعد المنبر فكلّم فقال عمرو ما كنت أتقدمك وأنت أفضل مني فضلا وأقدم هجرة وسنا فبدأ أبو موسى فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انا قد نظرنا فيما يجمع الله به ألفة هذه الامة ويصلح أمرها فلم نر شيئا هو أبلغ في ذلك من خلع هذين الرجلين عليا ومعاوية وتصييرها شورى ليختار الناس لأنفسهم من رأوه لها أهلا واني قد خلعت عليا ومعاوية فاستقبلوا أمرهم وولوا عليكم من أحببتم ثم نزل وصعد عمرو فحمد الله وأثنى عليه ثم

قال ان هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه الا واني قد خلعت صاحبه كما خلعه
وأثبت صاحبي معاوية فانه ولي أمير المؤمنين عثمان والطالب بدمه وأحق الناس
بمقامه فقال له أبو موسى مالك لا وققتك الله غدرت وفجرت وانما مثلك مثل
الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث فقال له عمرو ومثلك كمثل
الحمار ينجل أسقارا وحمل شريح بن هانئ على عمرو فقنعه بالسوط وحجز الناس
بينهما وكان شريح يقول ما ندمت على شيء قط كندامتى إلا أن أكون ضربته
مكان السوط بالسيف. أتى الدهر في ذلك بما أتى. وانسل أبو موسى فركب
راحته وهرب حتى لحق بمكة فكان ابن عباس يقول لحي الله أبا موسى
لقد نبهته فما اتبه وحذرت ما صار إليه فما انحاش وكان أبو موسى يقول لقد
حذرتني ابن عباس غدر عمرو فاطمأنت إليه ولم أظن أنه يؤثر شيئاً على
نصيحة المسلمين. ثم انصرف عمرو وأهل الشام الى معاوية فسلموا عليه
بالخلافة وأقبل ابن عباس وشريح بن هانئ ومن كان معهما من أهل العراق
الى علي فاخبروه الخبر فقام سعيد بن قيس الهمداني فقال والله لو اجتمعنا
على الهدى ما زادنا على ما نحن عليه بصيرة ثم تكلم عامة الناس بنحو من هذا

(خروج الخوارج على علي)

قالوا ولما بلغ أهل العراق ما كان من أمر الحكمين لقيت الخوارج بعضها
بعضاً واتعدوا أن يجتمعوا عند عبد الله بن وهب الراسبي فاجتمع عنده عظماءهم
وعبادهم فكان أول من تكلم منهم عبد الله بن وهب فحمد الله وأثنى عليه
ثم قال معاشر اخواني ان متاع الدنيا قليل وان فراقها وشيك فاخرجوا بنا

منكرين لهذه الحكومة فانه لا حكم الا لله وان الله مع الذين ياتقون الله والذين هم محسنون ثم تكلم حمزة بن سيار فقال الراى ما رأيتما ومنهج الحق فيما قلتما قولوا أمركم رجلا منكم فانه لا بد لكم من قائد وسائس وراية يمحفون بها وترجعون اليها فعرضوا الامر على يزيد بن الحُصين وكان من عبادهم فأبى أن يقبلها ثم عرضوها على ابن أبي أوفى العيسى فأبى أن يقبلها ثم عرضوها على عبد الله بن وهب الراسبي فقال هاتوها فوالله ما أقبلها رغبة في الدنيا ولا فرارا من الموت ولكن أقبلها لما أرجو فيها من عظيم الاجر ثم مدَّ يده فقاموا اليه فبايعوه فقام فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال أما بعد فان الله أخذ عهودنا ومواثيقنا على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والقول بالحق والجهاد في سبيله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذابٌ شديدٌ وقال الله عز وجل ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون وأشهد على أهل دَعوتنا من أهل ديننا أن قد اتبعوا الهوى ونبذوا حكم الكتاب وجاروا في الحكم وان جهادهم لحق فأقسم بمن تعنوله الوجوه وتخضع له الأَبصار لو لم أجد على قتالهم مساعدا لقاتلتهم وحدي حتى ألقى ربي شهيدا . فلما سمع ذلك عبد الله بن السخبر وكان من أصحاب البرانس استعبر با كيا ثم قال لحي الله امراً لا يكون تشریح ما بين عظمه ولحمه وعصبه أيسرَ عنده من سخط الله عليه في لحظة يسعى بها على مقتته فكيف وانما تريدون وجه الله يا اخوتي تقرّبوا الى الله يبغيض من عصاه واخرجوا اليهم فاضربوا وجوههم بالسيوف حتى يُطاع الله يُثبكم ثواب المطيعين العاملين

بمرضاته القائمين بحقوقه فان تظفروا فالغنيمة والفتح وان تغلبوا فأى شىء أفضل من المصير الى رضوان الله وجته ثم افرقوا يومهم ذلك . فلما كان من الغد أقبل عبد الله بن وهب الراسبي في نفر من أصحابه حتى دخل على شريح ابن أبي أوفى العبسي وكان من عظماهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان هذين الحكيمين قد حكما بغير ما أنزل الله وقد كفر اخواننا حين رضوا بهما وحكموا الرجال في دينهم ونحن على الشخوص من بين أظهرهم وقد أصبحنا والحمد لله ونحن على الحق من بين هذا الخلق فقال شريح أنذرا أصحابك واعلمهم خروجك ثم اخرج بنا على بركة الله حتى نأتى المدائن فنزلها ونرسل الى اخواننا الذين بالبصرة فيقدموا علينا فتكون أيديهم مع أيدينا فقال يزيد ابن حصين الطائي انكم ان خرجتم بجماعتكم طلبتم ولكن اخرجوا فرادى مستخفين فأما المدائن فان بها من يمنع عنها ولكن تواعدوا أن توافوا جسر التهروان فقيموا هناك وتكتبوا الى اخوانكم من أهل البصرة أن يوافوكم بها قالوا هذا الرأي فاتفقوا على ذلك وأنذروا جميعا أصحابهم فاستعدوا للخروج فرادى وكتبوا الى من كان منهم بالبصرة بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله ابن وهب ويزيد بن الحصين وحرثوقص بن زهير وشريح بن أبي أوفى الى من بلغه كتابنا بالبصرة من المؤمنين المسلمين سلام عليكم فانا نحمد اليكم الله الذى لا اله الا هو الذى جعل أحب عباده اليه أعمالهم بكتابه وأقومهم بالحق في طاعته وأشدهم اجتهادا في مرضاته وان أهل دعوتنا حكموا الرجال في أمر الله فحكموا بغير ما في كتاب الله ولا في سنة نبي الله فكفروا لذلك وصدوا

عن سواء السبيل وقد نابذناهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين أما بعد فقد
اجتمعنا بجسر الثهروان فسيروا الينا رحمكم الله لتأخذوا نصيبكم من الأجر
والثواب وتأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر وكتبنا هذا اليكم مع رجل من
اخوانكم ذى أمانة ودين فسوّه عما أحببتم واكتبوا الينا بما رأيتم والسلام .
ثم وجهوا كتابهم مع عبد الله بن سعد العباسي فسار حتى أتى البصرة وأوصل
الكتاب الى أصحابه فاجتمعوا فقرأوه ثم كتبوا اليهم بوشك موافقتهم ثم ان
القوم خرجوا من الكوفة عباديد الرجل والرجلين والثلاثة وخرج يزيد بن
الحصين على بغلة يقود فرسا وهو يتلو هذه الآية فخرج منها خائفا يترقب قال
ربّ نجّني من القوم الظالمين ولما توجهت لقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني
سواء السبيل . وسار حتى انتهى الى السيب فاجتمع اليه جمع كثير من أصحابه
وفيهم زيد بن عدى بن حاتم فخرج عدى في طلب ابنه حتى انتهى الى
المدائن فلم يلحقه فأبى سعيد بن مسعود الثقفي وكان سعيد عامل على
المدائن فأخذ حذره وتحاماه القوم وخرج عبد الله بن وهب الراسبي في جوف
الليل والتأم اليه جميع أصحابه فصاروا جمعا كثيرا منهم فأخذوا على الأنبار
وتبطّوا شطّ الفرات حتى عبروا من قبل دير العاقول فاستقبله عدى بن
حاتم وهو منصور الى الكوفة فأراد عبد الله أخذه فمنعه منه عمرو بن مالك
النبهاني وبشير بن يزيد البولاني وكانا من رؤساء الخوارج فاستخلف سعيد
ابن مسعود على المدائن ابن أخيه المختار بن أبي عبيد وخرج في طلب عبد الله
ابن وهب وأصحابه فلقبهم بكرخ بغداد مع مغيب الشمس وسعيد في خمسمائة

فارس والخوارج ثلاثون رجلا فتناوشوا ساعة فقال أصحاب سعيد لسعيد أيها الأمير ما تريد الى قتال هؤلاء ولم يأتك فيهم أمر فخلّ سبيلهم واكتب الى أمير المؤمنين تعلمه أمرهم فمضى وتركهم . وسار عبد الله بن وهب فرّيبغداد وأخذ دهاقينها بالمعابر وذلك قبل أن تُبني بغداد فأناه الدهقان بها فعبر الى أرض جُوخى ثم مضى من هناك حتى انضم الى أصحابه وهم بنهروان ووافاهم من كان على رأيهم من أهل البصرة وكانوا خمسمائة رجل وكان على البصرة يومئذ عبد الله بن العباس فلما بلغه خروجهم وجه في طلبهم أبا الأسود الدريلى في ألف فارس فلحقهم بجسر تُستر وحال بينهم الليل فقاتوه وكانوا في جميع مسيرهم لا يلقون أحدا الا قالوا له ما تقول في الحكيم فان تبرأ منها تركوه وان أبى قتلوه . ثم أقبلوا حتى انتهوا الى دجلة فعبروها من ناحية صريفين حتى وافوا نهروان فكتب اليهم على رضى الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله على أمير المؤمنين الى عبد الله بن وهب الراسبي ويزيد بن الحصين ومن قبلهما سلام عليكم فان الرجلين اللذين ارتضيناها للحكومة خالفا كتاب الله واتبعا هواها بغير هدى من الله فلما لم يعملوا بالسنة ولم يحكما بالقرآن تبرأنا من حكمهما ونحن على أمرنا الاول فاقبلوا الى رحمة الله فاننا سائرون الى عدونا وعدوكم لنعود لمحاربتهم حتى يحكم الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين . فلما وصل اليهم كتابه كتبوا اليه أما بعد فانك لم تغضب لربك ولكن غضبت لنفسك فان شهدت على نفسك انك كفرت فيما كان من تحكيك الحكيم واستأنفت التوبة والایمان نظرنا فيما سألنا من الرجوع

اليك وان تكن الاخرى فاننا نناذك على سواء ان الله لا يهدي كيد الخائنين
فلما قرأ على كتابه يئس منهم ورأى أن يدعهم على حالهم ويسير الى الشام
ليعاود معاوية الحرب فسار بالاس حتى عسكر بالأنخيلة وقال لأصحابه تأهبوا
للمسير الى أهل الشام فاني كاتب الى جميع اخوانكم ليقدموا عليكم فاذا
وافوا شخصنا ان شاء الله ثم كتب كتبه الى جميع عماله أن يخلفوا خلفاءهم
على أعمالهم ويقدموا عليه وكتب الى عبد الله بن عباس وكان على البصرة
أما بعد فاننا قد عسكرنا بالأنخيلة وقد أزمعنا على المسير الى عدونا الى أهل
الشام فاشخص الى فيمن قبلك حين يأتك كتابي والسلام فقدم عليه عبد
الله بن عباس في فرسان البصرة وكانوا زهاء سبعة آلاف رجل واجتمع
اليه سائر الناس فكانوا أكثر من ثمانين ألف رجل فلما تهباً للمسير أتاه عن
الخوارج أخبار فظيعة من قتلهم عبد الله بن خباب وامراته وذلك أنهم لقوها
فقالوا لها أرضيتما بالحكمين قالا نعم فقتلوهما وقتلوا أم سنان الصيداوية
واعترضهم الناس يقتلونهم فلما بلغه ذلك بعث اليهم الحارث بن مرة الفقعسي
ليأتيه بخبرهم فأخذوه فقتلوه فلما بلغ الناس ذلك اجتمعوا الى علي فقالوا يا أمير
المؤمنين أتدع هؤلاء على ضلالتهم وتسير فيفسدوا في الارض ويعترضوا
الناس بالسيف سر اليهم بالناس وادعهم الى الرجوع الى الطاعة والجماعة فان
تابوا وقبلوا فان الله يحب التوابين وان أبوا فأذنهم بالحرب فاذا أرحت الامة
منهم سرت الى الشام

(واقعة النهروان مع الخوارج)

فنادى فى الناس بالرحيل وسار حتى ورد عليهم نهروان فمسكرو على فرسخ
منهم وأرسل اليهم قيس بن سعد بن عبادة وأبا أيوب الانصارى فأتياهم فقالا
عباد الله انكم قد ارتكبتم أمرا عظيما باستعراضكم الناس تقتلونهم وشهادتكم
علينا بالشرك والشرك ظلم عظيم فأجابهما عبد الله بن السخبر فقال اليكما عنا
فان الحق قد أضاء لنا كالصبح ولسنا بمتابعيكم ولا راجعين اليكم أو أتوا بمثل
عمر بن الخطاب فقال قيس بن سعد ما نعرفه فينا الا على بن أبي طالب فهل
تعرفونه فيكم قال لا قال فانشدكم الله فى أنفسكم أن تهلكوها فاني أرى الفتنة
قد دخلت قلوبكم . ثم تكلم أبو أيوب بنحو هذا فقالوا يا أبا أيوب انا ان
بايعناكم اليوم حكمتم غدا آخر قال فاننا ننشدكم الله أن تعجلوا فتنة العام مخافة
ما نأتى به فى قابل قالوا اليكما عنا فقد نابذناكم على سواء فانصرفا الى على
فأخبراه بذلك فأقبل حتى وقف عليهم بحيث يسمعون كلامه فنادى أيتها
العصابة التى أخرجتها اللجاجة وصدتها عن الحق الهوى فأصبحت فى لبس
وخطأ انى نذير لكم أن تتمدوا فى ضلالتكم فتلفوا مصرعين من غير بينة
من ربكم ولا برهان ألم تعلموا انى شرطت على الحكيم أن يحكم بما فى كتاب
الله وأخبرتكم ان طلب القوم الحكومة مكيدة فلما أبيتتم الا الحكومة
شرطت عليهم أن يحيا ما أحيا القرآن ويميتا ما أمات القرآن فخالفا الكتاب
والسنة وعملا بالهوى فنبذنا أمرها ونحن على أمرنا الأول فابن يتاه بكم ومن
أئن أيتهم فقالوا انا كفرنا حين رضينا بالحكيم وقد تبنا الى الله من ذلك

فان ثبت كما تبنا فنحن معك والا فاذن بحرب فانا منا بذوك على سواء فقال
لهم على اشهد على نفسي بالكفر لقد ضلت اذا وما انا من المهتدين ثم قال
ليخرج الى رجل منكم ترضون به حتى أقول ويقول فان وجبت على الحجة
أقررت لكم وثبت الى الله وإن وجبت عليكم فاتقوا الله الذي مردكم
اليه فقالوا لعبد الله بن الكواء وكان من كبرائهم اخرج اليه حتى تحاجه
فخرج اليه فقال على هل رضيتم قالوا نعم قال اللهم اشهد فكفى بك شهيدا
فقال على رضى الله عنه يا ابن الكواء ما الذى تقتم على بعد رضاكم بولايتي
وجهادكم معي وطاعتكم لى فهلا برتم منى يوم الجمل قال ابن الكواء لم يكن
هناك تحكيم فقال على يا ابن الكواء ويحك انا اهدى أم رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ابن الكواء بل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما سمعت
قول الله عز وجل (قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا
وأنفسكم) أكان الله يشك أنهم هم الكاذبون قال ان ذلك احتجاج عليهم
وأنت شككت فى نفسك حين رضيت بالحكيم فنحن أحرى أن نشك
فيك قال وان الله تعالى يقول (فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى
منهما أتبعه) قال ابن الكواء ذلك أيضا احتجاج منه عليهم فلم يزل على
عليه السلام يحاج ابن الكواء بهذا وشبهه فقال ابن الكواء أنت صادق
فى جميع ما تقول غير أنك كفرت حين حكمت الحكيم قال على ويحك
يا ابن الكواء انى انما حكمت أبا موسى وحده وحكم معاوية عمرا قال ابن
الكواء فان أبا موسى كان كافرا قال على ويحك متى كفر أحين بعثه أم

حين حكم قال لا بل حين حكم قال أفلا ترى انى انما بعثته مسلما فكفر في قولك بعد ان بعثته رأيت لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلا من المسلمين الى أناس من الكافرين ليدعوهم الى الله فدعاهم الى غيره هل كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك شئ قال لا قال ويمحك فما كان على أن ضل أبو موسى أفيجلُّ لكم بضلالة أبي موسى أن تضعوا سيوفكم على عواتقكم فتعرضوا بها الناس . فلما سمع عظماء الخوارج ذلك قالوا لابن الكواء انصرف ودع مخاطبة الرجل فانصرف الى أصحابه وأبى القوم الا التماذى فى الغى وأمر على بالنداء فى الناس أن يأخذوا أهبة الحرب ثم عبي جنوده فولى الميمنة حجر بن عدى وولى اليسرة شَبَّث بن رِبِيعٍ وولى الخليل أبا أيوب الانصارى وولى الرجالة أبا قتادة واستعدَّ الخوارج فجعلوا على ميمنتهم يزيد بن حصين وعلى ميسرتهم شريح بن أوفى العبسى وكان من نساكهم وعلى الرجالة حُرْقُوص بن زهير وعلى الخليل كلها عبد الله بن وهب ورفع على راية وضمَّ اليها ألفى رجل ونادى من التجأ الى هذه الراية فهو آمن ثم تواقف الفريقان فقال فَرْوَة بن نوفل الاشجعى وكان من رؤساء الخوارج لاصحابه يا قوم والله ما ندرى على ما نقاتل عليا وليست لنا فى قتاله حجة ولا بيان يقوم انصرفوا بنا حتى تنفذ لنا البصيرة فى قتاله أو اتباعه فترك أصحابه فى مواقفهم ومضى فى خمسمائة رجل حتى أتى البندنجين وخرجت طائفة أخرى حتى لحقوا بالكوفة واستأمن الى الراية منهم الف رجل فلم يبق مع عبد الله بن وهب الا أقل من أربعة آلاف رجل فقال

على لأصحابه لا تبدو وهم بالقتال حتى يبدوؤوكم فتنادت الخوارج لاحكم الا
 لله وان كره المشركون ثم شدوا على أصحاب علي شدة رجل واحد
 فلم تثبت خيل علي لشدتهم واقرقت الخوارج فرقتين فرقة أخذت نحو
 الميمنة وفرقة أخرى نحو الميسرة وعطف عليهم أصحاب علي وحمل قيس بن
 معاوية البرزنجي من أصحاب علي على شريح بن أبي أوفى فضربه بالسيف
 على ساقه فأباتها فجعل يقاتل برجل واحدة وهو يقول . الفحلُ يحمى شواله
 معقولا . فحمل عليه قيس بن سعد فقتله وقتلت الخوارج كلها ربيعة واحدة
 وذكر حديث ذي الثدية حيث استخرجه علي رضي الله عنه من تحت
 القتلى . قال وأمر علي بمن كان منهم ذا رمق أن يدفعوا الى عشائرهم وأمر
 باخذ ما كان في عسكرهم من سلاح ودواب فقسمه في أصحابه وأمر بما
 سوى ذلك فدفع الى وُرَّانهم . فلما أراد علي الانصراف من النهروان قام
 في أصحابه فقال أيها الناس ان الله قد نصركم على المارقين فتوجهوا من فوركم
 هذا الى القاسطين يعني أهل الشام فقام اليه رجال من أصحابه فيهم الاشعث
 ابن قيس فقالوا يا أمير المؤمنين نفذت نبالنا وكلت سيوفنا ونصلت أسنة
 رماحنا فارجع بنا الى مصرنا لنستعد بأحسن عدتنا فرحل بالناس حتى نزل
 النخيلة فعسكر بها فأقاموا أياما فجعلوا يتسللون الى الكوفة فلم يبق معه في
 المعسكر الا زهاء ألف رجل من الوجوه فلما رأى ذلك دخل الكوفة فأقام بها
 وسار فروة بن نوفل بمن كان معه الى حلوان فجعل يجبي خراجها ويقسمه في
 أصحابه قالوا ولما رأى علي رضي الله عنه تناقل أصحابه أهل الكوفة عن المسير

معه الى قتال أهل الشام وانتهى اليه ورود خيل معاوية الانبار وقتلهم مسلحة
 عليّ بها والغارة عليها كتب كتابا ودفعه الى رجل وأمره أن يقرأه على الناس
 يوم الجمعة اذا فرغوا من الصلاة وكانت نسخته . بسم الله الرحمن الرحيم من
 عبد الله عليّ أمير المؤمنين الى شيعته من أهل الكوفة سلام عليكم أما بعد
 فان الجهاد باب من أبواب الجنة من تركه ألبسه الله الذلة وشمله بالصغار
 وسيم الخسف وسيل الضيم واني قد دعوتكم الى جهاد هؤلاء القوم ليلا
 ونهارا وسرا وجهارا وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم فما غزى قوم في
 عقر دارهم الا ذلوا واجترأ عليهم عدوهم هذا أخو بني عامر قد ورد الانبار
 وقتل ابن حسان البكريّ وأزال مسالحكم عن مواضعها وقتل رجلا منكم
 صالحين وقد بلغني أنهم كانوا يدخلون بيت المرأة المسلمة والاخرى المعاهدة
 فينزع حجلها من رجلها وقلائدها من عنقها وقد انصرفوا موفورين ما كلم
 رجل منهم كلما فلو أن أحدا مات من هذا أسفاً ما كان عندي ملوما بل كان
 جديرا يعجبا من أمر يميت القلوب ويجتلب النّم ويسعر الاحزان من اجتماع
 القوم على باطلهم وتفرقكم عن حكم فبعدا لكم وسحقا قد صرتم غرضا
 ترمون ولا ترمون ويغار عليكم ولا تفسرون ويعصى الله فترضون اذا قلت
 لكم سيروا في الشتاء قلم كيف نغزوا في هذا القرّ والصر وان قلت لكم
 سيروا في الصيف قلم حتى ينصرم عنا حمارة القيظ وكل هذا فرار من الموت
 فاذا كنتم من الحر والقر تفرّون فأنتم والله من السيف أفر والذي نفسي
 بيده ما من ذلك تهربون ولكن من السيف تحيدون بأشياء الرجال ولا

رجال ويأحلام الاطفال وعقول ربّاتِ الحجال أما والله لوددت ان الله
أخرجني من بين أظهركم وقبضني الى رحمة من بينكم ووددت اني لم أركم
ولم أعرفكم فقد والله ملأتم صدري غيظاً وجرّعتوني الامرّين أنفاساً
وأفسدتهم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان حتى قالت قريش ان ابن أبي طالب
رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب لله أبوهم هل كان فيهم رجل أشد لها
مراساً وأطول مقاساة مني ولقد نهضت فيها وما بلغت العشرين وهأنا اليوم قد
جفت الستين لا ولكن لا رأي لمن لا يطاع . فقام اليه الناس من كل ناحية
فقالوا سر بنا فوالله لا يتخلف عنك الا ظنين فأمر الحارث الهمداني بالنداء
في الناس ان يصبحوا غدا في الرحبة ولا يأتينا الا صادق النية . فلما أصبح
صلى الغداة وأقبل الى الرحبة فلم يربها الا نحواً من ثلثمائة رجل فقال لو كانوا
أوفاء لكان لي فيهم رأي فكث بعد ذلك يومين باد حزنه شديد كآبته
فقام اليه حجر بن عدى وسعيد بن قيس الهمداني فقالا أجبر الناس على
المسير وناد فيهم فمن تخلف فر بماقته فأمر منادياً فنادى في الناس لا يتخلفن
أحد وأمر معقل بن قيس أن يسير في الرساتيق فلا يدع أحداً من جنوده
فيها الا حشره فلم ينصرف معقل بن قيس الا بعد ماقتل عليّ رضي الله عنه

(مقتل علي رضي الله عنه)

قالوا واجتمع في العام الذي قتل فيه عليّ رضي الله عنه بالموسم عبد
الرحمن بن ملجم المرادي والنزال بن عامر وعبد الله بن مالك الصيداوي
وذلك بعد وقعة النهروان فقتلوا ما فيه الناس من تلك الحروب فقال

بعضهم لبعض ما الراحة الا في قتل هؤلاء النفر الثلاثة على بن أبي طالب
ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص فقال ابن ملجم على قتل على وقال
النزال وعلى قتل معاوية وقال عبد الله وعلى قتل عمرو فأتعدوا لليلة واحدة
يقتلونهم فيها وأقبل عبد الرحمن حتى قدم الكوفة ومضى صاحباه الى مصر
والشام . قالوا وقدم عبد الرحمن الكوفة فخطب الى قظام ابنتها الرباب وكانت
قظام ترى رأى الخوارج وقد كان على قتل أخاها وأباها وعمها يوم النهر
فقلت لابن ملجم لا أزوجك الا على ثلاثة آلاف درهم وعبد وقينه وقتل
على بن أبي طالب فأعطاها ذلك وأملكها وكان ابن ملجم يجلس في مجلس
تيم الرباب من صلاة الغداة الى ارتفاع النهار والقوم يفيضون في الكلام وهو
ساكت لا يتكلم بكلمة للذي أجمع عليه من قتل على فخرج ذات يوم الى
السوق متقلدا سيفه فمرت به جنازة يشيعها أشرف العرب ومعها القسيسون
يقروون الانجيل فقال ويحكم ما هذا فقالوا هذا أبجر بن جابر العجلي مات
نصرانيا وابنه حجار بن أبجر سيد بكر بن وائل فاتبعها أشرف الناس لسوء
ابنه واتبعها النصارى لدينه فقال والله لولا انى أبقى نفسى لأمر هو أعظم عند
الله من هذا لاستعرضتهم بسيفى . فلما كانت تلك الليلة تقلد سيفه وقد كان
سمه وقعد مغلما ينتظر أن يمر به على رضى الله عنه مقبلا الى المسجد اصلاة
الغداة فينا هو فى ذلك اذ أقبل على وهو ينادى الصلاة أيها الناس فقام اليه
ابن ملجم فضر به بالسيف على رأسه وأصاب طرف السيف الحائط فثلم فيه
ودهش ابن ملجم فانكب لوجهه وبدر السيف من يده فاجتمع الناس فأخذوه

فقال الشاعر في ذلك

ولم أر مهرا ساقه ذو سماحة كهر قطام من فصيح وأعجم
 ثلاثة آلاف وعبدا وقينة وضرب على بالحسام المصم
 فلا مهر أغلى من على وان غلأ ولا فتك الآدون فتك ابن ملجم
 وحمل على رضى الله عنه الى منزله وأدخل عليه ابن ملجم فقالت له أم
 كلثوم ابنة على يا عدو الله أقتلت أمير المؤمنين قال لم أقتل أمير المؤمنين
 ولكنى قتلت أباك قالت أما والله انى لارجو أن لا يكون عليه بأس قال
 فعلام تبكين اذن أما والله لقد سممت السيف شهرا فان أخلفنى فأبعده الله
 فلم يمس على رضى الله عنه يومه ذلك حتى مات رحمه الله ورضى عنه. فدعا
 عبد الله بن جعفر بابن ملجم فقطع يديه ورجليه وسمل عينيه فجعل يقول
 انك يا ابن جعفر لتكحل عيني بملول مض ثم أمر بلسانه أن يخرج ليقطع
 فجزع من ذلك فقال له ابن جعفر قطعنا يديك ورجليك وسملنا عينيك
 فلم تجزع فكيف تجزع من قطع لسانك قال انى ماجزعت من ذلك خوفا
 من الموت ولكنى جزعت أن أكون حيا فى الدنيا ساعة لا أذكر الله فيها
 ثم قطع لسانه فمات . وأقبل النزال بن عامر فى تلك الليلة حتى قام خلف معاوية
 وهو يصلى بالعداة ومعه خنجر فوجأه به فى ألبته وكان معاوية عظيم الاليتين
 فأخذ فقال لمعاوية أهل قتلتك يا عدو الله قال معاوية كلا يا ابن أخى فأمر به
 معاوية ففقطعت يداه ورجلاه ونزع لسانه فمات . ودعا بطبيب فأمره أن يقطع
 ما حول الوجاة من اللحم خوفا من أن يكون الخنجر مسموما من يومئذ اتخذت

المقاصير في الجوامع فكان لا يدخلها الا ثقاته واحراسه واتخذ ايضا من يومئذ حرس الليل وكان اذا سجد بالناس جعل على رأسه عشرة من ثقات حراسه يقومون من خلفه بالسيوف والعمد . وأما عبد الله بن مالك الصيداوي فإنه أتى مصر فلما كان في تلك الليلة قام حيال المحراب ومعه مشمل قد اشتمل عليه بثيابه فأصاب عمرا في تلك الليلة مغس في بطنه فأمر رجلا من بني عامر بن لوئى أن يخرج فيصلى بالناس فتقدم مغلسا فلم يشك عبد الله انه عمرو فلما سجد ضربه بالسيف من ورائه فقتله ف قيل له انك لم تقتل الأمير قال فما ذنبي والله ما أردت غيره فأمر به عمرو فقتل قال ودُفن على رضى الله عنه ليلا وصلّى عليه الحسن وكبر خمسا فلم يعلم أحد أين دفن

(بيعة الحسن بن على رضى الله عنهما)

قالوا ولما توفى على رضى الله عنه خرج الحسن الى المسجد الأعظم فاجتمع الناس اليه فبايعوه ثم خطب الناس فقال أفعلتموها قتلتم أمير المؤمنين أما والله لقد قُتل في الليلة التي نزل فيها القرآن ورُفع فيها الكتاب وجفّ القلم وفي الليلة التي قبض فيها موسى بن عمران وعُرج فيها يعيسى . قالوا ولما بلغ معاوية قتل على تجهز وقدم امامه عبيد الله بن عامر بن كرز فآخذ على عين التمر ونزل الانبار يريد المدائن وبلغ ذلك الحسن بن على وهو بالكوفة فسار نحو المدائن لمحاربة عبد الله بن عامر بن كرز فلما انتهى الى ساباط رأى من أصحابه فشلا وتوا كلا عن الحرب فتزل ساباط وقام فيهم خطيبا ثم قال أيها الناس انى قد أصبحت غير محتمل على مسلم ضغينة وانى ناظر لكم

كنظري لنفسى وأرى رأيا فلا تردوا على رأى ان الذى تكروهون من
الجماعة أفضل مما تحبون من الفرقة وأرى أكثركم قد نكل عن الحرب
وفشل عن القتال ولست أرى ان أحلمكم على ما تكروهون فلما سمع أصحابه
ذلك نظر بعضهم الى بعض فقال من كان معه ممن يرى رأى الخوارج كفر
الحسن كما كفر أبوه من قبله فشدّ عليه نفر منهم فافتزعوا مُصلاًه من تحته
وانتهبوا ثيابه حتى انتزعوا مطرفه عن عاتقه فدعا بفرسه فركبه وتنادى أين
ريعة وهدان فتبادروا اليه ودفعوا عنه القوم . ثم ارتحل يريد المدائن فكمن
له رجل ممن يرى رأى الخوارج يسمى الجراح بن قبيصة من بنى أسد بمظلم
ساباط فلما حاذاه الحسن قام اليه بمغول فطعنه فى فخذه وحمل على الاسدى
عبد الله بن خطل وعبد الله بن ظبيان فقتلاه ومضى الحسن رضى الله عنه
مُتخفا حتى دخل المدائن ونزل القصر الأبيض وعولج حتى برأ واستعد للقاء
ابن عامر . وأقبل معاوية حتى وافى الانبار وبها قيس بن سعد بن عبادة من
قبيل الحسن فحاصره معاوية وخرج الحسن فواقف عبد الله بن عامر فنادى
عبد الله بن عامر يا أهل العراق انى لم أرى القتال وانما أنا مقدمة معاوية وقد
وافى الانبار فى جموع أهل الشام فاقروا أبا محمد يعنى الحسن منى السلام وقولوا
له أنشدك الله فى نفسك وأنفس هذه الجماعة التى معك فلما سمع ذلك الناس
انخذلوا وكرهوا القتال وترك الحسن الحرب وانصرف الى المدائن وحاصره
عبد الله بن عامر بها

(الصلح بين الحسن ومعاوية رضي الله عنهما)

ولما رأى الحسن من أصحابه الفشل أرسل الى عبد الله بن عامر بشرائط
اشتراطها على معاوية على أن يسلم له الخلافة وكانت الشرائط أن لا يأخذ أحدا
من أهل العراق باحنة وان يؤمن الأسود والاحمر ويحتمل ما يكون من
هفواتهم ويجعل له خراج الاهواز مسلما في كل عام ويحمل الى أخيه الحسين
ابن علي في كل عام ألفي ألف درهم ويفضل بني هاشم في العطاء والصلوات
على بني عبد شمس فكتب عبد الله بن عامر بذلك الى معاوية فكتب معاوية
جميع ذلك بخطه وختمه بخاتمه وبذل عليه له اليهود للركبة والايان المغلظة
وأشهد على ذلك جميع رؤساء أهل الشام ووجه به الى عبد الله بن عامر
فأوصله الى الحسن رضي الله عنه فرضى به وكتب الى قيس بن سعد بالصلح
وأمره بتسليم الامر الى معاوية والانصراف الى المدائن . فلما وصل الكتاب
بذلك الى قيس بن سعد قام في الناس فقال أيها الناس اختاروا أحد الأمرين
القتال بلا امام أو الدخول في طاعة معاوية فاختاروا الدخول في طاعة معاوية
فسار حتى وافى المدائن

(بيعة معاوية بالعراق)

وسار الحسن بالناس من المدائن حتى وافى الكوفة ووافاه معاوية بها
فالتقيا فوكد عليه الحسن رضي الله عنه تلك الشروط والايان . ثم سار الحسن
بأهل بيته حتى وافى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وأخذ معاوية أهل
الكوفة بالبيعة فبايعوا واستعمل عليها المغيرة بن شعبة وسار منصورا في جموعه

الى الشام فكث المغيرة بن شعبة على الكوفة من قبل معاوية تسع سنين حتى مات بها . وكان زياد بن أبيه انما يُعرف بزياد بن عُبيد وكان عبيد مملوكا لرجل من ثقيف فتزوج سُمية وكانت أمة للحرث بن كَلْدَة فأعتقها فولدت له زيادا فصار حراً ونشأ غلاما لقنا ذهنا عاقلا أدبيا فأخرجه المغيرة بن شعبة معه الى البصرة حين وليها من قبل عمر بن الخطاب فاستكتبه المغيرة فلما ولي على ابن أبي طالب ولي زيادا أرض فارس فلما توجه الى صفين كتب معاوية الى زياد يتوعده فقام زياد في الناس فقال ان ابن آكلة الأ . كباد ورأس النفاق كتب الى يتوعدني وبينى وبينه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم في تسعين ألف مدجج من شيعة أما والله لئن رامنى ليجدنى ضربا بالسيف فلما قُتل على واستدفت الأمر لمعاوية تحصن زياد بقلعة مدينة اصطخر وكتب معاوية له أمانا على أن يأتيه فان رضى ما يُعطيه والا رده الى متحصنه بتلك القلعة فلو الى معاوية وترقت به الأمور الى أن ادّعا معاوية وزعم للناس انه ابن أبي سفيان وشهد له أبو مريم السُّلولى وكان في الجاهلية خّارا بالطائف ان أبا سفيان وقع على سُمية بعد ما كان الحرث أعتقها وشهد رجل من بنى المصطلق اسمه يزيد انه سمع أبا سفيان يقول ان زيادا من نطفة أقرها في رحم أمه سمية قم ادّعاؤه اياه وكان في ذلك ما كان . وأمر معاوية زيادا أن يسير الى الكوفة الى أن يرد عليه أمره فسار زياد حتى قدم الكوفة وعليها المغيرة ابن شعبة فنزل دار سلمان بن ربيعة الباهلي ووافاه كتاب معاوية به لاية البصرة فسار اليها فلما وافاها قصد المسجد الجامع فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم

قال انه قد كانت بينى وبين قوم أحقاد وقد جعلتها تحت قدمى ولست أوأخذ
أحدا بعداوة ولا أهتك له قناعا حتى يُيدى لى صفحته فاذا أبداها لم أنظره
فمن كان منكم محسنا فليزدد احسانا ومن كان منكم مسيئا فليقلع عن اساءته
وأعينونا برحمة الله بالسمع والطاعة ثم نزل قلبث على البصرة حولين حتى مات
المغيرة فكتب اليه معاوية بولاية الكوفة مع البصرة فسار اليها . قالوا وكان
أول من لقي الحسن بن علىّ رضى الله عنه فقدمه على ما صنع ودعاه الى رد
الحرب حُجر بن عدىّ فقال له يا ابن رسول الله لوددتُ أنى متّ قبل
ما رأيتُ أخرجتنا من العدل الى الجور فتركنا الحقّ الذى كنا عليه ودخلنا
فى الباطل الذى كنا نهرب منه وأعطينا الدّنية من أنفسنا وقبلنا الخسيصة التى
لم تلقّ بنا فاشتدّ على الحسن رضى الله عنه كلام حجر فقال له انى رأيت
هوى عظم الناس فى الصلح وكرهوا الحرب فلم أحب أن أحملهم على ما يكرهون
فصالحتُ بقيا على شيعتنا خاصة من القتل فرأيتُ دفع هذه الحروب الى يوم
مّا فان الله كل يوم هو فى شأن قال فخرج من عنده ودخل على الحسين
رضى الله عنه مع عبيدة بن عمرو فقالا أبا عبد الله شريتم الذل بالعز. وقبلتم
القليل وتركتم الكثير أطعنا اليوم واعصنا الدهر دع الحسن وما رأى من هذا
الصلح واجمع اليك شيعتك من أهل الكوفة وغيرها وولّى وصاحبى هذه
المقدمة فلا يشعر ابن هند الا ونحن تقارعه بالسيوف فقال الحسين إنا قد بايعنا
وعاهدنا ولا سبيل الى نقض بيعتنا . وروى عن علىّ بن محمد بن بشير الهمداني
قال خرجت أنا وسفيان بن ليلى حتى قدمنا على الحسن المدينة فدخّلنا عليه

وعنده المتسبب بن نجبة وعبد الله بن الوداك التميمي وسراج بن مالك الخثعمي
فقلتُ السلام عليك يا مُذِلَّ المؤمنين قال وعليك السلام اجلس لست مُذل
المؤمنين ولكني معزّم ما أردتُ بمصالحتي معاوية الا أن أدفع عنكم ائمتل
عند ما رأيت من تباطؤ أصحابي عن الحرب وبتكولهم عن القتال والله لئن
سرنا اليه بالخيال والشجر ما كان بدًّا من افضاء هذا الأمر اليه قال ثم خرجنا
من عُدّه ودخلنا على الحسين فأخبرناه بما رد علينا فقال صدق أبو محمد فليكن
كل رجل منكم جليسا من أحلاس بيته ما دام هذا الانسان حيا . ثم ان
الحسن رضى الله عنه اشتكى بالمدينة فقتل وكان أخوه محمد بن الحنفية في ضيعة
له فأرسل اليه فوافى فدخل عليه فجلس عن يساره والحسين عن يمينه ففتح
الحسن عينه فرآهما فقال للحسين يا أخي أوصيك بمحمد أخيك خيرا فانه جلدة
ما بين العينين ثم قال يا محمد وأنا أوصيك بالحسين كانيه ووازيره ثم قال ادفنوني
مع جدّي صلى الله عليه وسلم فان مُنعم فالبيع ثم توفى فمنع مروان أن يدفن
مع النبي صلى الله عليه وسلم فدُفن في البقيع وبلغ أهل الكوفة وفاة الحسن
فاجتمع عظماءهم فكتبوا الى الحسين رضى الله عنه يعزّونه وكتب اليه جعدة
ابن هبيرة بن أبي وهب وكان أمحضهم جبا ومودة أما بعد فان من قبلنا من
شيعتك متطلعة أنفسهم اليك لا يعدلون بك أحدا وقد كانوا عرفوا رأى
الحسن أخيك في دفع الحرب وغرفوك بالدين لأوليائك والغلظة على أعدائك
والشدة في أمر الله فان كنت تحب أن تطلب هذا الأمر فاقدم علينا فقد
وطنا أنفسنا على الموت فمك فكتب اليهم أما أخي فأرجو أن يكون الله قد

وقته وسدده فيما يأتي وأما أنا فليس رأبي اليوم ذاك فالصقوار حكيم الله بالأرض
 واكنوا في البيوت واحترسوا من الظنة ما دام معاوية حيا فان يحدث الله به
 حدثا وأنا حتى كتبت اليكم برأبي والسلام . واتهى خبر وفاة الحسن الى
 معاوية ككتب به اليه عامه على المدينة مروان فأرسل الى ابن عباس وكان
 عنده بالشام قدم عليه وافدا فدخل عليه فعزاه وأظهر الثماتة بموته فقال له ابن
 عباس لا تشمتن بموته فوالله لا تلبث بعده الا قليلا . قالوا وكتب معاوية
 الى عمرو بن العاص وهو على مصر قد قبضها بالشرط الذي اشترطه على
 معاوية أما بعد فان سؤال أهل الحجاز وزوار أهل العراق قد كثروا على
 وليس عندي فضل عن أعطيات الجنود فأعنى بخراج مصر هذه السنة
 فكتب اليه عمرو

معاوي إن تُذركَ نفسٌ شحيحةٌ فما ورثتني مصرَ أمي ولا أبي
 وما نلتها عفواً ولكن شرطتها وقد دارت الحربُ العوان على قُطب
 ولولا دفاعي الأشعريَّ وصحبه لألثمتها ترغوا كراغية السقب

فلما رجع الجواب الى معاوية تذم فلم يعاوده في شيء من أمرها . قالوا وقد
 كان معاوية خاف على الكوفة حين شخص منها المغيرة بن شعبة فصعد المنبر
 يوم الجمعة ليخطب فحصبه حُجر بن عدي وكان من شيعة علي في نفر من
 أصحابه فنزل مُسرعا من المنبر ودخل قصر الامارة وبعث الى حجر بنخسة
 آلاف درهم ترضاه بها فقبل للمغيرة لم فعلت هذا وفيه عليك وهن وغضاضة
 فقال قد قتلته بها فلما مات المغيرة وجمع معاوية لزياد الكوفة الى البصرة كان

يقيم بالبصرة ستة أشهر وبالكوفة مثل ذلك فخرج في بعض خرجاته، الى
البصرة وخلف على الكوفة عمرو بن حريث العدوي فصعد عمرو بن حريث
ذات جمعة المنبر ليخطب وقعد له حمر بن عدي وأصحابه فحصبوه فنزل
من المنبر فدخل القصر وأغلق بابه وكتب الى زياد يخبره بما صنع حجر
وأصحابه فركب زياد البريد حتى وافى الكوفة ودخل المسجد وأخرج له
سريره من القصر فجلس عليه فكان أول من دخل عليه من أشرف الكوفة
محمد بن الأشعث بن قيس فسلم عليه بالامرة فقال زياد لاسلم الله عليك انطلق
فأتني بابن عمك حجر الساعة قال محمد بن الأشعث مالي ولحجر انك تعلم
التباعد بيننا فقال له جرير بن عبد الله أنا آتيك بحجر أيها الأمير على أن
تجعل له الامان ألا تعرض له حتى يلقي معاوية فيرى فيه رأيه قال قد فعلت
فأقبل به الى زياد فأمر بحبسه وأمر بطلب أصحابه الذين كانوا معه فأتى بهم
فوجههم جميعا الى معاوية مع مائة رجل من الجند فأنشأت أم حجر تقول

ترفع أيها القمر المنير ترفع هل ترى حجرا يسير
ألا يا حجر حجر بني عدي تلقاك البشارة والسرور
وان تهلك فكل عميد قوم من الدنيا الى هلك بصير

وبعث زيادا بثلاثة نفر من الشهود ليشهدوا عنده بما فعل حجر وأصحابه
منهم أبو بريدة بن أبي موسى وشريح بن هانئ الحارثي وأبو هنيذة القيني
فأتوا معاوية وشهدوا عليهم بحصبتهم عمرو بن حريث فأمر معاوية بهم فقتلوا
فدخل مالك بن هبيرة على معاوية فقال يا أمير المؤمنين أسأت في قتلك

هو لاء النفرو لم يكونوا أحدثوا ما استوجبوا به القتل فقال معاوية قد كنت
همت بالنفو عنهم إلا أن كتاب زياد ورد على^٢ يُعلمني أنهم رؤساء الفتنة واني
متى قتلهم اجتثت الفتنة من أصلها . ولما قُتل حجر بن عدى وأصحابه
استنفع أهل الكوفة ذلك استنظاعاً شديداً وكان حجر من عظماء أصحاب
علي^٣ وقد كان علي^٤ أراد أن يوليّه رياسة كندة ويعزل الاشعث بن قيس
وكلاهما من ولد الحارث بن عمرو آكل المرار فأبى حجر بن عدى أن يتولى
الامر والاشعث حتى^٥ فخرج نفر من أشرف أهل الكوفة الى الحسين بن علي^٦
فأخبروه الخبر فاسترجع وشق^٧ عليه فأقام أولئك النفر يختلفون الى الحسين بن
علي^٨ وعلى المدينة يومئذ مروان بن الحكم فترقى الخبر اليه فكتب الى معاوية
يُعلمه أن رجالا من أهل العراق قدموا على الحسين بن علي^٩ رضى الله عنهما
وهم مقيمون عنده يختلفون اليه فاكتب إلي^{١٠} بالذي تري فكتب اليه معاوية
لا تعرض للحسين في شيء فقد بايعنا وليس بناقض يبعتنا ولا مخفر ذمتنا .
وكتب الى الحسين أما بعد فقد انتهت إلي^{١١} أمور عنك لست بها حريا لأن
من أعطى صفقة يمينه جدير^{١٢} بالوفاء فاعلم رحمك الله اني متى أنكرك تستنكرني
ومتى تكذبتني أكذك فلا يستفزك السفهاء الذين يحبون الفتنة والسلام
فكتب اليه الحسين رضى الله عنه ما أريد حربك ولا الخلاف عليك .
قالوا ولم ير الحسن ولا الحسين طول حياة معاوية منه سوءا في أنفسهما ولا
مكروها ولا قطع عنها شيئاً مما كان شرط لها ولا تغير لها عن بر . قالوا
ومكث زياد على المصريين أربع سنين فحضرتة الوفاة عند ما مضى من خلافة

معاوية ثلاث عشرة سنة وذلك سنة ثلاث وخمسين فكتب الي معاوية أما بعد فاني كتبت اليك وأنا في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة وقد وليت الكوفة عبد الله بن خالد بن أسيد ووليت البصرة سمرة بن جندب الفزاري والسلام فقيل له لم لا تولي ابنك عبيد الله أحد المصريين وليس بدون واحد من هذين فقال ان يك فيه خير فسيسبق الي ذلك عمه معاوية ثم مات وصلى عليه ابنه عبيد الله بن زياد ودُفن في مقابر قريش . فتولي عبد الله ابن خالد بن أسيد الكوفة ثمانية أشهر وكتب معاوية الي عبيد الله بن زياد بولاية البصرة وعزل عبد الله بن خالد عن الكوفة واستعمل عليها النعمان بن بشير الانصاري . قالوا ولما دخلت سنة ستين مرض معاوية مرضه الذي مات فيه فأرسل الي ابنه يزيد وكان غائبا عن مدينة دمشق فلما أبطأ عليه دعا الضحاك بن قيس الفهري وكان على شُرطه ومسلم بن عقبة وكان على حرسه فقال لهما أبلغا يزيد وصييتي واعلماه اني أمره في أهل الحجاز أن يكرم من قدم عليه منهم ويتعهد من غاب عنه من أشرافهم فانهم أصله واني أمره في أهل العراق أن يرفق بهم ويداريهم ويتجاوز عن زلاتهم واني أمره في أهل الشام أن يجعلهم عينيه وبطانته وأن لا يطيل حبسهم في غير شامهم لئلا يجرؤا على أخلاق غيرهم واعلماه اني لست أخاف عليه الا أربعة رجال الحسين بن علي وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن الزبير فأما الحسين بن علي فأحسب أهل العراق غير تاركه حتى يخرجوه فان فعل فظفرت به فاصفح عنه وأما عبد الله بن عمر فانه رجل قد وقذته العبادة وليس بطالب للخلافة

الا أن تأتيه عفوا وأما عبد الرحمن بن أبي بكر فإنه ليس في نفسه من النباهة
والذكر عند الناس ما يمكنه طلبها ويحاول التماسها إلا أن تأتيه عفوا وأما الذي يجثم
لك جثوم الأسد ويراوغك روغان الثعلب فإن أمكته فرصة وثب فذاك عبد
الله بن الزبير فإن فعل وظفرت به فقطعه ارباً ارباً إلا أن يلتبس منك صلحا فإن
فعل فأقبل منه وأحقتن دماء قومك بجهدك وكف عاديتهم بنوالك وتغمدهم بحلمك

(خلافة يزيد)

ثم قدم عليه يزيد فأعاد عليه هذه الوصية ثم قضى فأقبل الضحاك بن
قيس حتى أتى المسجد الأعظم فصعد المنبر ومعه أكفان معاوية فقال أيها
الناس ان معاوية بن أبي سفيان كان عبدا من عباد الله ملكه على عباده
فعاش بقدر ومات بأجل وهذه أكفانه كما ترون نحن مدرجوه فيها ومدخلوه
قبره ومخلون بينه وبين ربه فمن أحب منكم أن يشهد جنازته فليحضر بعد
صلاة الظهر ثم نزل وتفرق الناس حتى إذا صلوا الظهر اجتمعوا وأصلحوا
جهازه وحملوه حتى واروه وانصرف يزيد فدخل الجامع ودعا الناس الى
البيعة فبايعوه ثم انصرف الى منزله . ومات معاوية وعلى المدينة الوليد بن
عتبة بن أبي سفيان وعلى مكة يحيى بن حكيم بن صفوان بن أمية وعلى الكوفة
النعمان بن بشير الانصارى وعلى البصرة عبيد الله بن زياد فلم تكن ليزيد
همة حين ملك الا بيعة هؤلاء الاربعة نفر فكتب الى الوليد بن عتبة
يأمره أن يأخذهم بالبيعة أخذا شديدا لارخصة فيه فلما ورد ذلك على الوليد
فقطع به وخاف الفتنة قبعث الى مروان وكان الذي بينهما متباعدا فأتاه فأقرأه

الوليد الكتاب واستشاره فقال له مروان أما عبد الله بن عمر وعبد الرحمن ابن أبي بكر فلا تخافنّ ناحيتهما فليسا بطالينِ شيئاً من هذا الامر ولكن عليك بالحسين بن عليّ وعبد الله بن الزبير فابعث اليهما الساعة فان بايعا والاّ فاضرب أعناقهما قبل أن يعلن الخبر فيثب كل واحد منهما ناحية ويظهر الخلاف فقال الوليد لعبد الله بن عمرو بن عثمان وكان حاضرا وهو حينئذ غلام حين راهق انطلق يا بنيّ الى الحسين بن عليّ وعبد الله بن الزبير فادعهما فانطلق الغلام حتى أتى المسجد فاذا هو بهما جالسين فقال أجيبا الامير فقالا للغلام انطلق فانا صائران اليه على أترك فانطلق الغلام فقال ابن الزبير للحسين رضى الله عنه فيمّ تُراه بعث الينا في هذه الساعة فقال الحسين أحسب معاوية قد مات فبعث الينا للبيعة قال ابن الزبير ما أظن غيره وانصرفا الى منازلها فأما الحسين فجمع نفرا من مواليه وغلمانه ثم مشى نحو دار الامارة وأمر فتياه أن يجلسوا بالباب فان سمعوا صوته اقتحموا الدار ودخل الحسين على الوليد وعنده مروان فجلس الى جانب الوليد فأقرأه الوليد الكتاب فقال الحسين ان مثلي لا يعطى بيعته سرا وأنا طوعُ يدك فاذا جمعت الناس لذلك حضرتُ وكنت واحدا منهم وكان الوليد رجلا يحبّ العافية فقال للحسين فانصرف اذا حتى تأتينا مع الناس فانصرف فقال مروان للوليد عصيتني والله لا يمكنك من مثله أبدا قال الوليد ويحك أتشير عليّ بقتل الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهما السلام والله ان الذي يحاسب بدم الحسين يوم القيامة لخفيف الميزان عند

الله وتحرّز ابن الزبير في منزله وراوغ الوليد حتى اذا جنّ عليه الليل سار نحو مكة وتكبّ الطريق الاعظم فأخذ على طريق الفرع . ولما أصبح الوليد بلغه خبره فوجه في أثره حبيب بن كدين في ثلاثين فارسا فلم يقعوا له على أثر وشغلوا يومهم ذلك كله بطلب ابن الزبير فلما أمسوا وأظلم الليل مضى الحسين رضى الله عنه أيضا نحو مكة ومعه أخته أم كلثوم وزينب وولد أخيه وأخوته أبو بكر وجعفر والعباس وعامة من كان بالمدينة من أهل بيته الا أخاه محمد بن الحنفية فانه أقام . وأما عبد الله بن عباس فقد كان خرج قبل ذلك بأيام الى مكة وجعل للحسين رضى الله عنه يطوى المنازل فاستقبله عبد الله بن مطيع وهو منصرف من مكة يريد المدينة فقال له أين تريد قال الحسين أما الآن فمكة قال خار الله لك غير انى أحب أن أشير عليك برأى قال الحسين وما هو قال اذا أتيت مكة فأردت الخروج منها الى بلد من البلدان فإياك والكوفة فانها بلدة مشومة بها قتل أبوك وبها خذل أخوك واغتيل بطعنة كادت تأتى على نفسه بل الزم الحرم فان أهل الحجاز لا يعدلون بك أحدا ثم ادع اليك شيعتك من كل أرض فسيأتونك جميعا قال له الحسين يقضى الله ما أحبّ ثم أطلق عنانه ومضى حتى وافى مكة فنزل شعباً على واختلف الناس اليه فكانوا يجتمعون عنده حلقة حلقة وتركوا عبد الله بن الزبير وكانوا قبل ذلك يتحفون اليه فساء ذلك ابن الزبير وعلم ان الناس لا يحفلون به والحسين مقيم بالبلد فكان يختلف الى الحسين رضى الله عنه صباحا ومساءً ثم ان يزيد عزل يحيى بن حكيم بن صفوان بن أمية عن مكة واستعمل

عليها عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية

(استدعاء الحسين الى الكوفة)

قلوا ولما بلغ أهل الكوفة وفاة معاوية وخروج الحسين بن عليّ الى مكة اجتمع جماعة من الشيعة في منزل سليمان بن صُرد واتفقوا على أن يكتبوا الى الحسين يسألونه القدوم عليهم ليسلموا الأمر اليه ويطردوا النعمان بن بشير فكتبوا اليه بذلك ثم وجها بالكتاب مع عبيد الله بن سبيع الهمدانيّ وعبد الله بن وُدّ الكِلسي فوافوا الحسين رضى الله عنه بمكة لعشر خلون من شهر رمضان فأوصلوا الكتاب اليه . ثم لم يمض الحسين يومه ذلك حتى ورد عليه بشر بن مسهر الصيداوى وعبد الرحمن بن عبيد الأرحبي ومعهما خمسون كتابا من أشرف أهل الكوفة وروّسائها كل كتاب منها من الرجلين والثلاثة والأربعة بمثل ذلك فلما أصبح وافاه هانيّ بن هانيّ السبيعي وسعيد ابن عبد الله الخثعمي ومعهما أيضا نحو من خمسين كتابا . فلما أمسى أيضا ذلك اليوم ورد عليه سعيد بن عبد الله الثقفي ومعه كتاب واحد من شعث ابن ربيعٍ وحجار بن أبجر ويزيد بن الحارث وعروة بن قيس وعمرو بن الحجاج ومحمد بن عمير بن عطارذ وكانوا هؤلاء الروّساء من أهل الكوفة فتأبعت عليه في أيام رسل أهل الكوفة من الكتب ماملأ منه خرجين . فكتب الحسين اليهم جميعا كتابا واحدا ودفعه الى هانيّ بن هانيّ وسعيد بن عبد الله نسخته بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن عليّ الى من بلغه كتابي هذا من أوليائه وشيعته بالكوفة سلام عليكم أما بعد فقد أتني كتبكم وفهمت ماذا كنتم من محبتكم

لقدومى عليكم وأبا باعث اليكم بأخى وابن عمى وثقتى من أهلى مسلم بن عقيل
 ليعلم لى كنه أمركم ويكتب الى بما يتبين له من اجتماعكم فان كان أمركم على
 ما أتتني به كتبكم وأخبرتني به رسلكم أسرعت القدوم عليكم ان شاء الله والسلام
 وقد كان مسلم بن عقيل خرج معه من المدينة الى مكة فقال له الحسين عليه
 السلام يا ابن عمّ قد رأيت أن تسير الى الكوفة فتنظر ما اجتمع عليه رأى
 أهلها فان كانوا على ما أتتني به كتبهم فعجل على بكتابك لأسرع القدوم
 عليك وان تكن الاخرى فعجل الانصراف فخرج مسلم على طريق المدينة
 ليتم بأهله ثم استأجر دليلين من قيس وسار فضلاً ذات ليلة فأصبحا وقد تاهما
 واشتدّ عليهما العطش والحرّ فانقطعا فلم يستطيعا المشى فقالا لمسلم عليك بهذا
 السمّ فالزمه لعلك أن تنجو فتركهما مسلم ومضى على ذلك السمّ ولم يلبث
 الدليلان ان ماتا ونجا مسلم ومن معه من خدمه بحُشاشة الانفس حتى أفضوا
 الى الطريق فلزموه حتى وردوا الماء فأقام مسلم بذلك الماء وكتب الى الحسين
 مع رسول استأجره من أهل ذلك الماء يخبره خبره وخبر الدليلين وما لاقى
 من الجهد ويعلمه أنه قد تطير من الوجه الذى توجه له ويسأله أن يعفيه ويوجه
 غيره ويخبره أنه مقيم بمنزله ذلك من بطن الحُرْبُت فسار الرسول حتى وافى
 مكة وأوصل الكتاب الى الحسين فقرأه وكتب فى جوابه أما بعد فقد ظننت
 ان الجبن قد قصر بك عما وجهتك به فامض لما امرتك فاني غير معفيك
 والسلام . فسار مسلم حتى وافى الكوفة ونزل فى الدار التى تُعرف بدار
 المختار بن أبى عبيد ثم عُرفت اليوم بدار المسيّب فكانت الشيعة تختلف اليه

فقرأ عليهم كتاب الحسين ففشا أمره بالكوفة حتى بلغ ذلك النعمان بن بشير أميرها فقال لا أقاتل الا من قاتلني ولا أثب الا على من وثب على ولا آخذ بالقرينة والظنة فمن أبدى صفحته ونكث بيعته ضربته بسيفي ما ثبت قائمه في يدي ولو لم أكن الا وحدي وكان يحب العافية ويقتم السلامة فكتب مسلم بن سعيد الحضرمي وعمارة بن عتبة وكأنا عيان يزيد بن معاوية الى يزيد يعلمانه قدوم مسلم بن عقيل الكوفة داعية للحسين بن عليّ وانه قد أفسد قلوب أهلها عليه فان يكن لك في سلطانك حاجة فبادر اليه من يقوم بأمرك ويعمل مثل عملك في عدوك فان النعمان رجل ضعيف أو متضاعف والسلام

(مقتل مسلم بن عقيل)

فلما ورد الكتاب على يزيد أمر بعهد فكُتب لعبيد الله بن زياد على الكوفة وأمره أن يبادر الى الكوفة فيطلب مسلم بن عقيل طلب الحرزة حتى يظفر به فيقتله أو ينفيه عنها ودفعت الكتاب الى مسلم بن عمرو والباهليّ أبي قتيبة ابن مسلم وأمره باغذاذ السير فسار مسلم حتى وافى البصرة وأوصل الكتاب الى عبيد الله بن زياد وقد كان الحسين بن عليّ رضي الله عنه كتب كتابا الى شيعة من أهل البصرة مع مولى له يسمى سلمان نسخته بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن عليّ الى مالك بن مسمع والأحنف بن قيس والمنذر بن الجارود ومسعود بن عمرو وقيس بن الهيثم سلام عليكم أما بعد فاني أدعوكم الى احياء معالم الحق وإماتة البدع فان تُجيبوا تهتدوا سبل الرشاد والسلام فلما أتاهم هذا الكتاب كتموه جميعا الا المنذر بن الجارود فانه أفشاه اتزويجه ابنته هندامين

عبيد الله بن زياد فأقبل حتى دخل عليه فأخبره بالكتاب وحكى له ما فيه . فأمر عبيد الله بن زياد بطلب الرسول فطلبوه فأتوه به فضربت عنقه . ثم أقبل حتى دخل المسجد الاعظم فاجتمع له الناس فقام فقال أنصف القارة من راماها يا أهل البصرة ان أمير المؤمنين قد ولاني مع البصرة الكوفة وأنا سائر اليها وقد خلفت عليكم أخي عثمان بن زياد فياكم والخلاف والارجاف فوالله الذي لا اله غيره لئن بلغني عن رجل منكم خالف أو أرجف لأقتلنه ووليّه ولا خذن الأذنى بالأقصى والبرئ بالسقيم حتى تستقيموا وقد أعذر من أنذر ثم نزل وسار وخرج معه من أشراف أهل البصرة شريك بن الاعور والمنذر ابن الجارود فسار حتى وافى الكوفة فدخلها وهو متلمم وقد كان الناس بالكوفة يتوقعون الحسين بن عليّ عليهما السلام وقدومه فكان لا يمر ابن زياد بجماعة الا ظنوا أنه الحسين فيقومون له ويدعون ويقولون مرحبا بابن رسول الله قدمت خير مقدم فنظر ابن زياد من تباشرهم بالحسين الى ما ساءه وأقبل حتى دخل المسجد الاعظم ونودي في الناس فاجتمعوا وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أهل الكوفة ان أمير المؤمنين قد ولاني مصركم وقسم فيكم فيكم وأمرني بانصاف مظلومكم والاحسان الى سامعكم ومطيعكم والشدة على عاصيكم ومُريكم وأنا مبتدئ في ذلك الى أمره وأنا لمطيعكم كالوالد الشفيق والمخالفكم كالسّمّ النقيع فلا يُيقن أحد منكم الا على نفسه ثم نزل فأتى القصر فنزله وارتمحل النعمان بن بشير نحو وطنه بالشام وبلغ مسلم بن عقيل قدوم عبيد الله بن زياد وانصراف النعمان وما كان من خطبة ابن زياد ووعيده

فخاف على نفسه فخرج من الدار التي كان فيها بعد عتمة حتى أتى دار هانيء
ابن عروة المدحجي وكان من أشرف أهل الكوفة فدخل داره الخارجة
فأرسل إليه وكان في دار نسائه يسأله الخروج إليه فخرج إليه وقام مسلم فسلم
عليه وقال اني أتيتك لتجبرني وتضيفني فقال له هانيء لقد كلفتني شططا من
الامر ولولا دخولك منزلي لأحببت أن تنصرف عني غير انه قد لزمني
ذمامٌ لذلك فأدخله دار نسائه وأفرده ناحية منها وجعلت الشيعة تختلف إليه
في دار هانيء . وكان هانيء بن عروة مواصلا لشريك بن الاعور البصري
الذي قدم مع ابن زياد وكان ذا شرف بالبصرة وخطر فانطلق هانيء إليه حتى
أتى به منزله وأنزله مع مسلم بن عقيل في الحجرة التي كان فيها وكان شريك
من كبار الشيعة بالبصرة فكان يبحث هائئا على القيام بأمر مسلم . وجعل مسلم
يبايع من أتاه من أهل الكوفة ويأخذ عليهم العهود والمواثيق المؤكدة بالوفاء
ومرض شريك بن الاعور في منزل هانيء بن عروة مرضا شديدا وبلغ ذلك
عبيد الله بن زياد فأرسل إليه يُعلمه انه يأتيه عائدا فقال شريك لمسلم بن عقيل
انما غايتك وغاية شيعتك هلاك هذا الظاغية وقد أمكنك الله منه هو صائر
إلى ليعودني فقم فأدخل الخزانة حتى اذا اطمان عندي فأخرج إليه فاقتله ثم
صر إلى قصر الامارة فاجلس فيه فانه لا ينازعك فيه أحد من الناس وان
رزقني الله العافية صرت إلى البصرة فكفيتك أمرها وبايع لك أهلها فقال
هانيء بن عروة ما أحب أن يُقتل في داري ابن زياد فقال له شريك ولم
فوالله ان قتله لقربان إلى الله ثم قال شريك لمسلم لا تقصر في ذلك فينما هم

على ذلك اذ قيل لهم الأمير بالبواب فدخل مسلم بن عقيل الخزانة ودخل
عبيد الله بن زياد على شريك فسلم عليه وقال ما الذي تجددت حتى فلما طال
سؤاله اياه استبطاً شريك خروج مسلم وجعل يقول ويُسَمع مسلماً
ما تَنْظُرُونَ بِسَلْمَى عِنْدَ فُرْصَتِهَا قَدِ وَاثَى وُذِّهَا وَاسْتَوَسَقَ الصَّرَمُ
وجعل يُرَدِّدُ ذَلِكَ فَقَالَ ابْنُ زِيَادٍ لِهَانِي أَيَهْجُرُ يَعْنِي يَهْدِي قَالَ هَانِي نَعَمْ
أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرُ لَمْ يَزَلْ هَكَذَا مِنْذُ أَصْبَحَ ثُمَّ قَامَ عُبَيْدُ اللَّهِ وَخَرَجَ فَخَرَجَ
مُسْلِمُ بْنُ عَقِيلٍ مِنَ الْخَزَانَةِ فَقَالَ لَهُ شَرِيكٌ مَا الَّذِي مَنَعَكَ مِنْهُ إِلَّا الْجَبْنَ
وَالْفِشْلَ قَالَ مُسْلِمٌ مَنَعَنِي مِنْهُ خَلْتَانِ أَحَدَاهُمَا كِرَاهِيَةٌ هَانِي لَقَتْلَهُ فِي مَنْزِلِهِ
وَالْأُخْرَى قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الْإِيمَانَ قَيْدُ الْفِتْكَ لَا يَفْتُكُ
مَوْثَمٌ فَقَالَ لَهُ شَرِيكٌ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ قَتَلْتَهُ لَأَسْتَقَامَ لَكَ أَمْرُكَ وَاسْتَوَسَقَ لَكَ
سُلْطَانُكَ وَلَمْ يَعِشْ شَرِيكٌ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا أَيَّامًا حَتَّى تَوَفَّى وَشَبَّعَ ابْنُ زِيَادٍ
جَنَازَتَهُ وَتَقَدَّمَ فَصَلَّى عَلَيْهِ . وَلَمْ يَزَلْ مُسْلِمُ بْنُ عَقِيلٍ يَأْخُذُ الْمَبِيعَةَ عَلَى أَهْلِ
الْكُوفَةِ حَتَّى بَايَعَهُ مِنْهُمْ ثَمَانِيَةَ عَشْرَ أَلْفِ رَجُلٍ فِي سَتْرِ وَرَفَقٍ وَخَفِيَ عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ
ابْنِ زِيَادٍ مَوْضِعَ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ فَقَالَ لِمَوْلَى لَهُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ يُسَمَّى مَعْقَلًا
وَنَآوَلَهُ ثَلَاثَةَ آلَافِ دَرَاهِمٍ فِي كَيْسٍ وَقَالَ خُذْ هَذَا الْمَالَ وَانْطَلِقْ فَاتَمَسَّ مُسْلِمُ
ابْنَ عَقِيلٍ وَتَأْتَتْ لَهُ بَغَايَةُ التَّائِي فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ الْأَعْظَمَ
وَجَعَلَ لَا يَدْرِي كَيْفَ يَتَأْتِي لِلْأَمْرِ ثُمَّ أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى رَجُلٍ يَكْثُرُ الصَّلَاةَ إِلَى سَارِيَةٍ
مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ فِي نَفْسِهِ إِنَّ هُوَ لَأَنَّ الشَّيْعَةَ يَكْثُرُونَ الصَّلَاةَ وَأَحْسَبُ
هَذَا مِنْهُمْ فَجَلَسَ لِلرَّجُلِ حَتَّى إِذَا انْقَضَى مِنْ صَلَاتِهِ قَامَ فَدَنَا مِنْهُ وَجَلَسَ فَقَالَ

جعلت فداك انى رجل من أهل الشام مولى لذى الكلاع وقد أنعم الله علىّ
 بحب أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب من أحبهم ومعى هذه
 الثلاثة آلاف درهم أحب إيصالها الى رجل منهم بلغنى أنه قدم هذا المصر
 داعية للحسين بن علىّ عليه السلام فهل تدلنى عليه لأوصل هذا المال اليه
 ليستعين به على بعض أموره أو يضعه حيث يجب من شيعته فقال له الرجل
 وكيف قصدتنى بالسؤال عن ذلك دون غيرى ممن هو فى هذا المسجد قال
 لأنى رأيت عليك سيم الخير فرجوت أن تكون ممن يتولى أهل بيت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال له الرجل ويحك قد وقعت علىّ بعينك أنا رجل من
 اخوانك واسمى مسلم بن عوسجة وقد سررت بك وساءنى ما كان من حس
 قلبك فانى رجل من شيعه أهل هذا البيت خوفا من هذا الطاغية ابن زياد فأعطنى
 ذمة الله وعهده أن تكتم هذا الامر من جميع الناس فأعطاه من ذلك ما أراد
 فقال له مسلم بن عوسجة انصرف يومك هذا فاذا كان غدا فأتنى فى منزلى
 حتى أنطلق معك الى صاحبنا يعنى مسلم بن عقيل فأوصلك اليه فمضى الشامى
 فبات ليلته فلما أصبح غدا الى مسلم بن عوسجة فى منزله فانطلق به حتى
 أدخله الى مسلم بن عقيل فأخبره بأمره ودفع اليه الشامى ذلك المال وبأيمه
 وكان الشامى يندو الى مسلم بن عقيل فلا يُحجَب عنه فيكون نهاره كله عنده
 فيتعرف جميع أخبارهم فاذا أمسى وأظلم عليه الليل دخل على عبيد الله بن
 زياد فأخبره بجميع قصصهم وما قالوا وفعّلوا فى ذلك وأعلمه نزول مسلم فى
 دار هانى بن عروة . ثم ان محمد بن الاشعث وأسماء بن خارجة دخلا على

ابن زياد مسلمين فقال لهما ما فعل هاني بن عروة فقالا أيها الامير انه عليل منذ أيام فقال ابن زياد وكيف وقد بلغني انه يجلس على باب داره عامة نهاره فما يمنعه من اتياننا وما يجب عليه من حق التسليم قالا سنعلمه ذلك ونخبره باستبطائك اياه فخرجا من عنده وأقبلا حتى دخلا على هاني بن عروة فأخبراه بما قال لهما ابن زياد وما قالا له ثم قالا له أقسمنا عليك الا قت معنا اليه الساعة لتسل سخيمة قلبه فدعا بيغته فركبها ومضى معها حتى اذا دنا من قصر الامارة خبثت نفسه فقال لهما ان قلبي قد أوجس من هذا الرجل خيفة قالا ولم تحدث نفسك بالخوف وأنت بريء الساحة فمضى معها حتى دخلوا على ابن زياد فأنشأ ابن زياد يقول متمثلا

اريدُ حياءه ويريد قتلِي عذيرك من خليلك من مراد

قال هاني وما ذاك أيها الأمير قال ابن زياد وما يكون أعظم من مجيئك بمسلم ابن عقيل وادخالك إياه منزلك وجمعك له الرجال ليبايعوه فقال هاني ما فعلت وما أعرف من هذا شيئا فدعا ابن زياد بالشامي وقال يا غلام ادع لي معقلا فدخل عليهم فقال ابن زياد لهاني بن عروة أتعرف هذا فلما رآه علم أنه انما كان عيناً عليهم فقال هاني أصدقك والله أيها الامير اني والله مادعوت مسلم بن عقيل وما شعرت به ثم قص عليه قصته على وجهها ثم قال فأما الآن فانا مخرجه من داري لينطلق حيث شاء وأعطيك عهدا وثيقا ان أرجع اليك قال ابن زياد لا والله لا تفارقني حتى تأتيني به فقال هاني أو يجمل بي أن أسلم ضيفي وجاري للقتل والله لا أفعل ذلك أبدا فاعترضه ابن زياد بالخيزرانة

فضرب وجهه وهشم أنفه وكسر حاجبه وأمر به فأدخل بيتا وبلغ مذحجا ان
ابن زياد قد قتل هائثا فاجتمعوا بباب القصر وصاحوا فقال ابن زياد
لشريح القاضي وكان عنده أدخل الى صاحبهم فانظر اليه ثم أخرج اليهم
فأعلمهم انه حتى فعل فقال لهم سيدهم عمرو بن الحجاج اما اذ كان صاحبكم
حيًا فما يُعجلكم الفتنة انصرفوا فانصرفوا فلما علم ابن زياد انهم قد انصرفوا
أمر بهائى فأتى به السوق فضربت عنقه هناك . ولما بلغ مسلم بن عقيل قتل
هانئ بن عروة نادى فيمن كان بايعه فاجتمعوا فعقد لعبد الرحمن بن كرين
الكندى على كندة وريعة وعقد لمسلم بن عوسجة على مذحج وأسد وعقد
لابي ثمامة الصيداوى على تميم وهدان وعقد للعباس بن جعدة بن هبيرة
على قريش والانصار فتقدموا جميعا حتى أحاطوا بالقصر واتبعهم هو في بقية
الناس وتحصن عبيد الله بن زياد في القصر مع من حضر مجلسه في ذلك
الوقت من أشرف أهل الكوفة والأعوان والشرط وكانوا مقدار مائتى رجل
فقاموا على سور القصر يرمون القوم بالمدر والنشاب ويمنعونهم من الدنو من
القصر فلم يزالوا بذلك حتى أمسوا . وقال عبيد الله بن زياد لمن كان عنده
من أشرف أهل الكوفة ليُشرف كل رجل منكم في ناحية من السور فخوفوا
القوم فأشرف كثير بن شهاب ومحمد بن الاشعث والقعقاع بن شور وشبث
ابن ربيع وحجّار بن أبجر وشير بن ذى الجوشن فنادوا يا أهل الكوفة
اتقوا الله ولا تستعجلوا الفتنة ولا تشقوا عصا هذه الامة ولا توردوا على
أنفسكم خيول الشام فقد ذقتموهم وجربتم شوكتهم فلما سمع أصحاب مسلم

مقاتلهم فقتلوا بعض الفتور وكان الرجل من أهل الكوفة يأتي ابنه وأخاه وابن عمه فيقول انصرف فان الناس يكفونك وتجيء المرأة الى ابنها وزوجها وأخيها فتعلق به حتى يرجع فصلى مسلم العشاء في المسجد وما معه الا زهاء ثلاثين رجلا . فلما رأى ذلك مضى منصرفا ماشيا ومشوا معه فأخذ نحو كندة فلما مضى قليلا التفت فلم ير منهم أحدا ولم يُصب انسانا يده على الطريق فمضى هائما على وجهه في ظلمة الليل حتى دخل حتى كندة فاذا امرأة قائمة على باب دارها تنتظر ابنها وكانت ممن خفت مع مسلم فأوثته وأدخلته بيتها وجاء ابنها فقال من هذا في الدار فأعلمته وأمرته بالكتمان . ثم ان ابن زياد لما فقد الاصبوات ظن ان اقمم دخلوا المسجد فقال انظروا هل ترون في المسجد أحدا وكان المسجد مع القصر فنظروا فلم يروا أحدا وجعلوا يشعلون اطنان القصب ثم يمدفون بها في رحبة المسجد أيضا لهم فتبينوا فلم يروا أحدا فقال ابن زياد ان اقمم قد خذلوا وأسلبوا مسلما وانصرفوا فخرج فيمن كان معه وحلس في المسجد ووضع الشمع واتقناديل وأمر مناديا فنادى بالكوفة ألا يا بيت الذمة من رجل من العرفاء والتترط والحرس لم يحضر المسجد فاجتمع الناس ثم قال يا حسين بن نمير وكان على الشرطة شكائك أمك ان ضاع باب سكة من سكاك الكوفة فاذا أصبحت فاستقري الدور دارا دارا حتى تقع عليه وصلى ابن زياد العشاء في المسجد ثم دخل القصر فلما أصبح جلس الناس فدخلوا عليه ودخل في أوامهم محمد بن الاشعث فأقعدته معه على سريره وقبل ابن تلك المرأة التي مسل في بيتها الى عبدالرحمن بن محمد

ابن الاشعث وهو حينئذ غلام حين راهق فأخبره بمكان مسلم عنده فأقبل
عبد الرحمن الى أبيه محمد بن الاشعث وهو جالس مع ابن زياد فأسبر اليه
الخبر فقال ابن زياد ما سارك به ابنك قال أخبرني أن مسلم بن عقيل في
بعض دورنا فقال انطلق فأتني به الساعة . وقال لعبيد بن حريث ابعت
مائة رجل من قريش وكره أن يبعث اليه غير قريش خوفا من العصبية ان
تقع فأقبلوا حتى أتوا الدار التي فيها مسلم بن عقيل فاقحموها فقاتلهم فرمى
فكسره وأخذ فأتى بيغلة فركبها وصاروا به الى ابن زياد فلما أدخل عليه
وقد اكتنفه الجلاوزة قالوا له سلم على الامير قال ان كان الامير يريد قتلى
فما أتفعُ بسلام عليه وإن كان لم يرد فسيكثر عليه سلامي فقال ابن زياد كأنك
ترجو البقاء فقال له مسلم فان كنت مزعما على قتلي فدعني أوص الى بعض
من هاهنا من قومي قال له أوص بما شئت فنظر الى عمر بن سعد بن أبي
وقاص فقال له اخذ معي في طرف هذا البيت حتى أوصي اليك فليس في
القوم أقرب اليّ ولا أولى بي منك فتنحى معه ناحية فقال له أتقبل وصيتي
قال نعم قال مسلم ان شئنا هاعنا دينا مقدار ألف درهم فاقض عني واذا أنا
قتلت فاسنوب من ابرزيد حتى لا يتل بها وابعث الى الحسين بن عليّ
رسولا قاصدا من قبلك يعلمه حالى وما صرت اليه من غدر هؤلاء الذين
يزعمون أنهم شيعة وأخبره بما كان من نكبتهم بعد أن بايعني منهم ثمانية عشر
ألف رجل لينصرف الى حرم الله فيقيم به ولا يغتر بأهل الكوفة . وقد كان
مسلم كتب الى الحسين أن يقدم ولا يلبث فقال له عمر بن سعد لك عليّ

ذلك كله وأنا به زعيم فانصرف الى ابن زياد فأخبره بكل ما أوصى به اليه
 مسلم فقال له ابن زياد قد أسأت في افشائك ما أسره اليك وقد قيل انه
 لا يخونك الا الامين وربما ائتمتك الخائن وأمر بن زياد بمسلم بن عقيل فرُقي به
 الى ظهر القصر فاشرف به على الناس وهم على باب القصر مما يلي الرحبة حتى
 اذا رأوه ضربت عنقه هناك فسقط رأسه الى الرحبة ثم أتبع الرأس بالجسد
 وكان الذي تولى ضرب عنقه احمر بن بكير وفي ذلك يقول عبد الرحمن بن
 الزبير الاسدي

فان كنت لا تدرين ما الموت فانظري الى هاني في السوق وابن عقيل
 الى بطل قد هشم السيف أنفه وآخر يهوى من طمار قتييل
 أصابهما ريب الزمان فأصبجا أحاديث من يسعي بكل سبيل
 ترى جسدا قد غير الموت لونه ونضح دم قد سال كل مسيل
 ثم بعث عبيد الله برووسهما الى يزيد وكتب اليه بالنبأ فيهما فكتب اليه
 يزيد لم نعد الظن بك وقد فعلت فعل الحازم الجليد وقد سألت رسوليك
 عن الامر ففرشاه لي وهما كما ذكرت في النصح وفضل الرأي فاستوص بهما
 وقد بلغني ان الحسين بن علي قد فصل من مكة متوجها الى ما قبلك فأذك
 العيون عليه وضع الارصاد على الطرق وقم أفضل القيام غير أن لا تقا تل الا
 من قاتلك واكتب الى بالخبر في كل يوم وكان أنفذ الرأسين اليه مع هاني
 ابن أبي حبة الهمداني والزبير بن الأرواح التيمي وكان قتل مسلم بن عقيل
 يوم الثلاثاء ثلاث خلون من ذي الحجة سنة ستين وهي السنة التي مات

(مخرج الحسين رضي الله عنه الى الكوفة)

وخرج الحسين بن عليّ عليه السلام من مكة في ذلك اليوم . ثم ان ابن زياد وجه بالحصين بن نمير وكان على شرطه في أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة وأمره أن يقيم بالقادسية الى الققظطانة فيمنع من أراد النفوذ من ناحية الكوفة الى الحجاز الا من كان حاجا أو معتمرا أو من لايتهم بملاة الحسين . قالوا ولما ورد كتاب مسلم بن عقيل على الحسين عليه السلام ان الرائد لا يكذب أهله وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألف رجل فاقدم فان جميع الناس معك ولا رأى لهم في آل أبي سفيان . فلما عزم على الخروج وأخذ في الجهاز بلغ ذلك عبد الله بن عباس فأقبل حتى دخل على الحسين رضي الله عنه فقال يا ابن عمي قد بلغني انك تريد المسير الى العراق قال الحسين أنا على ذلك قال عبد الله أعيذك بالله يا ابن عمي من ذلك قال الحسين قد عزمت ولا بد من المسير قال له عبد الله أتسير الى قوم طردوا أميرهم عنهم وضبطوا بلادهم فان كانوا فعلوا ذلك فسر اليهم وان كانوا انما يدعونك اليهم وأميرهم عليهم وعماله يجبونهم فانهم انما يدعونك الى الحرب ولا آمنهم أن يخذلوك كما خذلوا أباك وأخاك قال الحسين يا ابن عمي سأنظر فيما قلت . وبلغ عبد الله بن الزبير ما بهم به الحسين فأقبل حتى دخل عليه فقال له لو أقمت بهذا الحرم وبثت رسلك في البلدان وكتبت الى شيعتك بالعراق أن يقدموا عليك فاذا قوى أمرك نفيت عمال يزيد عن هذا البلد وعلى لك

المكافئة والموازرة وان عملت بمشيئتي طلبت هذا الأمر بهذا الحرم فانه
 مجمع أهل الآفاق ومورد أهل الأقطار لم يُعَدِّمك باذن الله ادراك ما تريد
 ورجوت أن تناله . قالوا ولما كان في اليوم الثالث عاد عبد الله بن عباس الى
 الحسين فقال له يا ابن عم لا تقرب أهل الكوفة فانهم قوم غدرة وأقم بهذه
 البلدة فانك سيد أهلها فان أبيت فسر الى أرض اليمن فان بها حصونا وشعابا
 وهي أرض طويلة عريضة ولأبيك فيها شيعة فتكون عن الناس في عزلة
 وتبث دعواتك في الآفاق فاني أرجو ان فعلت ذلك أنك الذي تحب في عافية
 قال الحسين عليه السلام يا ابن عم والله اني لأعلم أنك ناصح مشفق غير اني
 قد عزمت على الخروج قال ابن عباس فان كنت لا محالة سائرا فلا تخرج
 النساء والصبيان فاني لا آمن أن تقتل كما قتل ابن عفان وصيته يُنظرون اليه
 قال الحسين عليه السلام ما أرى الا الخروج بالأهل والولد فخرج ابن عباس
 من عند الحسين فمرّ بابن الزبير وهو جالس فقال له قرئت عينك يا ابن الزبير
 بخروج الحسين ثم تمثل .

خلا لك الجوفىضى واصفرى وتقرى ماشئت أن تقرى
 قالوا ولما خرج الحسين من مكة اعترضه صاحب شرطة أميرها عمرو بن سعيد
 ابن العاص في جماعة من الجند فقال ان الامير يأمرك بالانصراف فانصرف
 والا منعتك فامتنع عليه الحسين وتدافع الفريقان واضطربوا بالسياط وبلغ ذلك
 عمرو بن سعيد فخاف أن يتفاقم الامر فأرسل الى صاحب شرطه يأمره
 بالانصراف . قالوا ولما فصل الحسين بن علي من مكة سائرا وقد وصل الى

التنميم لحق عيرا مقبلة من اليمن عليها ورس وحاء يُنطلق به الى يزيد بن معاوية فأخذها وما عليها وقال لأصحاب الابل من أحبّ منكم أن يسير معنا الى العراق أوفيناها كراءه وأحسنا صحبته ومن أحبّ أن يفارقنا من هاهنا أعطيناها من الكراء بقدر ما قطع من الارض ففارقه قوم ومضى معه آخرون ثم سار حتى اذا انتهى الى الصفاح لقيه هناك الفرزدق الشاعر مقبلا من العراق يريد مكة فسلم على الحسين فقال له الحسين كيف خلفت الناس بالعراق قال خلفتهم وقلوبهم معك وسيرتهم عليك ثم ودّعه ومضى الحسين عليه السلام حتى اذا صار بطن الرمة كتب الى أهل الكوفة بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن عليّ الى اخوانه من المؤمنين بالكوفة سلام عليكم أما بعد فان سب مسلم بن عقيل ورد عليّ باجتماعكم لي وتشوّفكم الى قدومي واأنتم عليه منظرون من نصرنا والطاب بحقنا فأمن الله لنا ولكم الصنيع وأثابكم على ذلك بأفضل الذخر وكأبي السكم من بطن الرمة وأنا قادم إليكم وحثيث السير اليكم والسلام . ثم بعث بالكتاب مع قيس بن مسهر فسار حتى وافى القادسية فأخذه حصين بن نمير وبعث به الى ابن زياد فلما دخل عليه أخطأ لعبيد الله فؤد به أن يطرح من أعلى سور القصر الى الرحبة فطرح فمات . وسار الحسين عليه السلام من بطن الرمة فلقه عبد الله بن معاوية وهو منصرف من العراق فسلم على الحسين وقال له بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله ما أخرجك من حرم الله وحرم جدك فقال ان أهل الكوفة كتبوا اليّ يسألوني أن أقدم عليهم لما رجوا من إحياء معالم الحق واماتة

البدع قال له ابن مطيع أنشدك الله أن تأتي الكوفة فوالله لئن أتيتها لتقتلن فقال له الحسين عليه السلام (لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) ثم ودّعه ومضى . ثم سار حتى انتهى الى زرود فنظر الى فسطاط مضر وب فسأل عنه فقيل له هو زهير بن القين وكان حاجا أقبل من مكة يريد الكوفة فأرسل اليه الحسين أن القني أ كلك فأبي أن يلقاه وكانت مع زهير زوجته فقالت له سبحان الله يبعث اليك ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تحجبه فقام يمشي الى الحسين عليه السلام فلم يلبث ان انصرف وقد أشرق وجهه فأمر بفسطاطه فقلع وضرب الى لزق فسطاط الحسين ثم قال لامرأته أنت طالق فتقدمي مع أخيك حتى تصلى الى منزلك فاني قد وطنت نفسي على الموت مع الحسين عليه السلام ثم قال لمن كان معه من أصحابه من أحب منكم الشهادة فليقم ومن كرهها فليتقدم فليقم معه منهم أحد وخرجوا مع المرأة وأخيها حتى لحقوا بالكوفة . قالوا ولما رحل الحسين من زرود تلقاه رجل من بني أسد فسأله عن الخبر فقال لم أخرج من الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة ورأيت الصبيان يجرّون بأرجلهم فقال إنا لله وإنا اليه راجعون عند الله نحتسب أنفسنا فقيل له ننشدك الله يا ابن رسول الله في نفسك وأنفس أهل بيتك هؤلاء الذين نراهم معك انصرف الى موضعك ودع المسير الى الكوفة فوالله مالك بها ناصر فقال بنو عقيل وكانوا معه مالنا في العيش بعد أخينا مسلم حاجة ولسنا براجعين حتى نموت فقال الحسين فما خير في العيش بعد هؤلاء وسار فلما وافى زباله وافاه بها رسول محمد بن الأشعث وعمر بن سعد بما

كان سألته مسلم أن يكتب به اليه من أمره وخذلان أهل الكوفة اياه بعد
 ان بايعوه وقد كان مسلم سأل محمد بن الأشعث ذلك فلما قرأ الكتاب
 استيقن بصحة الخبر وأفظمه قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة ثم أخبره
 الرسول بقتل قيس بن مسهر رسوله الذي وجهه من بطن الرمة وقد كان صحبه
 قوم من منازل الطريق فلما سمعوا خبر مسلم وقد كانوا ظنوا انه يقدم على
 أنصار وعضد تفرقوا عنه ولم يبق معه الا خاصته فسار حتى انتهى الى بطن
 العقيق فلقيه رجل من بني عكرمة فسلم عليه وأخبره بتوطيد ابن زياد الخليل
 ما بين القادسية الى العذيب رسداله ثم قال له انصرف بنفسى أنت فوالله
 ما تسير الا الى الأسنه والسيوف ولا تتكلن على الذين كتبوا اليك فان
 أولئك أول الناس مبادرة الى حربك فقال له الحسين قد ناصحت وبالغت
 فجزيت خيرا ثم أسلم عليه ومضى حتى نزل بسراة بات بها ثم ارتحل وسار
 فلما اتصف النهار واشتد الحر وكان ذلك في القيظ تراءت لهم الخليل
 فقال الحسين لزهير بن القين اما هاهنا مكان يلجأ اليه أو شرف نجعله خلف
 ظهورنا ونستقبل بمن وجه واحد قال له زهير بلى هذا جبل ذى جشم يسرة
 عك فل بنا اليه فان سبقت اليه فهو كما تحب فسار حتى سبق اليه وجعل
 ذلك الجبل وراء ظهره وأقبلت الخليل وكانوا ألف فارس مع الحر بن يزيد
 التيمي ثم اليربوعي حتى اذا دنوا أمر الحسين عليه السلام فتياه أن يستقبلوهم
 بالماء فشربوا وتغمرت خيلهم ثم جلسوا جميعا في ظل خيولهم واعنتها في أيديهم
 حتى اذا حضرت الظهر قال الحسين عليه السلام للحر أتصلى معنا أو تصلى

بأصحابك وأصلى بأصحابي قال الحرّ بل نصلى جميعا بصلاتك فتقدّم الحسين
عليه السلام فصلى بهم جميعا فلما انقضى من صلاته حوّل وجهه الى القوم ثم
قال أيها الناس معذرة الى الله ثم اليكم اني لم آتكم حتى اتنى كتبكم وقدمت
على رسلكم فان أعطيتموني ما أطمئن اليه من عهدكم ومواثيقكم دخلنا معكم
مصركم وان تكن الاخرى انصرفت من حيث جئت فأسكت القوم فلم
يردوا عليه حتى اذا جاء وقت العصر نادى مؤذن الحسين ثم أقام وتقدم
الحسين فصلى بالمرقيين ثم انقضى اليهم فأعاد مثل القوم الأول فقال الحرّ بن
يزيد والله ما ندرى ما هذه الكتب التي تذكر فقال الحسين عليه السلام
اتنى بالخرجين الذين فيهما كتبهم فأتى بالخرجين مملوءين كتباً فنثرت بين
يدي الحرّ وأصحابه فقال له الحرّ يا هذا أسنا من كتب اليك شيئاً من هذه
الكتب وقد أمرنا أن لا نفارقك اذا اقمناك أو تقدم بك الكوفة على الأمير
عبيد الله بن زياد فقال الحسين عليه السلام المير دون ذلك ثم أمر باثقاله فحملت
وأمر أصحابه فركبوا ثم ولى وجهه منصرفاً نحو الحجاز فحال القوم بينه وبين
ذلك فقال الحسين للحرّ ما الذي تريد قال أريد والله ان انطلق بك الى
الأمير عبيد الله بن زياد قال الحسين اذاً والله أنا بذك الحرب فلما كثر
الجدال بينهما قال الحرّ اني لم أومر بقتالك وانما أمرت ان لا أفارقك وقد
رأيت رأياً فيه السلامة من حربك وهو أن تجعل بيني وبينك طريقاً لا تدخلك
الكوفة ولا تردك الى الحجاز تكون نصفاً بيني وبينك حتى يأتينا رأى الأمير
قال الحسين فخذها هنا فآخذ متياسرا من طريق العذيب ومن ذلك المكان

الى العذيب ثمانية وثلاثون ميلا فسارا جميعا حتى انتهوا الى عذيب الحمامات
فنزّلوا جميعا وكل فريق منهما على غلوة من الآخريتم ارتحل الحسين من
موضعه ذلك متيامنا عن طريق الكوفة حتى انتهى الى قصر بني مقاتل
فنزّلوا جميعا هناك فنظر الحسين الى فسطاط مضروب فسأل عنه فأخبر أنه
لعبيد الله بن الحرّ الجعفيّ وكان من أشرف أهل الكوفة وفرسانهم فأرسل
الحسين اليه بعض راليه يأمره بالمصير اليه فأناه الرسول فقال هذا الحسين بن
عليّ يسألك أن تسير اليه فقال عبيد الله والله ما خرجت من الكوفة الا
لكثرة من رأيت يخرج لمحاربتة وخذلان شيعته فقلت انه مقتول ولا أقدر
على نصره فمست أحب أن ياني ولا أراه فاتمما الحسين حتى مشى ودخل
عليه قلبه ودعاه في نصرته فقال عبيد الله والله اني لاء ان من شايحك
كان السعيد في الآخرة ولكن داعي ان اغني عنك ولم اخلف لك بالكوفة
ناصر ا فانشدك بالله ان تحماني على هذه الخاطئة فان نفدي لم تسبح بعد المرات
ولكن فرسي هذه المأحقة والله ما طابت عليها شيئا قط الا لحقته ولا طابني
وانا عليها أحد قط الا سبقته فخذما فدني لك قال الحسين أما اذ رغبت بنفسك
عدا فلا حاجة لنا الى فرسك . وسار الحسين عليه السلام من قصر بني مقاتل
ومعه الحر بن يزيد كل ما أراد أن يميل نحو البادية منعه حتى انتهى الى
المكان الذي يسمى كربلاء فقال قليلا متيامنا حتى انتهى الى نينوى فاذا
هو براكب على نجيب مقبل من القوم فوقنوا جميعا ينتظرونه فلما انتهى
اليهم سلّم على الحرّ ولم يسلم على الحسين ثم ناول الحرّ كتابا من عبيد الله بن

زياد فقرأه فاذا فيه . أما بعد فجمع بالحسين بن علي وأصحابه بالمكان الذي
 يوافق كتابي ولا تحله الا بالعراء على غير خمر ولا ماء وقد امرت حامل
 كتابي هذا ان يخبرني بما كان منك في ذلك والسلام . فقرأ الحرّ الكتاب
 ثم ناوله الحسين وقال لا بدّ من انفاذ أمر الامير عبيد الله بن زياد فانزل بهذا
 المكان ولا تجعل للأمير عليّ علة فقال الحسين عليه السلام تقدّم بنا قليلا
 الى هذه القرية التي هي منا على غلوة وهي الغاضرية أو هذه الاخرى التي
 تسمى السقبة فنزل في احديهما قال الحرّ ان الامير كتب اليّ ان أحلك على
 غير ماء ولا بد من الانتهاء الى أمره فقال زهير بن القين للحسين بأبي وأمي
 يا ابن رسول الله والله لو لم يأتنا غير هؤلاء لكان لنا فيهم كفاية فكيف بمن
 سيأتينا من غيرهم فهلّم بنا نأجز هؤلاء فان قتال هؤلاء أيسر علينا من قتال
 من يأتينا من غيرهم قل الحسين عليه السلام فاني أكره أن أبدأهم بقتال
 حتى يبدوونا فقال له زهير فها هنا قرية بالقرب منا على شطّ الفرات وهي في
 عاقول حصينة . الفرات يُحْدَقُ بها الا من وجه واحد قال الحسين وما اسم
 تلك القرية قال العقر قال الحسين نعوذ بالله من العقر فقال الحسين للحرّ سير بنا
 قليلا ثم نزل فصار معه حتى أتوا كربلاء فوقف الحرّ وأصحابه امام الحسين
 ومنعهم من المسير وقال انزل بهذا المكان فالفرات منك قريب قال الحسين
 وما اسم هذا المكان قالوا له كربلاء قال ذات كرب وبلاء ولقد مرّ أبي
 بهذا المكان عند مسيره الى صفين وأنا معه فوقف فسأل عنه فأخبر باسمه
 فقال ها هنا محطّ ركابهم وها هنا مهراق دماهم فسئل عن ذلك فقال ثقّل

لآل محمد ينزلون ها هنا ثم أمر الحسين بأثقاله فحطت بذلك المكان يوم
الاربعاء غرة المحرم من سنة احدى وستين وقتل بعد ذلك بعشرة أيام وكان
قتله يوم عاشوراء

(مقتل الحسين)

فلما كان اليوم الثاني من نزوله كربلاء وافاه عمر بن سعد في أربعة آلاف
فارس وكانت قصة خروج عمر بن سعد ان عبيد الله بن زياد ولأه الرى
وشر دستي والديلم وكتب له عهده عليها فمسكر للمسير اليها فحدث أمر
الحسين فأمره ابن زياد أن يسير الى محاربة الحسين فاذا فرغ منه سار الى
ولايته فلما عمر بن سعد على ابن زياد وكره محاربة الحسين فقال له ابن زياد
فاردد علينا عهدنا قال فأسير اذا فسار في أصحابه أولئك الذين ندبوا معه الى
الرى ودستى حتى وافى الحسين وانضم اليه الحر بن يزيد فيمن معه ثم قال عمر
ابن سعد لقرّة بن سفيان الحنظلي انطلق الى الحسين فسله ما أقدمك فأناه فأبلغه
فقال الحسين أبلغه عنى ان أهل هذا المصر كتبوا الى يذكرون ألا امام لهم
ويستلونى القدوم عليهم فوثقت بهم فقدروا بي بعد ان بايعنى منهم ثمانية
عشر الف رجل فلما دنوت فعلت غرور ما كتبوا به الى أردت الانصراف
الى حيث منه أقبلت فمنعنى الحر بن يزيد وسار حتى جمع بي فى هذا
المكان ولى بك قرابة قريبة ورحم ماسة فأطلقنى حتى أنصرف فرجع قرّة
الى عمر بن سعد بجواب الحسين بن على فقال عمر الحمد لله والله انى لارجو
أن أعفى عن محاربة الحسين ثم كتب الى ابن زياد يخبره بذلك فلما وصل

كتابه الى ابن زياد كتب اليه في جوابه قد فهمت كتابك فاعرض على
 الحسين البيعة ليزيد فاذا بايع في جميع من معه فاعلني ذلك ليأتيك رأي فلما
 انتهى كتابه الى عمر بن سعد قال ما أحسب ابن زياد يريد العافية فأرسل
 عمر بن سعد بكتاب ابن زياد الى الحسين فقال الحسين للرسول لا أُجيب ابن
 زياد الى ذلك أبدا فهل هو الا الموت فرحبا به فكتب عمر بن سعد الى ابن
 زياد بذلك فغضب فخرج بجميع أصحابه الى النخيلة ثم وجه الحصين بن نمير
 وحجار بن أبجر وشبث بن ربعي وشمير بن ذى الجوشن ايعاونوا عمر بن سعد
 على أمره فأما شمير فنقد لما وجهه له وأما شبث فاعتل بمرض فقال له ابن
 زياد أنتماض ان كنت في طاعتنا فخرج الى قتال عدونا فلما سمع شبث ذلك
 خرج وجه أيضا الحارث بن يزيد بن رويم . قالوا وكان ابن زياد اذا وجه
 الرجل الى قتال الحسين في الجمع الكثير يصلون الى كربلاء ولم يبق منهم الا
 القليل كانوا يكرهون قتال الحسين فيرتدعون ويتخانون فبعث ابن زياد سرّيد
 ابن عبد الرحمن المنقرى في خيل الى الكوفة وأمره أن يطوف بها فن وجده
 قد تخاف أناه به فيينا هو يطوف في أحياء الكوفة اذ وجد رجلا من أهل
 الشام قد كان قدم الكوفة في طلب ميرث له فأرسل به الى ابن زياد فأمر
 به فضربت عنقه فلما رأى الناس ذلك خرجوا . قالوا وورد كتاب ابن زياد
 على عمر بن سعد أن ائمن الحسين وأصحابه الماء فلا يذوقوا منه حبة كما فعلوا
 بالتقى عثمان بن عفان فلما ورد على عمر بن سعد ذلك أمر عمرو بن الحجاج
 أن يسير في خمسمائة راكب فينيخ على الشريعة ويجولوا بين الحسين

وأصحابه وبين الماء وذلك قبل مقتله بثلاثة أيام فكث أصحاب الحسين عطاشي . قالوا ولما اشتد بالحسين وأصحابه العطش أمر أخاه العباس بن علي وكانت أمه من بني عامر بن صعصعة أن يمضي في ثلاثين فارسا وعشرين راجلا مع كل رجل قربة حتى يأتوا الماء فيحاربوا من حال بينهم وبينه فمضى العباس نحو الماء واما مهم نافع بن هلال حتى دنوا من الشريعة فمنعهم عمرو ابن الحجاج فجالدهم العباس على الشريعة بمن معه حتى أزالوهم عنها واقحم رجالة الحسين الماء فملثوا قربهم ووقف العباس في أصحابه يذبون عنهم حتى أوصلوا الماء الى عسكر الحسين ثم ان ابن زياد كتب الى عمر بن سعد . أما بعد فاني لم أبعثك الى الحسين لتطاوله الايام ولا تمنيه السلامة والبقاء ولا لتكون شفيعه الي فاعرض عليه وعلى أصحابه النزول على حكمي فان أجابوك فابعث به وبأصحابه الي وان أبوا فازحف اليه فانه عاق شاق فان لم تفعل فاعتزل جندنا واخل بين شمر بن ذي الجوشن وبين العسكر فانا قد أمرناه بأمرنا فنأدى عمر بن سعد في أصحابه أن انهدوا الى القوم قهض اليهم عشية الخميس وليلة الجمعة لتسع ليال خلون من المحرم فسألهم الحسين تأخير الحرب الى غد فأجابوه قالوا وأمر الحسين أصحابه أن يضموا مصاربهم بعضهم من بعض ويكونوا امام البيوت وان يحضروا من وراء البيوت أخذوا وان يضرموا فيه حطبا وقصبا كثيرا لئلا يأتوا من أديار البيوت فيدخلوها . قالوا ولما صلى عمر بن سعد الغداة نهض بأصحابه وعلى ميمنته عمرو بن الحجاج وعلى ميسرته شمر بن ذي الجوشن واسم شمر شرحبيل بن عمرو بن معاوية من

آل الوَحِيد من بنى عامر بن صعصعة وعلى الخليل عُروة بن قيس وعلى
الرَّجَالَة شَبَّث بن رَبِيعٍ والرَّايَة يَزِيد مولى عمر بن سعد . وَعَبِيّ الحُسَيْن
عليه السلام أيضا أصحابه وكانوا اثنتين وثلاثين فارسا وأربعين راجلا فجعل
زهير بن القين على ميمنته وحبيب بن مُظْهَر على ميسرته ودفع الرّاية الى
أخيه العباس بن عليّ ثم وقف ووقفوا معه امام البيوت . وانحاز الحرّ بن
يزيد الذي كان جمع بالحسين الى الحسين فقال له قد كان منى الذي كان
وقد أتيتك مُواسيّا لك بنفسى أفترى ذلك لى توبةً مما كان منى قال الحسين
نعم انها لك توبة فابشر فانت الحرّ فى الدنيا وانت الحرّ فى الآخرة ان شاء الله
قالوا ونادى عمر بن سعد مولاه زيدا ان قدّم الرّاية فتقدم بها وشبّت الحرب
فلم يزل أصحاب الحسين يقاتلون ويُقتلون حتى لم يبق معه غير أهل بيته
فكان أول من تقدّم منهم فقاتل عليّ بن الحسين وهو عليّ الاكبر فلم
يزل يقاتل حتى قُتل طعنه مُرّة بن مُنقذ العبدي فصرعه وأخذته السيوف
فقتل ثم قتل عبد الله بن مسلم بن عقيل رماه عمرو بن صبح الصيدواى
فصرعه ثم قُتل عدى بن عبد الله بن جعفر الطيار قتله عمرو بن نهشل التميمي
ثم قتل عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب رماه عبد الله بن عروة الخثعمي
بسهم فقتله ثم قُتل محمد بن عقيل بن أبي طالب رماه لقيط بن ناضر الجهنيّ بسهم
فقتله ثم قُتل القاسم بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب ضربه عمرو بن سعد بن
مُقبل الأسدى ثم قُتل أبو بكر بن الحسن بن عليّ رماه عبد الله بن عُقبة
الغنويّ بسهم فقتله قالوا ولما رأى ذلك العباس بن عليّ قال لآخوته عبد الله

وجعفر وعثمان بنى عليّ عليه وعليهم السلام وأمههم جميعا أم البنين العامرية من آل الوحيد تقدموا بنفسى أتم فحاموا عن سيدكم حتى تموتوا دونه فتقدموا جميعا فصاروا امام الحسين عليه السلام يقونه بوجوههم ونحورهم فحمل هانىء ابن ثويب الحضرميّ على عبد الله بن عليّ فقتله ثم حمل على أخيه جعفر بن عليّ فقتله أيضا ورمى يزيد الاصبحي عثمان بن عليّ بسهم فقتله ثم خرج اليه فاحتز رأسه فأتى به عمر بن سعد فقال له أثبني فقال عمر عليك بأميرك يعنى عبيد الله بن زياد فسله أن يثيبك . وبقى العباس بن عليّ قائما امام الحسين يقاتل دونه ويميل معه حيث مال حتى قتل رحمة الله عليه وبقى الحسين عليه السلام وحده فحمل عليه مالك بن بشر الكنديّ فضربه بالسيف على رأسه وعليه برنس خزّ فقطعه وأفضى السيف الى رأسه فجرحه فألقى الحسين البرنس ودعا بقلنسوة فلبسها ثم اعتمّ بعمامة وجلس فدعا بصبي له صغير فأجلسه في حجره فرماه رجل من بنى أسد وهو في حجر الحسين بمشقص فقتله . وبقى الحسين عليه السلام مليا جالسا ولو شاؤا أن يقتلوه قتلوه غير أن كل قبيلة كانت تتكل على غيرها وتكره الاقدام على قتله وعطش الحسين فدعا بقدر من ماء فلما وضعه في فيه رماه الحصين بن عمير بسهم فدخل فيه وحال بينه وبين شرب الماء فوضع القدر من يده . ولما رأى القوم قد أحجموا عنه قام يتمشى على المسناة نحو الفرات فخالوا بينه وبين الماء فانصرف الى موضعه الذي كان فيه فانتزع له رجل من القوم بسهم فأثبته في عاتقه فنزع عليه السلام السهم وضربه زُرعة بن شريك التميمي بالسيف واتقاه الحسين

بيده فأسرع السيف في يده وحمل عليه سنان بن أوس النخعي فطعنه فسقط
ونزل اليه حولى بن يزيد الأصبحي ليحز رأسه فأرشدت يده فقتل أخيه
شبل بن يزيد فاحتز رأسه فدفعه الى أخيه حولى ثم مال الناس على ذلك
الورس الذي كان أخذه من العير والى ما فى المضارب فانتهبوه ولم ينبج من
أصحاب الحسين عليه السلام وولده وولد أخيه الا ابناه على الأصغر وقد
كان راهق والاعمر وقد كان بلغ أربع سنين . ولم يسلم من أصحابه الا رجلان
أحدهما المرقع بن ثمامة الاسدي بعث به عمر بن سعد الى ابن زياد فسيره
الى الربابة فلم يزل بها حتى هلك يزيد وهرب عبيد الله الى الشام فانصرف
المرقع الى الكوفة والآخر الى لرباب أم سكينه أخذوه بعد قتل الحسين
فأرادوا ضرب عنقه فقال لهم انى عبد ملوك فخلوا سبيله . وبعث عمر بن سعد
برأس الحسين من ساعته الى عبيد الله بن زياد مع حولى بن يزيد الأصبحي
وأقام عمر بن سعد بكر بلاء بعد مقتل الحسين يومين ثم اذن فى الناس
بالرحيل وحملت الرؤوس على أطراف الرماح وكانت اثنى وسبعين رأسا
جاءت هوازن منها باثني عشر وعشرين رأسا وجاءت تميم بسبعة عشر رأسا مع
الحصين بن نمير وجاءت كندة بثلاثة عشر رأسا مع قيس ابن الاشعث
وجاءت بنو أسد بستة رؤوس مع هلال الأعور وجاءت الازد بخمسة
رؤوس مع نعيم بن زهير وجاءت ثقيف باثني عشر رأسا مع الوليد بن
عمر . وأمر عمر بن سعد بحمل نساء الحسين واخواته وبناته وجواريه
وحشمه فى الحامل المستورة على الابل . وكانت بين وفاة رسول الله صلى

الله عليه وسلم وبين قتل الحسين خمسون عاما . قالوا ولما أدخل رأس الحسين عليه السلام على ابن زياد فوضع بين يديه جعل ابن زياد ينكت بالخيزرانة ثنايا الحسين وعنده زيد بن أرقم صاحب رسول الله صلى عليه وسلم فقال له مة ارفع قضيبك عن هذه الثنايا فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلثمها ثم خنقته العبرة فبكى فقال له ابن زياد مة تبكى أبكى الله عينيك والله لولا أنك شيخ قد خرفت لضربت عنقك . قالوا وكانت الرؤوس قد تقدم بها شمر بن ذي الجوشن امام عمر بن سعد قالوا واجتمع أهل الغاضرية فدفنوا أجساد القرم . ورؤى عن حميد بن مسلم قال كان عمر بن سعد لى صديقا فأتته عند منصرفه من قتال الحسين فسألته عن حاله فقال لا تسأل عن حالى فانه ما رجع غائب الى منزله بشر مما رجعت به قطعت القرابة القرية وارتكبت الأمر العظيم . قالوا ثم ان ابن زياد جهز على بن الحسين ومن كان معه من الحرم ووجه بهم الى يزيد بن معاوية مع زحر بن قيس ومحقن بن ثعلبة وشمر بن ذي الجوشن فساروا حتى قدموا الشام ودخلوا على يزيد بن معاوية بمدينة دمشق وأدخل معهم رأس الحسين فرمى بين يديه ثم تكلم شمر بن ذي الجوشن فقال يا أمير المؤمنين ورد علينا هذا فى ثمانية عشر رجلا من أهل بيته وستين رجلا من شيعته فسرنا اليهم فسألناهم النزول على حكم أميرنا عبيد الله بن زياد أو القتال فغدونا عليهم عند شروق الشمس فأحطنا بهم من كل جانب فلما أخذت السيوف منهم مأخذها جعلوا يلوذون الى غير وزر لودان الحمام من الصقور فما كان الا مقدار خرز خروز أو نوم (١٧ - الاخبار)

قَاتِلْ حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى آخِرِهِمْ فَهَاتِيكَ أَجْسَادَهُمْ مَجْرَدَةً وَثِيَابَهُمْ مَرْمَلَةً وَخُدُودَهُمْ
مَعْفَرَةً تَسْفِي عَلَيْهِمُ الرِّيحَ زُورًا رَمِ الْعُقْبَانَ وَوَفُودَهُمُ الرُّخْمَ . فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ
يَزِيدٌ دَمَعَتْ عَيْنُهُ وَقَالَ وَيَعْبُوكُمْ قَدْ كُنْتُ أَرْضَى مِنْ طَاعَتِكُمْ بِدُونِ قَتْلِ الْحُسَيْنِ
لَعَنَ اللَّهُ ابْنَ مَرْجَانَةَ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ صَاحِبَهُ لَعَفَوْتُ عَنْهُ رَحِمَ اللَّهُ أَبَاعِبِدَ اللَّهِ
ثُمَّ نَمَثَلُ

فَلَقُوا هَامًا مِنْ رِجَالِ أَعَزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعْقَى وَأَظْلَمًا

ثُمَّ أَمَرَ بِالنَّوْرِيَّةِ فَأَدْخَلُوا دَارَ نِسَائِهِ . وَكَانَ يَزِيدٌ إِذَا حَضَرَ غَدَاؤُهُ دَعَا عَلَى بَنِي
الْحُسَيْنِ وَأَخَاهُ عُمَرَ فَيَأْكُلَانِ مَعَهُ فَقَالَ ذَاتَ يَوْمٍ لِعُمَرَ بْنِ الْحُسَيْنِ هَلْ تَصَارِعُ
ابْنَ هَذَا يَعْنِي خَالِدًا وَكَانَ مِنْ أَقْرَانِهِ فَقَالَ عُمَرُ بَلِ اعْطِنِي سَيْفًا وَاعْطِهِ سَيْفًا
حَتَّى أَقَاتِلَهُ فَتَنْظُرُ أَيُّنَا أَصْبَرَ فَضَمَّهُ يَزِيدُ إِلَيْهِ وَقَالَ (سِنَّشِنَةُ أَعْرَفَهَا مِنْ أَخْزَمِ)
هَلْ تَلِدُ الْحَيَّةَ إِلَّا حَيَّةً . قَالَ ثُمَّ أَمَرَ بِتَجْهِيزِهِمْ بِأَحْسَنِ جِهَازٍ وَقَالَ لِعَلِيِّ بْنِ
الْحُسَيْنِ انْطَلِقْ مَعَ نِسَائِكَ حَتَّى تَبْتَاعِينَ وَطْنَهُنَّ وَوَجْهَهُ مَعَهُ رِجَالًا فِي ثَلَاثِينَ
فَارِسًا يَسِيرُونَ أَمَامَهُمْ وَيَنْزِلُ حَجْرَةً مِنْهُمْ حَتَّى اتَّمَى بِهِمْ إِلَى الْمَدِينَةِ . قَالُوا
وَإِنْ عَيَّدَ اللَّهُ بِنَ الْحَرِّ نَدَمَ عَلَى تَرْكِهِ اجَابَةَ الْحُسَيْنِ حِينَ دَعَاهُ بِقَصْرِ بَنِي مِقَاتِلَ
إِلَى نَصْرَتِهِ وَقَالَ

فِيَا لَكَ حَسْرَةً مَا دَمْتُ حَيًّا تَرَدَّدَ بَيْنَ حَلْقِي وَالتَّرَاقِي
حُسَيْنٌ حِينَ يُطَلَّبُ بِذَلِكَ نَصْرِي عَلَى أَهْلِ الْعِدَاوَةِ وَالتَّشْقَاقِ
فَمَا أَنْسَى غَدَاةً يَقُولُ حَزْنًا أَتْرَكْنِي وَتُرْزَعُ لِانْطِلَاقِ
فَلَوْ فَلَقَ التَّلْهُفَ قَلْبَ حَيٍّ لَهْمُ الْقَلْبِ مِنِّي بِانْفِلَاقِ

ثم مضى نحو أرض الجبل مغاضبا لابن زياد واتبعه أناس من صعاليك الكوفة
قالوا وان ابن الزبير لما سار الى مكة وخرج الحسين عنها سائرا الى الكوفة
كان يقول انى فى الطاعة غير أنى لا أباع أحدا وأنا مستجير بالبيت الحرام
فبعث اليه يزيد بن معاوية رجلا فى عشرة نفر من جرسه وقال انطلق فانظر
ما عنده فان كان فى الطاعة فخذ به بالبيعة وان أبى فضع فى عنقه جامعة واتتى به
فلما قدم الحرسى عليه وأخبره بما أتاه فيه تمثل ابن الزبير

ما إن ألين لغير الحق أسأله حتى يلين لضر من الماخذ الحجر

وقال للحرسى انصرف الى صاحبك فاعلمه انى لا أجيبه الى شىء مما يسألنى
قال الحرسى ألست فى الطاعة قال بلى غير أنى لا أمكنك من نفسى ولا
أكاد . فانصرف الحرسى الى يزيد فأخبره بذلك فوجه يزيد بعشرة نفر من
أشراف أهل الشام فيهم النعمان بن بشير وعبد الله بن عَصَاة الاشعري وكان
له صلاح ومسلم بن عقبة لعنه الله فقال لهم انطلقوا فادعوه الى الطاعة والجماعة
واعلموه أن أحب الامور الى ما فيه السلامة . فساروا حتى وافوا مكة ودخلوا
على ابن الزبير فى المسجد فدعوه الى الطاعة وسألوه البيعة فقال ابن الزبير لابن
عَصَاة أتستحل قتالى فى هذا الحرم قال نعم إن أنت لم تجب الى طاعة أمير
المؤمنين قال ابن الزبير وتستحل قتل هذه الحمامة وأشار الى حمامة من حمام
المسجد فأخذ بن عَصَاة قوسه وفوق فيها سهما فبوأه نحو الحمامة ثم قال يا حمامة
أتعصين أمير المؤمنين والتفت الى ابن الزبير وقال أما أنها لو قالت نعم لقتلتها
وان ابن الزبير خلا بالنعمان بن بشير فقال أنشدك الله أنا أفضل عندك أم يزيد

فقال بل أنت فقال فوالدي خير أم والده قال بل والدك قال فأمي خير أم
 أمه قال بل أمك قال فخالتي خير أم خالته قال بل خالتك قال فعمتي خير أم
 عمته قال بل عمتك أبوك الزبير وأمك أسماء ابنة أبي بكر وخالتك عائشة
 وعمتك خديجة بنت خويلد قال أفتشير علي بمبايعة يزيد قال نعمان أما إذا
 استشرتني فلا أرى لك ذلك ولست بعائد إليك بعد هذا أبدا . ثم ان القوم
 انصرفوا الى الشام فأعلموا يزيد أن ابن الزبير لم يُجب الى شيء وقال مسلم بن
 عقبة المرّي ليزيد يا أمير المؤمنين ان ابن الزبير خلا بالنعمان بن بشير فكلمه
 بشيء لم ندر ما هو وقد انصرف اليك بغير رأيه الذي خرج من عندك

(خلاف ابن الزبير)

ولما انصرف القوم من عند ابن الزبير جمع ابن الزبير اليه وجوه أهل
 تهامة والحجاز فدعاهم الى بيعته فبايعوه جميعا وامتنع عليه عبد الله بن عباس
 ومحمد بن الحنفية وان ابن الزبير أمر بطرد عمّال يزيد من مكة والمدينة وارتحل
 مروان من المدينة بولده وأهل بيته حتى لحق بالشام . ولما انتهى الى يزيد بن
 معاوية مبايعة أهل تهامة والحجاز لعبد الله ابن الزبير ندب له الحصين بن نمير
 السكوني وحبيش بن دُلجة التميمي وروح بن زنباع الجذامي وضم الى كل واحد
 منهم جيشا واستعمل عليهم جميعا مسلم بن عقبة المرّي وجعله أمير الأمراء
 وشيّعهم حتى بلغ ماء يقال له وَبْرَة وهي أقرب مياه الشام الى الحجاز فلما ودّعهم
 قال يا مسلم لا تردن أهل الشام عن شيء يريدونه بعدوهم واجعل طريقك
 على المدينة فان حاربوك فحاربهم فان ظفرت بهم فانهبها ثلاثة أيام ثم

أنشأ يقول

أبلغ أبا بكر إذا الخيل انبرى وسارت الخيل الى وادى القرى
اجمع سكان من الخمرى

وذلك ان ابن الزبير كان يسمى يزيد السكران ولما بلغ أهل المدينة فصول
الجيش تأهبوا للحرب فولت قريش عليها عبد الله ابن مطيع العدوى
وولت الانصار عليها عبد الله بن حنظلة الراهب وهو غسيل الملائكة ثم
خرجوا الى الحرّة فمكروا بها ففى ذلك يقول شاعرهم

ان فى الخندق المكلل بالمجد لضربا يفور بالسنوات
لست منا وليس خالك منا يامضيع الصلاة للشهوات

وواقاهم الجيش ققاتلوم حتى كثرت القتلى وأقبلت طائفة من أهل الشام
فدخلوا المدينة من قبل بنى حارثة وهم الذين قالوا ان بيوتنا عورة فلم يشعر
القوم وهم يقاتلون من يليهم الا وأهل الشام يضربونهم من أدبارهم فقتل
عبد الله بن حنظلة أمير الانصار وقتل عمرو بن حزم الانصارى قاضى
المدينة واستباح أهل الشام المدينة ثلاثة أيام بلياليها فلما كان اليوم الرابع
جلس مسلم بن عقبة فدعاهم الى البيعة فكان أول من أتاه يزيد بن عبد
الله بن ربيعة بن الاسود وجدته أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فقال
له مسلم بايعنى قال أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فقال
مسلم بل بايع على انكم فى لامير المؤمنين يفعل فى أموالكم وذراريكم
ما يشاء فأبى أن يبايع على ذلك فأمر به فضربت عنقه . ثم تقدم محمد بن أبى

الجهم بن حذيفة العدويّ فقال له مسلم أنت الذي وفدتَ على أمير المؤمنين يزيد فأكرمك وحباك فرجعت الى المدينة تشهد عليه بشرب الخمر والله لا تشهد بشهادة زور أبدا اضربوا عنقه فضربت عنقه . ثم تقدم معقل بن سنان الأشجعيّ وكان حليفاً لبني هاشم فقال له مسلم أتذكر يوماً مررت بي بطبرية فقلتُ لك من أين أقبلتَ فقلتَ سرنا شهراً وانضينا ظهراً ورجعنا صفراً وسنأتى المدينة فنخلع الفاسق يزيد بن معاوية ونبايع رجلاً من أولاد المهاجرين فاعلم انى كنتُ آليتُ ذلك اليوم ألا أقدر عليك في موطن يمكننى فيه قتلك إلا قتلتك وقد أمكنتنى الله منك يا أحق ما أشجعُ والخلافة فتعزّل وتولى اضربوا عنقه فضربت عنقه . ثم تقدم عمرو بن عثمان فقال له أنت الخيث بن الطيب الذي اذا ظهر أهل الشام قلتَ أنا ابن عثمان بن عفان واذا ظهر أهل الحجاز قلتَ أنا واحد منكم وأنت في ذلك تبغى أمير المؤمنين الغوائل اتنفوه فتفتت لحيته حتى ماتركت فيها شعرة فقام اليه عبد الملك بن مروان فاستوهبه فوهبه له . ثم أتاه عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب فأجلسه معه على ثيابه وفرشه وقال ان أمير المؤمنين قد وصانى بك فقال عليّ انى كنتُ لما فعل أهل المدينة كارها قال أجل ثم حمّله على بغلة وصرفه الى منزله . وبعث الى عليّ بن عبد الله بن عباس ليؤتى به للبيعة فأخرج من منزله فاقبلوا به فلقية الحصين بن نمير فانتزعه من يد الجلاوزة وكان الحصين من اخوان عليّ بن عبد الله فقال مسلم انى انما بعثت اليه للبيعة فأنتى به فأرسل اليه الحصين فجاء حتى بايع . وأرسلت بنت الأشعث بن قيس وكانت امرأة

الحسين بن عليّ الى مسلم بن عقبة تعلمه أن منزلها انهب فأمر برد جميع ما أخذ لها . ثم شخص بالجيش الى مكة وكتب الى يزيد بما صنع بالمدينة فتمثل يزيد

ليت أشياخي يدر شهدوا جزع الخزر ج من وقع الأسل
حين حكّت بقاء بركا واستحرّ القتل في عبد الأشل

فلما بلغ ابن عقبة هرشا اعتلّ واشتدت علته ونزل به الموت فقال أسندوني فأسد وقال ان أمير المؤمنين أمرني إن حدث بي في وجهي هذا حدثت أن أستخلف الحصين بن نمير على الجيش ولو كان الأمر اليّ ما استخلفته لان من شان اليمانية الرقة غير اني لأعصى أمير المؤمنين . ثم قال يا حصين اذا وافيت مكة فناجز ابن الزبير الحرب من يومك ولا تردّ أهل الشام عن شئ يريدونه بعدوهم ولا تجعل أذنك وعاء لقريش فيخدعوك ثم مات وكانت به الذبحة فتولى أمر الجيش الحصين بن نمير فسار حتى وافي مكة وتمحصن منه ابن الزبير في المسجد الحرام في جميع من كان معه ونصب الحصين المجانيق على جبل أبي قيس وكانوا يرمون أهل المسجد فينأهم كذلك اذ ورد على الحصين بن نمير موت يزيد بن معاوية فأرسل الى عبد الله بن الزبير ان الذي وجهنا لمحاربتك قد هلك فهل لك في المودعة وتفتح لنا الأبواب فنطوف بالبيت ويختلط الناس بعضهم ببعض فقبل ذلك ابن الزبير وأمر بأبواب المسجد ففتحت فجعل الحصين وأصحابه يطوفون بالبيت فينا الحصين يطوف بعد العشاء اذ استقبله ابن الزبير فأخذ الحصين

بيده فقال له سرا هل لك في الخروج معي الى الشام فأدعو الناس الى بيعتك فان أمرهم قد مرج ولا أرى أحدا أحق بها اليوم منك واست أعصى هناك فاجتذب عبد الله بن الزبير يده من يده وقال وهو يجهر بقوله دون أن أقتل بكل رجل من أهل الحجاز عشرة من أهل الشام فقال الحصين لقد كذب من زعم انك من دهاة العرب أكلمك سرا وتكلمني علانية وأدعوك الى الخلافة وتدعوني الى الحرب ثم انصرف في أصحابه الى الشام ومرّ بالمدينة فبلغه انهم على محاربه تانيا فجمع اليه أهلها وقال ما هذا الذي بلغني عنكم فاعتذروا اليه وقالوا ما همنا بذلك . وذكر أبو هارون العبدى قال رأيتُ أبا سعيد الخدرى بالمدينة ولحيته بيضاء وقد خف جانبها وبتى وسطها فقلت يا أبا سعيد ما حال لحيتك فقال هذا فعل ظلمة أهل الشام يوم الحرّة دخلوا على بيتى فانتهبوا ما فيه حتى أخذوا قدحى الذى كنت أشرب فيه الماء ثم خرجوا ودخل دلى بعدهم عشرة نفر وأنا قائم أصلى فطلبوا البيت فلم يجدوا فيه شيئا فأسفوا لذلك فاحتملوني من مصلاى وضربوا بى لأرض وأقل كلّ رجل منهم على ما يليه من لحيتى ففتفه فما ترى منها خفيفا فهو موضع التنف وما تراه عافيا فهو ما وقع فى اتراب فلم يصلوا اليها وسأدعها كما ترى حتى أوفى بها ربى .

(أمر الخوارج)

قالوا وفي سنة ثمانين تقام أمر الازارقة الخوارج وانما سموا ازارقة برئيسهم نافع بن الازرق وكان أول خروجهم فى أربعين رجلا وفيهم من عظمائهم

نافع بن الازرق وعطية بن الأسود وعبد الله بن صبار وعبد الله بن أباض
 وحنظلة بن يهس وعبيد الله بن ماحوز وذلك في سلطان يزيد وعلى البصرة
 يومئذ عبيد الله بن زياد فوجه اليهم عبيد الله أسلم بن ربيعة في ألقى فارس
 فلحقهم بقرية من الاهواز تدعى آسك مما يلي فارس فواقهم فقتلت الخوارج
 من أصحاب ابن ربيعة خمسين رجلا فانهزم أسلم فأنشأ رجل من الخوارج يقول

أَلْفًا مَوْمِنٍ مِنْكُمْ زَعَمْتُمْ وَيَهْزِمُكُمْ بِآسَكٍ أَرْبَعُونَ
 كَذَبْتُمْ لَيْسَ ذَاكَ كَمَا زَعَمْتُمْ وَلَكِنَّ الْخَوَارِجَ مَوْمِنُونَ
 هُمُ الْفِتْنَةُ الْقَلِيلَةُ قَدْ عَلِمْتُمْ عَلَى الْفِتْنَةِ الْكَثِيرَةَ يُنْصَرُونَ
 أَطْعَمْتُمْ أَمْرَ جَبَّارٍ عَنِيدٍ وَمَا مِنْ طَاعَةِ لِلظَّالِمِينَ

فاغتاظ ابن زياد من ذلك فكان لا يدع بالبصرة أحدا ممن يتهم برأى
 الخوارج الا قتله حتى قتل بالتهمة والظنة تسعمائة رجل . ولم يزل يتفاهم أمر
 الخوارج ويتحلب اليهم من كان على رأيهم وهوأهم من أهل البصرة حتى
 كثروا بعد موت يزيد وهرب عبيد الله بن زياد عن العراق وخاف أهل
 البصرة الخوارج على أنفسهم ولم يكن يؤمئذ عليهم سلطان فاجتمعوا على
 مسلم بن عبيس القرشي ووجهوا معه خمسة آلاف فارس من أبطال البصرة
 فسار اليهم فلحقهم بمكان يسمى الدُّوْلَاب فالتقوا واقتلوا وصبر بعضهم لبعض
 حتى تكسرت الرماح وتقطعت السيوف وصاروا الى المكادمة فقتل مسلم
 ابن عبيس وانهزم أصحابه فقال رجل من الازد

قَدْ رَمَيْنَا الْعَدُوَّ إِذْ عَظُمَ الْخَطْبُ بِذِي الْجَوْدِ مُسْلِمَ بْنَ عَيْسٍ

فانظروا غير مسلم بن عيسى فاطلبوه من حيث أين وليس
 لو زموا بالمهلب بن أبي صفرة كانوا له كالكلة حين
 وكان المهلب يومئذ بخراسان على ولايتها فخاف أهل البصرة حين قتل مسلم
 ابن عيسى خوفا شديدا من الخوارج فاخاروا عثمان ابن معمر القرشي
 وانتدب معه زهاء عشرة آلاف رجل من أبطالهم فسار بهم عثمان في طلب
 الخوارج فلحقهم بفارس فاقتلوا قتل عثمان وانهزم أصحابه فكتب أهل
 البصرة الى عبد الله بن الزبير يعلمونه أن لا امام لهم ويسألونه أن يوجه اليهم
 رجلا من قبله يتولى الأمر فوجه اليهم الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة
 المخزومي فقدم البصرة وتولى الامر بها فدعا وجه أهل البصرة فاستشارهم
 في رجل يوليه حرب الخوارج فكلهم قالوا عليك بالمهلب بن أبي صفرة وقام
 اليه رجل من أهل البصرة يعرف بابن عرادة فأنشده

مضى ابن عيسى مسلم لسبيله فقام لها الشيخ الحجازي عثمان
 فازعد من قبل اللقاء ابن معمر وأبرق والبرق الحجازي خوآن
 ولم يترك عثمان جناح بعوضة وأضحى عدو الدين مثل الذي كانوا
 وليس لها إلا المهلب أنه تولى بأمر الحرب شيخ له شان
 اذا قيل من يحيى العراقين أومات اليه معدة بالأ كفت وقحطان
 فذاك أمر أن يلقمهم يطف نارهم وليس لها إلا المهلب انسان

(حرب المهلب مع الخوارج)

قال الأحنف بن قيس للحارث بن عبد الله أيها الامير اكتب الى

أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير وسله أن يكتب الى المهلب بأن يخلف على
 خراسان رجلا ويسير الى الخوارج فيتولى محاربتهم فكتب فلما انتهى كتابه
 الى عبد الله بن الزبير كتب الى المهلب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله
 عبد الله أمير المؤمنين الى المهلب بن أبي صفرة أما بعد فان الحارث بن عبد
 الله كتب اليّ يخبرني أن الازارقة المارقة قد سُعرت نارها وتفاقم أمرها
 فرأيت ان أوليك قتالهم لما رجوت من قيامك فتكني أهل مصرك شرم
 وتو من روعتهم فخلف بخراسان من يقوم مقامك من أهل بيتك وسرحتي
 توافي البصرة فتستعدّ منها بأفضل عدتك وتخرج اليهم فاني أرجو أن ينصرك
 الله عليهم والسلام . فلما وصل كتابه الى المهلب خلف على خراسان وأقبل
 حتى وافى البصرة فصعد المنبر وكان نزر الكلام وجيزه فقال أيها الناس انه
 قد غشيم عدوّ جاهد يسفك دماءكم وينتهب أموالكم فان أعطيتموني خصالا
 اسألكموها قت لكم بحربهم واستعنت بالله عليهم والا كنت كواحد منكم
 لمن تجتمعون عليه في أمركم قالوا وما الذي تريد قال انتخب منكم أوساطكم
 لا الغنيّ المتقل ولا السبوت المخفّ وعلىّ أن لي ما غلبت عليه من الارض
 والاّ أخالف فيما أدبر من رأيي في حربهم واترك رأبي الذي أراه وتدبيرى
 الذي أدبره فناداه الناس لك ذلك وقد رضينا به فنزل من المنبر وأتى منزله
 وأمر بديوان الجند فأحضر فانتخب من أبطال أهل البصرة عشرين ألف
 رجل فيهم من الازد ثمانية آلاف رجل وبقيتهم من سائر العرب وولى ابنه
 المغيرة مقدمته في ثلاثة آلاف رجل وسار حتى أتى الخوارج وهم بنهر نُستر

فواقعهم فهزمنهم حتى بلغوا الاهواز فقال زياد الاعجم في ذلك

جزى الله خيرا والجزاء بكفه
ولما رأينا الأمر قد جدَّ جدُّه
دعونا أبا غسان فاستكَّ سمعه
وكان ابن منجوف لكل عظمة
فلما رأينا القوم قد كلَّ حدُّهم
وأقام المهلب بالجسر بعد أن هزم الخوارج أربعين يوما ثم ارتحل سائرا في
آثارهم فبلغ ذلك نافع بن الأزرق فأقام بالاهواز حتى وافاه المهلب فواقعهم
بمكان يسمى بسلى فقاتلهم يوما الى الليل واصابته ضربة في وجهه أغمى عليه
منها فقال الناس قتل الأمير فازدادوا لذلك حنقا وجدا وقتلوا من الخوارج
بشرا كثيرا وقتل رئيسهم نافع بن الأزرق وانهزمت الخوارج نحو فارس
و بلغ أهل البصرة ان المهلب قتل فرج المصر بأهله وهم أميرهم الحارث بن
أبي ربيعة أن يهرب فكتب اليه رجل من بني يشكر

أيا حاريا بن السادة الصيد هب لنا
فان كان أودى بالمهلب يومه
وما لك من بعد المهلب عرجة
فدونك فالحق بالحجاز ولا تم
وان كان حيا كنت بالمصر آمنا
مقامك لا ترحل ولم يأتك الخبر
فقد كسفت في أرضنا الشمس والقمر
وما لك بالمصريين سمع ولا بصر
يبلدتنا ان المقام بها خطر
وكان بقاء المرء فينا هو الظفر

وقال رجل من بني سعد

الا كل ما يأتي من الأمر هين
فان يك قد أودى فأنحن بعده
نعوذ بمن أرسى ثبيراً مكانه
من الخبر الملقى عن الحور خدرها
علينا يسير عند فقد المهلب
بأمنع من شاء عجايف لأذوب
ومرسى حراء والقديد وككب
ويشجى به ما بين بصرى ويثرب
فأقبل البشير الى أهل البصرة بسلامة المهلب فاستبشروا بذلك واطأوا اليه
وأقام أميرها بعد ان هم بالهرب فقال رجل من بني ضبة

ان رباً أنجى المهلب ذا الطور
ل لأهل أن تحمدوه كثيراً
لا يزال المهلب بن أبي صفرة
ما عاش بالعراق أميراً
فاذا مات فالرجال نساء
ما يساوي من بعده قطميرا
قد آمننا بك العدو على المصر
ووقرت منبراً وسريرا

وقال رجل من الخوارج في قتل نافع بن الأزرق

سَمَتَ المهلب والحواشي جمّة
ان مات غير مدهن في دينه
والموت أمر لا محالة واقع
فتن منينا بالمهلب انه
ولله يشجى بنا ولعلنا
بالسمر تختطف النفوس ذوابلاً
فيديقنا في حربنا ونديقه
والشامتون بنافع بن الأزرق
ومتى يمر بذكر نار يصعق
من لا يصبحه نهراً يطرق
لاخوالحروب وليث أهل المشرق
نشجى به في كل ما قد نلتقى
وبكل أبيض صارم ذي رونق
كل مقاتله لصاحبه ذق

وبلغ عبد الله بن الزبير ما كان من عزم عامله بالبصرة على الهرب فعزله

وولى أخاه مصعبا فصار مصعب حتى قدمها وتولى أمر جميع العراقيين وفارس
 والأهواز . ولما قتل نافع بن الأزرق اجتمعت الخوارج فولوا على أنفسهم
 عبد الله بن ماحوز وكان من نساكهم وبلغ ذلك المهلب فصار من الأهواز
 في طلبهم حتى وافاهم بمدينة سابور من أرض فارس فالتقوا فقتلوا وانهزمت
 الخوارج في آخر النهار حتى انتهوا الى مكان يدعى كركان واتبعهم المهلب
 فوافهم فالتقوا به في يوم شديد المطر فقاتلهم فهزهم فأخذوا نحو كرمان
 فلم يزل المهلب يسير في طلبهم من بلد الى بلد ويواقعهم وقعة بعد وقعة
 طول ما ملك عبد الله بن الزبير الى مقتله وخلص الأمر لعبد الملك بن
 مروان فلما استدف الأمر لعبد الملك وولى الحجاج العراقيين استبطأ المهلب
 في استئصال الخوارج وظن انه يهوى مطاولتهم فبعث اليه عبد الأعلى
 ابن عبد الله العامريّ وعبد الرحمن بن سبرة وقال لهما احملاه على مناجزة
 القوم وترك مطاولتهم فقدا عليه فأخبراه بما بعثا له فقال لهما أقبا حتى تعابنا
 ما نحن فيه فان الحجاج أتاه السماع قبله وأتاه العيان فردّه وقد حملني
 على خلاف الرأي وزعم انه الشاهد وأنا الغائب . ثم سار نحو الخوارج
 فلحقهم بأداني أرض كرمان فواقعهم وأمامه ابنه المفضل فقتل رئيس الخوارج
 عبد الله بن ماحوز وانهزموا حتى توسطوا أرض كرمان وولوا على أنفسهم
 رجلا من نساكهم يسمى قطريّ بن الفجاءة . ثم ان المهلب انصرف الى
 بلد سابور فوافاهم يوم النحر فخرج بالناس الى المصلى فينا هو يخطب الناس
 على المنبر وقد صلى بهم اذ أقبلت الخوارج فقال سبحان الله أفى مثل هذا

اليوم يأتوننا ما أبغض الى المحاربة فيه ولكن الله تعالى يقول (الشهر الحرام
بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه) ثم نزل
عن المنبر ونادى في أصحابه فركبوا واستلثموا واستقبلوا الخوارج فحملت
عليهم الخوارج وامامهم عظيم منهم يسمى عمرو والقنا وكان من فرسانهم
وهو يرتجز .

نحن صبحنا كم غداة النحر بانليل أمثال الوشيح تسرى
يقدمها عمرو والقنا في الفجر الى أناس لهجوا بالكفر

اليوم أفضى في العدو نذرى

ثم اقتلوا وصبر بعضهم لبعض وكثرت بينهم القتلى فلم يرل فريق منهما على
مكانه حتى حال بينهم الليل وانحازت الخوارج الى كازرون وسار اليهم المهلب
فواقمهم بكازرون فأسرع المهلب في الخوارج فرقوا في تلك الوقعة وصاروا
سيارة وخرجوا الى تخوم اصطخر واتبعهم المهلب فتواقف الفريقان وحمل
بعضهم الى بعض وأمام الخوارج رجل يرتجز

حتى متى يتبعنا المهلب ليس لنا في الارض منه مهرب

ولا السماء أين أين المذهب

فلما سمع قطري ذلك بكى ووطن نفسه على الموت وباشر الحرب بنفسه
وهو يرتجز

حتى متى تخطئني الشهادة والموت في أعناقنا قلاده

ليس الفرار في الوغى بماده يارب زدني في التقى عباده

وفي الحياة بعدها زهاده

فاقتلوا يومهم حتى حال بينهم الليل ومضى قطرى في أصحابه نحو جيرفت
وهم بالهرب الى كرمان قتال رجل من أصحابه

أيا قطرى الخيران كنت هاربا ستلبسنا عارا وأنت مهاجر

إذا قيل قد جاء المهلب أسلمت له شفتاك الفم والقلب طائر

فحتى متى هذا الفرار مخافة وأنت ولي والمهلب كافر

ولما رأت الخوارج نكول قطرى عن الحرب وما هم به من الفرار خلعوه

عنهم وولوا عبد ربه وكان من نساكهم فسار بهم الى قومن فأقام بها .

وان الحجاج كتب الى المهلب . أما بعد فقد طاولت القوم وطاولوك حتى

ضروا بك ومروا على حربك ولعمري لو لم تطاولهم لأنحسم الداء وانفصم

القرن وما أنت والقوم سواء ان خلفك رجالا وأموالا والقوم لارجال لهم ولا

أموال ولن يدرك الوجيف بالديب ولا الجد بالتعذير وقد بعث اليك عبيد

ابن موهب ليأخذك بمناجزة القوم وترك مطاولتهم والسلام . فلما قدم عبيد

ابن موهب على المهلب بكتاب الحجاج كتب اليه في جوابه . أما بعد فإنه أتاني

من قبلك رجلان لم أعطهما على الصدق ثمتا ولم أحتج مع العيان الى التعذير

ولم يكذبا فيما أنبأك به من أمرى وأمر عدوى والحرب لا يدركها الا المكيث

ولا بد لها من فرجة يسترى فيها الغالب ويحتال فيها المغلوب فاما ان أنساهم

وينسنوني فبهات من ذلك والقوم سداً فان طمعوا أقاموا وان يئسوا هربوا

فعلى في مقامهم القتال والحرب وفي هربهم الجد والطلب وأنا اذا طاولتهم

شركتهم في رأيهم واذا عاجلتهم شركوني في رأيي فان خليتني ورأيي فذاك
 داء محسوم وقرن مفصوم وان عجلتني لم أطعك ولم أعصك وكان وجهي
 اليك باذن منك وانا أعوذ بالله من سخط الامراء ومقت الائمة والسلام . فلما
 قرأ الحجاج كتابه كتب الى المهلب اني قد رددت الرأي اليك فدبر ما ترى
 واعمل بما تريد . فلما أتاه كتاب الحجاج بذلك نشط لطلب الخوارج وسار في
 طلبهم الى أرض قومس فهربوا منه فأتوا جيرفت وحصنوا في مدينة هناك
 فخرج خلفهم وحاصرهم في تلك المدينة حتى أكلوا خيلهم وأمر المهلب ابنه
 يزيد أن يقيم عليهم أيما ثم يخلى لهم عن الباب فاذا خرجوا وأصحروا اتبعهم
 وتنحى المهلب فسكر على خمسة فراسخ وأقام عليهم يزيد أيما ثم خلى لهم
 عن الباب فخرجوا واتبعهم المهلب فسار في طلبهم يومين حتى لحقهم فوقفوا له
 فاقتلوا يوما كاه ثم غدوا في اليوم الثاني على الحرب فناداهم عبد ربه يا معشر
 المهاجرين رَوْحوا بنا الى الجنة فان القوم رائحون الى النار فاطعنوا بالرماح حتى
 تكسرت واضطربوا بالسيوف حتى تقطعت ثم صاروا الى المعانقة فترجل
 المهلب في حماه وحمل عليهم وهو يتلوا قول الله عز وجل (وقاتلوهم حتى لا
 تكون فتنة ويكون الدين لله) فم يزالوا يقتلون حتى حال بينهم الليل ثم
 غدوا على الحرب وقد كسرت الخوارج جنون سيوفهم وحلقوا رؤوسهم فاقتلوا
 قتل عبد ربه وجميع أبطاله ولم يبق الا ضعفاؤهم فدخلوا في عسكر المهلب
 وانضم كل رجل الى عشيرته من أصحاب المهلب فنزل المهلب عن فرسه
 وقال الحمد لله الذي ردنا الى الامن وكفانا مؤونة الحرب وكفى أمر هذا

العدو ووجه بشر بن مالك الحرسى الى الحجاج يبشره بالفتح وكتب معه كتاب الظفر فلما وصل الكتاب الى الحجاج وجه به الى عبد الملك وقام بشر بن مالك فأنشأ يقول

قد حسنا داء الازارقة الدهر فاضحوا طرا كآل نمود
بطعان الكماة فى ثغراقو م وضرب يشيب رأس الوليد
كلما شئت راعى قطرى فوق عبل الشوى أقب عتود
معلما يضرب الكتبية بالسيف وعمرو كالنار ذات الوقود

(قدوم المهلب على الحجاج)

وكتب الحجاج الى المهلب يأمره بالقدوم عليه فسار حتى قدم على الحجاج فاستقبله الحجاج وأظهر بره واكرامه وأمر له بالجوائز والصلوات وأمر لولده وكانوا سبعة المغيرة وحبيب ويزيد والمفضل ومدرک ومحمد وعبد الملك وعبد الله وأكرم أصحاب المهلب

(مطاردة قطرى وقتله)

ولحق قطرى بالرى فوجه الحجاج سفیان بن الأبرد حتى أتى الرى وعليها اسحاق بن محمد بن الأشعث فركب معه فى مائة فارس من جنده وسارا حتى لحقاه وهو فى مائة فارس بتخوم طبرستان فنزل عن دابته ونام متوسدا يده ثم استيقظ وقال لعليج من أهلها اتنى بشربة من ماء فاتاه بالماء ولحقه القوم فقتلوه قبل أن يشرب ذلك الماء واحتز رأسه وأخذه سفیان بن الأبرد وانصرف الى الحجاج فرمى بالرأس بين يديه فوجه الحجاج بالرأس

الى عبد الملك .

(ولاية المهلب خراسان ثم ابنه يزيد)

وأقام المهلب بعد انصرافه بالبصرة في منزله حتى وافاه عهده من عند
عبد الملك على خراسان فسار اليها فمكث عليها خمس سنين ثم مات فجعل
عبد الملك أمر خراسان الى الحجاج فأقر الحجاج عليها يزيد بن المهلب وكان
يزيد أجمل ولد المهلب جمالا وأكلمهم عقلا وأفضلهم رأيا وأذربهم لسانا وكان
المهلب استخلفه عليها عند وفاته فمكث عليها أعواما

(ولاية قتيبة بن مسلم خراسان)

ثم عزله الحجاج واستعمل عليها قتيبة بن مسلم فافتتح قتيبة كل ما وراء
النهر ولم يزل هنالك الى ان هاج به أصحابه فقتلوه وأفضى الملك بعد ذلك الى
الوليد بن عبد الملك ثم الى سليمان بن عبد الملك

(ولاية خالد القسرى العراق)

فولى سليمان على العراق خالد بن عبد الله القسرى فولى خالد أخاه أسد
ابن عبد الله خراسان فلم يزل بها حتى ظهر فيها دعاة الامام محمد بن علي بن
عبد الله بن عباس

(الاضطراب في العراق بموت يزيد بن معاوية)

قالوا ومات يزيد بن معاوية وعييد الله بن زياد بالبصرة فكتب اليه
الحارث ابن عباد بن زياد بهذه الايات

ألا يا عبيد الله قدمات من به ملكت رقاب العالمين يزيد

أثبتُ للقوم الذين وترتهم وذاك من الرأي الزنيقِ بعيدُ
 ومالك غيرُ الأزدِ جازةً فانهم أجاروا أباك والبلاذ تيمد
 فتعجب عبيد الله من رأى ابن أخيه وكان ذا رأى ثم ان عبيدالله دعا بمولى
 له يسمى مهران وكان يُعدّل في الدهاء والادب والعقل بورزدان غلام عمرو
 ابن العاص وهو الذي يُنسب اليه البراذين المهرانية فقال يا مهران ان أمير
 المؤمنين يزيد قد هلك فما رأى عندك فقال مهران أيها الأمير ان الناس
 ان ملكوا أنفسهم لم يولوا عليهم أحدا من ولد زياد وانما ملكتم الناس بمعاوية
 ثم يزيد وقد هلكا وانك قد وترت الناس ولست آمن ان يثبوا بك والرأى
 لك أن تستجير هذا الحى من الأزد فانهم ان أجاروك منعرك حتى يبلغوا بك
 مأمناك والرأى أن تبعث الى الحرث بن قيس فانه سيد القوم وهو لك محب
 ولك عنده يد فتخبره بموت يزيد وتسأله أن يجيرك فقال عبيد الله أصبت
 الرأى يا مهران . ثم بعث من ساعته الى الحرث بن قيس فأتاه فأخبره بموت
 يزيد واستشاره فقال المستشار موثمن فان أردت المقام منعناك معاشر الأزد
 وان أردت الاستخفاء اشتملنا عليك حتى يسكن عنك الطلب ويخفى على
 الناس موضعك ثم توجه معك من يبلغك مأمناك فقال عبيد الله هذا أريد
 فقال له الحرث فأنا أقيم عندك الى أن تمسى ويختلط الظلام ثم أنطلق بك
 الى الحى فأقام الحرث عند عبيد الله فلما أمسى واختلط الظلام أمر عبيدالله
 أن توقد الشرج في منزله ليلته كلها ليظن من يطلبه أنه في منزله . ثم قام فلبس
 ثيابه واعتم بعمامته وتلثم فقال له الحرث التلثم بالهارذل وبالليل ريبة فاحسر

عن وجهك وسر خلفي فان المقدّم وقاية المؤخر فسار فقال للحرث تخلل بنا فذاك أبي وأمى الطرق ولا تأخذ بنا طريقا واحدا فاني لا آمن أن يُطلب أثرى فقال لحرث لا بأس عليك ان شاء الله فاطمئن ثم سار هويا فقال للحرث أين نحن قال في بني سليم قال سلمنا ان شاء الله ثم سارا جميعا ساعة فقال أين نحن قال الحرث في بني ناجية قال نجونا ان شاء الله ثم سارا حتى انتهيا الى الأزد واقحم الحارث بعبيد الله دار مسعود بن عمرو وكان رئيس الأزد كلها بعد المهلب بن أبي صفرة وكان المهلب في هذا الوقت بخراسان بعدُ فقال الحرث لمسعود يا ابن عم هذا عبيد الله بن زياد قد آجرتك عليك وعوى قومك قال مسعود أما كنت تريدك يا ابن قيس وعرضتنا لحرب جميع أهل البصرة وقد كنا آجرتنا أباه من قبله فا كانت عنده مكافأة وكان سبب اجارتهم زيادا أن علي بن أبي طالب رضى الله عنه في خلافته رضى زيادا البصرة عند خروجه الى صنين وانما كان يريد بن عبيد فرج. معارية الى البصرة عار بن الحضرمي في جمع فغاب على البصرة وهرب منه زياد فلجأ الى الأزد فأجاروه ومنهم حتى ثاب الناس الى زياد راجتسوا فطرد عامر بن الحضرمي عن البصرة وأقام على عمله فيها . ثم ان مسعود بن عمرو أدخل عبيد الله دار نسائه وأفرده في بيت من بيوته ووكل به امرأتين من خده وجمع اليه قومه فأعلمهم ذلك . ولما أصبح الناس واستحق عندهم الخبر أتوا داره فاقحمه سا ليقتلوه فلم يصادفوا فيها أحدا فانطلقوا الى الحبس فكسروه وأخرجوا من كان فيه وبقى أهل البصرة تسعة أيام بنسیر وال فاتفقوا على

عبد الله بن الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب بن هاشم فولوه
 أمرهم لصلاحه وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فتولى الأمر وقام
 بالتدبير . ولما أتى على عبيد الله أيام وأمن الطلب قال لمسعود بن عمرو والحرث
 ابن قيس ان الناس قد سكنوا ويثسوا منى فاعملا في اخراجي من البصرة
 لألحق الشام فاكتر يا له رجلا من بني يشكر أمينا هاديا بالطريق وحمله
 على ناقة مهربية وقالا للشكري عليك به لا تفارقه حتى توصله الي مأمنه بالشام
 فخرج وخرجا معه مشيعين له في نفر من قومه ثلثة أيام ثم ودعاه وانصرفا
 قال اليشكري فينا نحن نسير ذات ليلة اذ استقبلنا غير واحد يحدو فيها ويقول

ياربَّ ربِّ الارضِ والعباد العنَّ زيادا وبني زيادِ
 كم قتلوا من مسلم عبَّادِ جَمَّ الصلاة خاشعِ الفؤادِ
 يكابد الليلَ من الشَّهادِ

فلما سمع عبيد الله ذلك فزع وقال تُعرِف مكانى فقلت لا تخف فليس كل
 من ذكرك يعلم موضعك ثم سرنا فأطرق طويلا وهو على ناقته فظننت أنه نائم
 فناديته يا نومان فقال ما أنا بنائم ولكني مفكر في أمر قلت انى لأعلم الذى
 كنت مفكرا فيه فقال هاته اذن قلت ندمت على قتلك الحسين بن على
 وفكرت في بنائك القصر الأبيض بالبصرة وما أنفقت عليه من الاموال ثم
 لم يُقضَ لك التمتع به وندمت على ما كان من قتلك الخوارج من أهل
 البصرة بالظنة والتوهم قال عبيد الله ما أصبت يا أخا بني يشكر شيئا مما كنت
 مفكرا فيه أما قتلى الحسين فانه خرج على امام وأمة مجتمعة وكتب إلي الامام

يأمرني بقتله فان كان ذلك خطأ كان لازماً ليزيد وأما بنائى القصر الايض
فما فكرت فى قصر بنيتة للامام بأمره وماله وأما قتلى من قتل من الخوارج
فقد قتلهم قبلى من هو خير منى على بن أبى طالب رضى الله عنه غير أنى
فكرت فى بنى أبى وأولادهم فندمت على تركى اخراجهم من البصرة قبل
وقوع ما وقع وفكرت فى بيوت الاموال بالكوفة والبصرة ألا أكون فرقتها
وبدتها فى الناس عند ما ورد على من وفاة الخليفة فكنت أكتسب بذلك
حدا فى الناس وذكر اقلت فما تريد أن تصنع الآن قال ان وافيت دمشق
وقد اجتمع الناس على امام دخلت فيما دخلوا فيه وان لم يكونوا اجتمعوا على
أحد كانوا غنا قلبتها كيف شئت

(خلافة مروان)

قال فسرنا حتى دخلنا دمشق والناس مختلفون لم يملكوا عليهم أحدا
وقد كان مروان بن الحكمم باللهاق بعبد الله بن الزبير ليابيه ويكون معه
فدخل عبيد الله وعنه فى ذلك وقال أنت سيد قومك وأحق الناس بهذا
الأمر فمد يدك أبايعك فقال له مروان وما تبلغ بيعتك وحدك أخرج الى
الناس وناظرهم فى ذلك فخرج من عنده ولقى جماعة بنى أمية فعنفهم فى ذلك
وفى تخاذلم وحلمهم على بيعة مروان فاجتمعوا فبايعوه وتزوج مروان أم خالد
بنت هاشم بن عتبة التى كانت امرأة يزيد بن معاوية فلما تم ملك مروان بن
الحكم تسعة أشهر قتلته امرأته أم خالد وذلك ان مروان نظر يوما الى ابنها
خالد بن يزيد بن معاوية وهو غلام من أبناء سبع سنين بمشى مشية أنكرها

فقال له ما هذه المشية يا ابن الرطبة فشكى الغلام ذلك الى أمه فقالت له انه
لا يقول بعد هذا فسقته السم
(خلافة عبد الملك)

فلما أحس بالموت جمع بنى أمية وأشرف أهل الشام فبايع لابنه عبد
الملك وامتنع عمرو بن سعيد من البيعة ومات مروان وله ثلاث وستين سنة.
ثم ملك عبد الملك بن مروان سنة ست وستين فخرج عمرو بن سعيد بن
العاص عليه فصار أهل الشام فرقتين فرقة مع عبد الملك وفرقة مع عمرو بن
سعيد فدخلت بنو أمية وأشرف أهل الشام بينهما حتى اصطاحا على أن
يكونا مشتركين في الملك وأن يكون مع كل عامل لعبد الملك شريك لعمرو
ابن سعيد وعلى ان اسم الخلافة لعبد الملك فان مات عبد الملك فاخليفة من
بعده عمرو بن سعيد وكتبوا فيما بينهما بذلك كتابا وأشهدوا عليه أشرف أهل
الشام . وكان رَوْح بن زنباع من أخص الناس بعبد الملك بن مروان فقال له
وقد خلا به يوما يأمر المؤمنين هل من رأيك الوقت لعمر و فقال ويحك يا ابن
زنباع وهل اجتمع فحلان في هجمة قط الاقتل أحدهما صاحبه وكان عمرو
ابن سعيد رحلا معجبا بنفسه متهاونا في أمره مغترا بأعدائه . ثم ان عمرا دخل
على عبد الملك يوما وقد استعدت عبد الملك للغدر به فأمر به فأخذ فاضجع
وذبح ذبحا وانف في بساط وأحس أصحاب عمرو بذلك وهم بالباب فتنادوا
فأخذ عبد الملك خمس مائة صرة قدهيات وجعل في كل صرة الف درهم
فأمر بها فأصعدت الى أعلى التصرف فالتيت الى أصحاب عمرو بن سعيد مع

رأس عمرو وفترك أصحابه الرأس ملقى وأخذوا المال وتفرقوا . فلما أصبح
عبد الملك أخذ من أصحاب عمرو ومواليه خمسين رجلا فضرب أعناقهم
وهرب الباقيون فلحقوا بعبد الله بن الزبير وفي ذلك يقول قائلهم

غد رتم بعمر ويال مروان ضلة - ومثلكم يبني البيوت على الغدر

فرحنا وراح الشامتون بقتله كأن على أكتافنا فلق الصخر

وما كان عمر وعاجزا غير انه آتته المنايا بغتة وهو لا يدري

كان بني مروان اذ يقتلونه بغاث من الطير اجتمعن على صقر

قالوا ولما خرج عبيد الله من البصرة شاء بها أن عبيد الله كان عند الازد
فاقبل رجل من الخوارج ليلا فجاس لمسعود بن عمرو فلما خرج لصلاة الفجر
وثب عليه بسكين فقتله فاجتمعت الازد وقالوا والله ما قتله الا بنو تميم ولنقتلن
سيدهم الاحنف بن قيس فقال الاحنف اتهمه ان الازد قد اتهموكم في قتل
صاحبهم وقد استغفروا بالظن عن اليقين ولا بد من غرم عقله فجمعوا الف
ناقة ووجهوا بها الى الازد وكانت دية الملوكة فرضيت الازد وكفرا . وقري
أمر عبد الله بن الزبير وعطاه أهل الكوفة الطاعة فولى الكوفة عبد الله بن
مطيع العدوي ووجه أخاه مصعب بن الزبير الى البصرة وأمر عبد الله بن
مطيع بهكاتبته ووجه عماله الى اليمن والبحرين وعمان وسائر الحجاز ودانت
لابن الزبير البلدان الا الشام ودصر فان مروان بن الحكم كان حماها
وانحابت على ابن الزبير الأندلس فهدم الكعبة وجدد بناءها وذلك في سنة
خمس وستين وآنف الحجر الاسود في حرير وجعله في تابوت وختم عليه

واستودعه الحجة مع جميع ما كان معلقا في الكعبة من ذهب وجوهر ولما بناها أدخل الحجر في البيت فلما قتل ابن الزبير تقضها الحجاج وأعاد بناءها على ما كان فهي على ذلك الى اليوم .

(دعوة المختار الى محمد بن الحنفية وغلبته على الكوفة)

قالوا وان المختار بن أبي عبيد الثقفي جعل يختلف بالكوفة الى شيعة بني هاشم ويختلفون اليه فيدعوهم الى الخروج معه والطلب بدم الحسين فاستجاب له بشر كثير وكان أكثر من استجاب له همدان وقوم كثير من أبناء العجم الذين كانوا بالكوفة ففرض لهم معاوية وكانوا يسمون الحمراء وكان منهم بالكوفة زهاء عشرين الف رجل وكان على الكوفة يومئذ من قبل عبد الله بن الزبير عبد الله بن مطيع فأرسل ابن مطيع الى المختار ماهذه الجماعات التي تغدوا وتروح اليك فقال المختار مريض يعاد فلم يزل كذلك حتى قال له نصحاؤه عليك بابراهيم بن الأشتر فاستلمه اليك فانه متى شايحك على أمر ظفرت به وقضيت حاجتك فأرسل المختار الى جماعة من أصحابه فدخلوا عليه وبيده صحيفة مختومة بالرصاص فقال الشعبي وكنت فيمن دخل عليه فرأيت الرصاص أبيض يلوح فظننت انه انما ختم من الليل فقال لنا انطلقوا بنا حتى نأتي ابراهيم بن الأشتر قال فمضينا معه وكنت أنا ويزيد بن أنس الأسدي وأحمر بن سليط وعبد الله بن كامل وأبو عمرة كيسان مولى بجيلة الذي يقول الناس قد جاوره أبو عمرة وكان من بعد ذلك على شرط المختار قال الشعبي فأتينا ابراهيم بن الأشتر وهو جالس في صحن داره فسلمنا

عليه فتناول يد المختار وأجلسه معه على مقعدة كان عليها وتكلم المختار وكان مفوهاً فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال ان الله قد أكرمك وأكرم أباك من قبلك بموالاة بنى هاشم ونصرتهم ومعرفة فضلهم وما أوجب الله من حقهم وقد كتب اليك محمد بن علي بن أبي طالب يعني ابن الحنفية هذا الكتاب بحضرة هؤلاء نفر الذين معي فقال القوم جميعاً نشهد ان هذا كتابه رأيناه حين كتبه ثم تاوله ففتحه وقرأه فاذا فيه

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن علي بن ابراهيم بن الأشرع أما بعد فان المختار ابن أبي عبيد على الطلب بدم الحسين فساعده في ذلك وآزره يُثبِك الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة فلما قرأ ابراهيم بن الأشرع الكتاب قال للمختار سمماً وطاعة لمحمد بن علي فقل ما بدا لك وادعُ الى ماشئت فقال المختار أتأتينا أو نأتيك في أمرنا فقال ابراهيم بل أنا آتيتك كل يوم الى منزلك. قال الشعبي فكان ابراهيم بن الأشرع يركب الى المختار في كل يوم في نفر من مواليه وخدمه قال الشعبي ودخلتني وحشةٌ من شهادة نفر الذين كانوا معي على انهم رأوا محمد بن الحنفية حين كتب ذلك الكتاب الى ابراهيم بن الاشرع فأتيتهم في منازلهم رجالاً رجلاً فقلت هل رأيت محمد بن الحنفية حين كتب ذلك الكتاب فكل يقول نعم وما أنكرت من ذلك فقلت في نفسي ان لم أستعلمها من العجبي يعني عمرة لم أطع فيها من غيره فأتيته في منزله فقلت ما أخوفني من عاقبة أمرنا هذا أن ينصب الناس جميعاً لنا فهل شهدت محمد بن الحنفية حين كتب ذلك الكتاب فقال والله ما شهدت حين كتبه غير ان أبا اسحاق

يعنى المختار عندنا ثقة وقد أتانا بعلامات من ابن الحنفية فصدقناه قال الشعبي
 فعرفتُ عند ذلك كذب المختار وتمويهه فخرجت من الكوفة حتى لحقت
 بالحجاز فلم أشهد من تلك المشاهد شيئاً قاتوا وكان على شرطة عبد الله بن
 مطيع بالكوفة اياس بن نضار العجليّ وكان طريق ابراهيم بن الأشتر اذا
 ركب الى المختار على باب داره فأرسل الى ابراهيم انه قد كثر اختلافك في
 هذا الطريق فاقصرُ عن ذلك فأخبر ابراهيم المختار بما أرسل اليه اياس فقال
 له المختار تجنب ذلك الطريق وخذ في غيره ففعل وبلغ اياس ان ابراهيم بن
 الاشتر لا يقلع عن إتيان المختار كلّ يوم فأرسل اليه ان أمرك يريبنى فلا
 أرينك راكبا ولا تبرحنّ منزلك فضرب عنقك فأخبر ابراهيم المختار
 بذلك واستأذنه في قتله فأذن له وان ابراهيم ركب في جماعة من أهل بيته
 وما يليه وجعل طريقه على مجلس ايس فقال له اياس يا ابن الاشتر ألم أمرك
 ألا تبرح من منزلك فقال له ابراهيم أنت والله اعلمت احقُ فقال للجلاوزة
 نكسوه فاتضى ابراهيم سيفه وشدّ على ايس فضر به حتى قتله ثم حمل على
 الجلاوزة فأنحرفوا عنه وهضى ابراهيم وبلغ عبد الله بن مطيع الخبر فأمر
 بطلب ابراهيم ووجد الى منزله وبلغ ذلك المختار فوجّه الى ابراهيم بمائة
 فارس فلما وافوه حمل على أصحاب ابن مطيع فانهزموا عنه فأقبل ابراهيم نحو
 دار الامارة ووافاه المختار في سبعة آلاف فارس فتحصن ابن مطيع في القصر
 وبعث الى الحرس والجند فوافاه منهم نحو ثلاثة آلاف رجل فنادى يال
 ثارات الحسين فوافاه زهاء عشرة آلاف رجل ممن بايعه على الطاب بدم

الحسين وفي ذلك يقول عبد الله بن همام

وفي ليلة المختار ما يُذهلُ الفتي ويزويه عن وود الشباب شموع
دعا يال ثارات الحسين فأقبلت كتائب من همدان بعد هزيع
ومن مذحج جاء الرئيس ابن مالك يقودُ جموعاً أردفتُ بجموع
ومن أسدٍ وافى يزيد لنصره بكل فتى ماضى الجنان منيع
وخرج ابن مطيع من القصر واجتمع اليه الجنود ونهض اليه المختار في أصحابه
وعلى مقدمته ابن الاشر فالتقوا واقتتلوا فقتل من أصحاب ابن مطيع بشر
كثير فانهزموا وبادر ابن مطيع الى القصر فتحصن فيه في طائفة من أصحابه
وأقبلت همدان حتى تسلقوا القصر بالحبال من ناحية دار عمارة بن عتبة بن
أبي ميط فلما رأى عبد الله بن مطيع ضعفه عن القوم سأل الامان على نفسه
ومن معه من أصحابه فأجابه المختار الى ذلك فأمنه فخرج ابن مطيع وأظهر
المختارا كرامه وأمر له من بيت المال بمائة ألف درهم وحفظ فيه قرابته من
عمر بن الخطاب وقال له ارحل اذا شئت ثم ان المختار غلب على الكوفة
ودانت له العراق وسائر البلاد الا الجزيرة والشام ومصر فان عبد الملك قد
كان حماها . ووجه عماله في الآفاق فاستعمل عبد الرحمن بن سعيد بن
قيس الهمداني على الموصل ومحمد بن عثمان التميمي على اذربيجان وعبد الله
بن الحارث أخا الأشر على الماهين وهمدان ويزيد بن معاوية البجلي على
أصبهان وقم وأعمالها وابن مالك البكرواي على حلوان وماسبذان ويزيد
ابن نجبة الفزاري على الري ودستبي وزحر بن قيس على جوخي . وفرق

سائر البلدان على خاصته وولى الشرطة كيسان أبا عمرة وأمره أن يجمع ألف رجل من الفعلة بالمعاول ويتبع دوراً من خرج إلى قتال الحسين بن عليّ فيهدمها وكان أبو عمرة بذلك عارفاً فجعل يدور بالكوفة على دورهم فيهدم الدار في لحظة فمن خرج إليه منهم قتل حتى هدم دوراً كثيرة وقتل أناساً كثيراً وجعل يطلب ويستقصي فمن ظفر به قتل وجعل ماله وعطاءه لرجل من أبناء العجم الذين كانوا معه . ثم ان المختار عقد ليزيد بن أنس الاسدي في عشرين ألف رجل وقواهم بالسلاح والعدّة وولاه الجزيرة وما غلب عليه من أرض الشام فسار يزيد حتى نزل نصيبين وبلغ ذلك عبد الملك بن مروان فخرج بأهل الشام فوافي نصيبين وقاتل يزيد بن أنس فهزمه وقتل من أصحابه مقتلة عظيمة وبلغ المختار ذلك فقال لابراهيم بن الاشرأبها الرجل انما هو أنا وأنت فسر اليهم فوالله لتقتلنّ الفاسق عبيد الله بن زياد ولتقتلنّ الحصين بن نمير وليهزمّنّ الله بك ذلك الجيش أخبرني بذلك من قرأ الكتب وعرف الملاحم . قال ابراهيم ما أحسبك أيها الأمير بأحرص على قتال أهل الشام ولا أحسن بصيرةً في ذلك مني وأنا سائر فاتخب له المختار عشرين ألف رجل وكان جُلهم أبناء الفرس الذين كانوا بالكوفة ويُسمّون الحمراء وسار نحو الجزيرة وردّ من كان انهزم من أصحاب يزيد بن أنس فصار في نحو من ثلاثين ألف رجل

(مقتل عبيد الله بن زياد)

و بلغ ذلك عبد الملك فعقد للحصين بن نمير في فرسان أهل الشام وكانوا

نحوا من أربعين ألفا وفيهم عبيد الله بن زياد وفيهم من قتلة الحسين عمير بن
الحياب وفُرات بن سالم ويزيد بن الحضير وأناس سوى هؤلاء كثير فقال فرات
لعمير قد عرفت سوء ولاية بني مروان وسوء رأيهم في قومنا من قيس ولئن
خلص الأمر وصفا لعبد الملك ليستأصلنّ قيسا أوليقتصينهم ونحن منهم
فانصرف بنا لتنظر ما حال ابراهيم بن الأشتر فلما جنهما الليل ركبا فرسيهما
وبينهما وبين عسكر ابراهيم أربع فراسخ وكانا يمرّان بمسالح أهل الشام
فيقولون لها ما أنتما فيقولان طليعة للأمر الحصين بن نمير فأقبلا حتى أتيا
عسكر ابراهيم بن الأشتر وقد أوقد النيران وهو قائم يعي أصحابه وعليه قميص
أصفر هروي وملاءة مورّدة متوشحاً بها متقلدا سيفه فدنا منه عمير بن الحباب
فصار خلفه و ابراهيم لا يأبه له فاحتضنه من ورائه فما تحلحل ابراهيم عن
موضعه غير أنه أمال رأسه وقال من هذا قال أنا عمير بن الحباب فأقبل بوجه
إليه وقال اجلس حتى أفرغ لك فتنحى عنه وقعدا ممسكين بأعنة فرسيهما فقال
عمير لصاحبه هل رأيت رجلا أربط جأشا وأشد قلبا من هذا تراه تحلحل من
مكانه أو أكثر ثلى وأنا محتضنه من خلف فقال له صاحبه ما رأيت مثله
فلما فرغ ابراهيم من تعبئة أصحابه أتاهما فجلس اليهما ثم قال لعمير ما أعمك
إلى يا أبا المغلس قال عمير لقد اشتد غمى مذ دخلت عسكرك وذلك انى
لم أسمع فيه كلاما عربيا حتى انتهيت إليك وانما معك هؤلاء الأعاجم
وقد جاءك صناديد أهل الشام وأبطالهم وهم زهاء أربعين ألف رجل
فكيف تلقاهم بمن معك فقال ابراهيم والله لو لم أجد إلا النمل لقاتلتهم بها

فكيف وما قومٌ أشد بصيرة في قتال أهل الشام من هؤلاء الذين تراهم
معى وانما هم أولاد الأساورة من أهل فارس والمرازية وأنا ضارب
انجيل بانجيل والرجال بالرجال والنصر من عند الله . قال عمير ان قهيمى قيسا
اذا التقى الجيلان غدا في ميسرة أهل الشام فلا تحفل بنا فاننا منهزمون
لنكسر الجيش بذلك فاننا لا نحب ظهور بنى مروان لسوء صنيعهم اليناه عاشر
قيس وأنا اليك لا ميل قال ابراهيم وذاك ثم انصرفا الى معسكرهما . ولما
أصبح الفريقان زحف بعضهم الى بعض فتواقفوا بمكان يُدعى خازر فنادى
ابراهيم بن الأشتر حمة عسكره خليك بالميسرة وفيها قيس فقال عمير بن
الجاب لصاحبه هذا وأبيك الحزم لم يثق بقولنا وخاف مكرها وصاح عمير بن
الجاب فى قيس يال ثارات مرّج راهط فنكسوا أعلامهم وانهزموا فانكسر أهل
الشام عند ذلك وحمل عليهم ابراهيم بن الأشتر فأكثر فيهم القتل فانهزم
أهل الشام فاتبعهم ابراهيم يقتلهم الى الليل وقتل أميرهم الحصين بن عمير وكان
من قتلة الحسين وشرحيل بن ذى الكلاع وعطاء أهل الشام . فلما وضعت
الحرب أوزارها قال ابراهيم بن الأشتر انى قتلت فى الواقعة رجلا من أهل
الشام كان يقاتل فى أوائلهم قتالا شديدا وهو يقول أنا الغلام القرشى فلما
سقط شممت منه ربح المسك فاطلبوه بين القتلى فطلب حتى أصابوه فاذا هو
عبيد الله بن زياد فأمر به ابراهيم فحز رأسه فوجه به الى المختار فوجه به
المختار الى محمد بن الحنفية واحتوى ابراهيم بن الأشتر على عسكر أهل الشام
فغنم ما كان فيه فأتمته هند ابنة أسماء بن خارجة الفزارى امرأة عبيد الله بن

زياد فأخبرته بانتهاب ما كان معها من مالها فقال لها كم ذهب لك قالت قيمة خمسين الف درهم فأمر لها بمائة الف درهم ووجه معها مائة فارس حتى أتوا بها أباهما البصرة ودخل عبيد الله بن عمرو الساعدي وكان شاعرا على ابراهيم ابن الاشر فأنشده

الله أعطاك المهابة والتقى وأحل بيتك في العديدا لا كثر
وأقر عينك يوم وقعة خازرٍ وانخيلُ تعثرُ بالقنا المتكسر
من ظالمين كفتهم آثامهم تُرِكوا لعافيةٍ وطيرٍ حُسر
ما كان أجرامهم جزاهم ربهم شرَّ الجزاء على ارتكاب المنكر
اني أتيتك إذ تناءى منزلي وذممت لإخوان الغنى من معشري
وعلمت أنك لا تُضيع مدحتي ومتى أكن بسبيل خيرٍ أشكر
فهل نحوى من يمينك نفحةٌ إن الزمان ألح يا ابن الأشر

فأعطاه عشرة آلاف درهم وان ابراهيم بن الاشر أقام بالموصل ووجه عماله الى مدن الجزيرة فاستعمل اسماعيل بن زفر على فرقيسيا وحاتم بن النعمان الباهلي على حران والرُّها وسُمَيْشَاط وعمير بن الحباب السامي على كفرنوتنا والسفاح بن كردوس على سنجار وعبد الله بن مساور على ميفارقين ومسلم ابن ربيعة العقيلي على آمد وسار هو الى نصيبين فأقام بها . وان المختار كتب الى عبيد الله بن الحر الجعفي وكان بناحية الجبل يتطرف ويُغير انما خرجت غضبا للحسين ونحن أيضا ممن غضب له وقد تجرّدنا لنطلب بثاره فأعنا على ذلك فلم يُجبه عبيد الله الى ذلك فركب المختار الى داره بالكوفة فهدمها وأمر

بامراته أم سلمة ابنة عمرو الجعفي فحبست في السجن وانتهب جميع ما كان في منزله وكان الذي تولى ذلك عمرو بن سعيد بن قيس الهمداني ، وبلغ ذلك عبيد الله بن الحرّ فقصده الى ضيعة لعمر بن سعيد بالماهين فأغار عليها واستاق مواشيها وأحرق زرعها وقال

وما ترك الكذاب من جلّ مالنا ولا المرء من همدان غير شريد
أفي الحق أن يُحتاج مالى ككاهن وتأمينٌ عندى ضيعة ابن سعيد

ثم اختار من أبطال أصحابه مائة فارس فيهم مُحشّر التميمي ودلهم بن زياد المرادي وأحرطبيّ وخلف بقية أصحابه بالماهين وسار نحو الكوفة حتى انتهى الى جسرهما ليلا فأمر بقوام الجسر فكثفوا ووكل بهم رجلا من أصحابه ثم عبر ودخل الكوفة فلقبه أبو عمرة كيسان وهو يعسّ بالكوفة فقال من أنتم قالوا نحن أصحاب عبد الله بن كامل أقبلنا الى الامير المختار فقال امضوا في حفظ الله فمضوا حتى انتهوا الى السجن فكسروه فخرج كل من فيه وحمل أم سلمة على فرس ووكل بها أربعين رجلا وقدّمها ثم مضى . وبلغ الخبر المختار فأرسل راشدا مولى بجيلة في ثلاثة آلاف رجل وعطف عليهم أبو عمرة من ناحية بجيلة في ألف رجل وخرج عليهم عبد الله بن كامل من ناحية النخع في ألف رجل فأحاطوا بهم فلم يزل عبيد الله يكشفهم ويسير والحجارة تأخذه وأصحابه من سطوح الكوفة حتى عبر الجسر وقد قتل من أصحاب المختار مائة رجل ولم يُقتل من أصحابه الا أربعة نفر . وسار عبيد الله حتى انتهوا الى باتيقيا فنزلوا وداووا جروحهم وعلفوا دوابهم وسقوها ثم ركبوا فلم يحلوا عقدها

حتى انتهوا الى سورا فأراحوا بها ثم ساروا حتى أتوا المدائن ثم لحق بأصحابه بالماهين . ولا تجرد المختار لطلب قتلة الحسين هرب منه عمرو بن سعد ومحمد ابن الاشعث، وهما كانا المتولين للحرب يوم الحسين وأتى بعبد الرحمن بن ابزى الخزاعي وكان ممن حضر قتال الحسين فقال له يا عدو الله أكنت ممن قاتل الحسين قال لا بل كنت ممن حضر ولم يقاتل قال كذبت اضربوا عنقه فقال عبد الرحمن ما يمكنك قلى اليوم حتى تُعطي الظفر على بنى أمية ويصفو لك الشام وتهدم مدينة دمشق حجرا حجرا فتأخذني عند ذلك فتصلبني على شجرة بشاطئ نهر كأني أنظر اليها الساعة . فالتفت المختار الى أصحابه وقال أما ان الرجل عالم بالملاحم ثم أمر به الى السجن فلما جن عليه الليل بعث اليه من أتاه به فقال له يا أخا خزاعة أظرفا عند الموت فقال عبد الرحمن بن ابزى أنشدك الله أيها الامير أن أموت ها هنا ضيعة قال فما جاء بك من الشام قال أربعة آلاف درهم لي على رجل من أهل الكوفة أتيته متقاضيا فأمر له المختار بأربعة آلاف درهم وقال له إن أصبحت بالكوفة قتلتك فخرج من يلقته حتى لحق بالشام . ومكث المختار بذلك يطلب قتلة الحسين ونجى اليه لآموال من السواد والجيل وأصبهان والري وأذربيجان والجزيرة ثمانية عشر نهرا وقرب أبناء العجم وفرض لهم ولأولادهم الأعطيات وقرب مجالسهم باعد العرب وأقصاهم وحرّمهم ففضبوا من ذلك واجتمع أشرفهم فدخلوا اليه فعاتبوه فقال لا يبعد الله غيركم أكرمتم فشمختم بآنافكم ووليتكم كسرتم الخراج وهو لاء العجم أطوع لي منكم وأوفى وأسرع الى ما أريد .

قالوا فدنّت العرب بعضها الى بعض وقالوا هذا كذاب يزعم انه يوالي بني هاشم وانما هو طالب دنيا فاجتمعت القبائل على محاربتة وصاروا في ثلاثة أمكنة وقلدوا أمرهم رفاعة بن سَوَّار فاجتمعت كندة والازد وبجيلة والنخ وختم وقيس وتيمم الرّباب في جبانة مراد واجتمعت ربيعة وتميم فصاروا في جبانة الحشاشين . فأرسل المختار الى همدان وكانوا خاصته واجتمع اليه أبناء العجم فقال لهم ألا ترون ما يصنع هؤلاء قالوا بلى قال فاتهم لم يفعلوا ذلك الا لتقديمي إياكم فكونوا أحرارا كراما فخرّضهم بذلك وأخرجهم الي ظهر الكوفة فاحصاهم فبلغوا أربعين ألف رجل . وان شمر بن ذى الجوشن وعمر ابن سعد ومحمد بن الاشعث وأخاه قيس بن الاشعث قدموا الكوفة عند ما بلغهم خروج الناس على المختار وخلصهم طاعته وكانوا هُرَّابا من المختار طول سلطانه لانهم كانوا الرؤساء في قتال الحسين فصاروا مع أهل الكوفة وتولوا أمر الناس وتأهب الفريقان للحرب واجتمع أهل الكوفة جميعا في جبانة الحشاشين وزحف المختار نحوهم فاقتلوا فقتل بينهم بشر كثير فنادى المختار يا معشر ربيعة ألم تبايعوني قلم خرجتم عليّ قالت ربيعة قد صدق المختار لقد بايعناه وأعطيناه صفقة أيماننا فاعتزلوا وقالوا لانكون تلى واحدا من الفريقين وثبت سائر القبائل فقاتلوا وان أهل الكوفة انهزموا وقد قُتِل منهم نحو الخمسمائة رجل وأسر منهم مائتا رجل فهرب أشراف الكوفة فلاحقوا بالبصرة . وبها مصعب بن الزبير فانضموا اليه . وبلغ المختار أن شبّث بن ربعي وعمرو ابن الحجاج ومحمد بن الاشعث مع عمر بن سعد قد أخذوا طريق البصرة

في أناس معهم من أشرف أهل الكوفة فأرسل في طلبهم رجلا من خاصته
يسمى أبا القلوص الشبامى في جرّيدة خيل فلحقهم بناحية المذار فواقوه وقتلوه
ساعة ثم انهزموا ووقع في يده عمر بن سعد ونجا الباقر فأتى به المختار فقال
الحمد لله الذى أمكن منك والله لأشفين قلوب آل محمد بسفك دمك يا كيسان
اضرب عنقه فضرب عنقه وأخذ رأسه فبعث به الى المدينة الى محمد بن الحنفية
وقال أعشى همدان وكان من أهل الكوفة

ولم أنس همدانا غداة تجوسنا	بأسيافها لا أسقيت صوبها ضب
فقتل من أشرفنا في محالهم	عصائبُ منهم أردفت بعصائب
فكم من كى قد أبارت سيوفهم	الى الله أشكور رزء تلك المصائب
يقتلنا المختار في كل غائط	فيا لك دهرٌ مرصدٌ بالعجائب

وبلغ المختار ان شمر بن ذى الجوشن مقيم بدست ميسان في أناس من بني
عامر بن صعصعة يكرهون دخول البصرة لشماتة أهل البصرة بهم فأرسل
المختار اليهم زريبا مولى بجيلة في مائة فارس على الخليل العتاق فسار اليهم بالحث
الشديد فقطع أصحابه عنه الا عشرة فوارس فلحقهم وقد استعدوا له فطعنه
شمر فقتله وانهزم أصحابه العشرة حتى لحق بهم الباقر فطلبوا شمر وأصحابه
فلم يلحقوهم ومضى شمر حتى نزل قريبا من البصرة بمكان يدعى سادماه
فأقام به . وان قيس بن الأشعث أنف من أن يأتى البصرة فيشمت به
أهلها فانصرف الى الكوفة مستجيرا بعبد الله بن كامل وكان من أخص
الناس عند المختار فأقبل عبد الله الى المختار فقال أيها الأمير ان قيس بن

الاشعث قد استجار بي وأجرته فانفذ جوارى اياه فسكت عنه المختار مليا
وشغله بالحديث ثم قال أرنى خاتمك فناوله اياه فجعله في أصبعه طويلا ثم دعا
أبا عمرة فدفع اليه الخاتم وقال له سرا انطلق الى امرأة عبد الله بن كامل قتل
لها هذا خاتم بعلك علامة لتدخليني الى قيس بن الاشعث فاني أريد مناظرته
في بعض الأمور التي فيها خلاصه من المختار فأدخلته اليه فأتضى سيفه فضرب
عقه وأخذ رأسه فأتى به المختار فألقاه بين يديه فقال المختار هذا بقطيفة الحسين
وذلك ان قيس بن الاشعث أخذ قطيفة كانت للحسين حين قتل فكان
يسمى قيس قطيفة فاسترجع عبد الله بن كامل وقال للمختار قتل جاري
وضيفي وصديقي في الدهر قال له المختار لله أبوك اسكت أنتحل أن تجير قتلة
ابن بنت نبيك . ثم ان المختار دعا بالأسرى الذين أسرهم من أهل الكوفة
في الوقعة التي كانت بينه وبين أهل الكوفة فجعل يضرب أعناقهم حتى
انتهى الى سراقه البارقي وكان فيهم قمام بين يديه وأنشأ يقول

ألا من مبلغ المختار أنا نزونا نزوة كانت علينا

خرجنا لانرى الاشراك دينا وكان خروجا بطراوحينا

ثم قال للمختار أيها الامير لو انكم أتم الذين قاتلتمونا لم تطمعوا فينا فقال له
المختار فمن قاتلكم قال سراقه قاتلنا قوم بيض الوجوه على خيل شهب قال له
المختار تلك الملائكة ويالك أما اذ رأيتهم فقد وهبتك لهم ثم خلى سبيله
فهرب فلحق بالبصرة وأنشأ يقول

ألا أبلغ أبا اسحاق اني رأيت الشهب كتنا مصمات

أرى عيني ما لم ترأياه كلانا عالم بالترهات
كفرت بدينكم وبرئت منكم ومن قبلاكم حتى المات
وهرب أسماء بن خارجة الفزاري وكان شيخ أهل الكوفة وسيدهم من
المختار خوفا على نفسه فزل ماء لبني أسد يسمى ذروة في نفر من مواليه
وأهل بيته فأقام به . وهرب عمرو بن الحجاج وكان من رؤساء قتلة الحسين
يريد البصرة فخاف السماتة فعدل الى سراف فقال له أهل الماء ارحل عنا فانا
لانا من المختار فارتحل عنهم قتلاوموا وقالوا قد أسأنا فركبت جماعة منهم في
طلبه ليردوه فلما رأهم من بعيد ظن أنهم من أصحاب المختار فسلك الرمل
بمكان يدعى البيضة وذلك في حمارة القيظ وهي فيما بين بلاد كلب وبلاد
حلي فقال فيها قتله ومن معه العطش . ولم يزل أسماء مقبلا بذروة الى أن
قتل المختار ودخل مصعب بن الزبير الكوفة فانصرف أسماء الى منزله
بالكوفة . ولما تبع المختار أهل الكوفة جعل عظامهم يتسللون هربا الى
البصرة حتى وافاها منهم مقدار عشرة آلاف رجل وفيهم محمد بن الأشعث
فاجتمعوا ودخلوا على مصعب بن الزبير فتكلم محمد بن الأشعث وقال أيها
الامير ما يمنعك من المسير لمحاربة هذا الكذاب الذي قتل خيارنا وهدم
دورنا وفرق جماعتنا وحمل أبناء العجم على رقابنا وأباحهم أموالنا سراليه فانا
جميعا معك وكذلك من خلفنا بالكوفة من العرب هم أعوانك قال مصعب
يا ابن الأشعث أنا عارف بكل ما ارتكبكم به وليس يمنعني من المسير اليه الا
غية فرسان أهل البصرة وأشرفهم فانهم مع ابن عمك المهلب بن أبي صفرة

في وجوه الأزارقة بناحية كروان غير انى قد رأيتُ رأيا قال وما رأيتَ أيها
 الامير قال رأيتُ أن أكتب الى المهلب أمره أن يوادع الازارقة ويقبل
 الى فيمن معه فاذا وافى تجهزنا وخرجنا لمحاربة المختار قال ابن الاشعث نعم
 مارأيتَ فاكتب اليه واجلني الرسول . فكتب مصعب بن الزبير الى
 المهلب كتابا يذكر له ما فيه أهل الكوفة من القتل والحرب ويفسر فيه أمر
 المختار فسار محمد بن الاشعث بكتابه حتى ورد كومان وأوصل الكتاب الى
 المهلب وقل له يا ابن عم قد بلغك ما لى أهل الكوفة من المختار وقد كتب
 اليك الامير مصعب بما قد قرأته فكتب المهلب الى قطرى وكان رئيس
 الازارقة يومئذ يسأله الموادعة الى أجل سماه ويكتب بينهما كتابا في ذلك
 ويضعا الحرب الى ذلك الاجل فأجابه قطرى الى ذلك وكتبا بينهما كتابا
 وجعلا الاجل ثمانية عشر شهرا وسار المهلب بمن معه حتى وافى البصرة فوضع
 مصعب لاهل البصرة العطاء وتهايا للسير . وبلغ المختار ذلك فعقد لاجر بن
 سليط في ستين ألف رجل من أصحابه وأمره أن يستقبل القوم فيناجزهم
 الحرب فسار أحر بن سليط فى الجيوش حتى وافى المدار وقد انصرف اليها
 شمر بن ذى الجوشن أنفة من أن يأتى البصرة هاربا فيشمتوا به فوجه أحر
 ابن سليط الى المكان الذى كان متحصنا فيه خمسين فارسا وأمامهم نبطى
 يدلهم على الطريق وذلك فى ليلة مقمرة فلما أحس بهم دعا بفرسه فركبه
 وركب من كان معه ليهربوا فأدركهم القوم فقاتلوهم فقتل شمر وجميع من
 كان معه واحتزوا رؤسهم فأتوا بها أحر بن سليط فوجهها الى المختار فوجه

المختار برأس شمر الى محمد بن الحنفية بالمدينة . وسار مصعب بن الزبير بجماعة
 أهل البصرة نحو المذار وتخلف عنه المنذر بن الجارود وهرب منه نحو كرمان
 في جماعة من أهل بيته ودعا لعبد الملك بن مروان . وأقبل مصعب حتى وافى
 المذار وأمامه الاحنف بن قيس في تميم وزحف الفريقان بعضهم الى بعض
 فاقتتلوا فانهزم أصحاب المختار واستحرق القتل فيهم ومضوا نحو الكوفة
 واتبعهم مصعب يقتلهم في جميع طريقه فلم يفلت منهم الا القليل فقال أعشى
 همدان في ذلك

ألم ييلُفك ما لقيت شِباُمُ	وما لاقت عُرينةً بالمذار
أُتِيجَ لهم بها ضربٌ طَلْحَفُ	وطعنٌ بالثقفِ الحرارِ
كأن سحابةً نُصِقتْ عليهم	فعمتهم هنالك بالدمار
وما ان ساءنى ما كان منهم	لدى الإِعمارِ منى واليسار
ولكنى فرحتُ وطابَ توَمى	وقرَّ لقتلهم منى قرارى

(مقتل المختار)

وان مصعبا سار بالجيوش نحو الكوفة فعبر دجلة وخرج الى أرض
 كسكر ثم أخذ على حديثة الفجار ثم أخذ على النجرانية حتى قرب الكوفة
 وبلغ المختار مقتل أصحابه فنادى في بقية من كان معه من جنوده فقواهم
 بالاموال والسلاح وسار بهم من الكوفة مستقبلا لمصعب بن الزبير فالتقوا
 بنهر البصريين فاقتلوا. فقتل من أصحاب المختار مقتلة عظيمة وقتل محمد بن
 الاشعث وقتل عمر بن علي بن أبي طالب عليهما السلام وذلك أنه قدم من

الحجاز على المختار فقال له المختار هل معك كتاب محمد بن الحنفية فقال عمر
ابن علي لا ماعى كتابه فقال له انطلق حيث شئت فلا خير لك عندي
فخرج من عنده وسار الى مصعب فاستقبله في بعض الطريق فوصله بمائة ألف
درهم وأقبل مع مصعب حتى حضر الواقعة فقتل فيمن قتل من الناس . وانهمزم
المختار حتى دخل الكوفة وتبعه مصعب فدخل في أثره وتمحصن المختار في
قصر الامارة فاقبل مصعب حتى أناخ عليه وحاصره أربعين يوماً ثم ان المختار
قلق بالحصار قلقتا شديدا فقال للسائب بن مالك الاشعري وكان من خاصته
أيها الشيخ اخرج بنا لنقاتل على احسابنا لاعلى الدين فاسترجع السائب وقال
ياأبا اسحق لقد ظنّ الناس ان قيامك بهذا الامر دينونة فقال المختار لالعمرى
ما كان الا لطلب دنيا فأتى رأيت عبد الملك بن مروان قد غلب على الشام
وعبد الله بن الزبير على الحجاز ومصعبا على البصرة ونجدة الحروري على
العروض وعبد الله بن خازم على خراسان ولست بدون واحد منهم ولكن
ما كنت أقدر على ما أردت الا بالدعاء الى الطلب بثأر الحسين ثم قال
ياغلام على بفرسى ولأمتى فأتى بدرعه فدرعها وركب فرسه ثم قال قبح
الله العيش بعد ما أرى يا بواب افتح ففتح له الباب وخرج ومعه حماة
أصحابه فقاتل القوم قتالا شديدا وانهمزم أصحابه ومضى هو نحو القصر وهو في
حامية أصحابه فدخل القصر من أصحابه ستة آلاف رجل وبقى مع المختار نحو
من ثلثمائة رجل فأخذ أصحاب مصعب عليه باب القصر فلجأ المختار فيمن معه
الى حائط القصر وأقبل يدمر أصحابه ويحمل فلم يزل يقاتل حتى قتل أكثر

من كان معه فحمل عليه اخوان من بني حنيفة من أصحاب المهلب فضرباه
بالسيف حتى سقط وبادرا اليه فاحتزاً رأسه فأتيا به مصعباً فأعطاها ثلاثين

ألف درهم فقال سويد بن أبي كاهل يذكر قتل المختار

يأليت شعري متى تغدو ومخيسةٌ منا فتبلغ أهل الموسم الخبراً

أنا جزرنا عن الكذاب هامة من بعد طعن وضرب يكشف الخرا

ووجه مصعب برأس المختار الى عبد الله بن الزبير مع عبد الله بن عبد

الرحمن قال عبد الله فوافيت مكة بعد العشاء الآخرة فأتيت المسجد

وعبد الله بن الزبير يصلي قال فجلست أنتظره فلم يزل يصلي الى وقت

السحر ثم انقل من صلاته فدتوت منه فناولته كتاب الفتح فقرأه وناوله غلامه

وقال امسكه معك فقلت يا أمير المؤمنين هذا الرأس معي قال فما تريد قلت

جأرتي قال خذ الرأس الذي جئت به بجأرتك فتركته وانصرفت قالوا

ولما قتل المختار واستتب الأمر لعبد الله بن الزبير أرسل الى عبد الله

ابن عباس ومحمد بن الحنفية أما أن تبايعاني أو تخرجنا من جوارى فخرجنا من

مكة فنزلا الطائف وأقاما هناك وتوفي عبد الله بن عباس بالطائف وصلى عليه

محمد بن الحنفية وخرج محمد بن الحنفية من الطائف حتى أتى أيلة وكتب الى

عبد الملك بن مروان يستأذنه في القدوم عليه والنزول في جواره فكتب اليه

وراءك أوسع لك ولا حاجة لي فيك فأقام محمد بن الحنفية عامه ذلك بأيلة ثم

توفي بها وقتل المختار وابراهيم بن الأشتر عامه على كورة الجزيرة فكتب

الى مصعب يسأله الأمان وكتب اليه بأمره بالقدوم عليه فقدم وبايعه وفوض

مصعب اليه جميع أمره وأظهر برّه والطافه . ولم تزل الستة آلاف الذين دخلوا
 القصر متحصنين فيه شهرين حتى نفذ جميع ما كان المختار أعدّه فيه من
 الطعام فسألوا الأمان فأبى مصعب أن يعطيهم الا ان الأعلى حكاه فارسلوا
 اليه انا ننزل على حكمك فتزلوا عندما بلغ اليهم الجوع فضرب أعناقهم كلهم
 وكانوا ستة آلاف ألفين من العرب وأربعة آلاف من العجم . ودعا مصعب
 بامرأتى المختار أمّ ثابت ابنة سمرة بن جندب وعمرة بنت النعمان بن بشير
 فدعاها الى البراءة من المختار فأما أم ثابت فانها تبرأت منه وأبت عمرة ان
 تبرأ منه فأمر بها مصعب فأخرجت الى الجبانة فضربت عنقها فقال
 بعض الشعراء فى ذلك

ان من أعجب العجائب عندى قتلَ بيضاء حرّة عَطْبُولِ
 قتلوها بغير ذنب سفاها انّ الله درّها من قَتِيلِ
 كسبَ القتلُ والقتالُ علينا وعلى المحصنات جرّ الذُيُولِ

وقال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فى ذلك

ألم تعجب الاقوامُ من قتلِ حرّة من المُخلصاتِ الدينِ محمودة الادب
 من الغافلاتِ المؤمناتِ بريئة من الزور والبهتان والشكّ والريب
 علينا كتاب الله فى القتلِ واجبٌ وهن الضعاف فى الحجال وفى الحُجُبِ
 فقلتُ ولم أظلمُ أعمرُ وبن مالكٍ يُقتل ظلماً لم يُخالف ولم يرب
 ويسبقنا آلُ الزبير بوترنا ونحن حماة الناس فى البارِقِ الاشِبِ
 فان تُعيبِ الايامِ منهم نُجازهم على حنقٍ بالقتلِ والاسر والجنبِ

ثم ان مصعب بن الزبير نزل القصر بالكوفة واستعمل العمال وجبى الخراج فولى
البصرة عبيد الله بن معمر التيمي ورد المهلب الى قتال الازارفة

(غزو عبد الملك العراق وقتل مصعب)

قالوا ولما صفا الامر لعبد الله بن الزبير ودانت له البلدان الا أرض الشام
جمع عبد الملك بن مروان اخوته وعظماء أهل بيته فقال لهم ان مصعب بن
الزبير قد قتل المختار ودانت له أرض العراق وساثر البلدان واست آمنه أن
يفزوكم في عُقر بلادكم وما من قوم غزوا في عُقر دراهم الا ذلوا فما ترون
فتكلم بشر بن مروان فقال يا أمير المؤمنين أرى أن تجمع اليك اطرافك
وتستجيش جنودك وتضم اليك قواصيك وتسير اليه وتلقت الخيل بالخيال
والرجال بالرجال والنصر من عند الله فقال القوم هذا الرأي فاعمل به فان بنا قوة
ونهوذا فوجه رسله الى كور الشام ليجمع اليه فاجتمع له جميع أجناد الشام ثم
سار وقد احتشد ولم ينزل وبلغ مصعب بن الزبير خروجه فضم اليه اطرافه
وجمع اليه قواصيه واستعد ثم خرج لمحاربتة فتوافى العسكران بدير الحانات
فقال عدى بن زيد بن عدى وكان مع عبد الملك

لعمرى لقد أصحرت خيلنا بأكاف دجلة للمصعب

يجرون كل طويل الكمو ب معتدل النصل والثعلب

بكل فتى واضح وجهه كريم الضرائب والمنصب

ولما نظر أصحاب مصعب الى كثرة جموع عبد الملك تواكلوا وشملهم الرعب
فقال مصعب لعروة بن المغيرة وهو يسايره ادن يا عروة أكلمك فدنا منه

فقال اخبرني عن الحسين كيف صنع حين نزل به الامر قال عروة فجعلت
أحدثه بحديث الحسين وما عرض عليه ابن زياد من النزول على حكمه فأبى
ذلك وصبر للموت فضرب مصعب معرفةً دابته بالسوط ثم قال

فان الألى بالطف من آل هاشم تأسوا فسنوا للكرام التأسيا

وان عبد الملك كتب الى رؤساء أصحاب مصعب يستميلهم اليه ويعرض
عليهم الدخول في طاعته ويبدل لهم على ذلك الاموال وكتب الى ابراهيم بن
الاشتر فيمن كتب فأقبل ابراهيم بالكتاب محتوما فناوله مصعبا وقال أيها
الامير هذا كتاب الفاسق عبد الملك بن مروان قال له مصعب فهلا قرأته
قال ما كنت لأفضه ولا أقرأه الا بعد قراءتك له ففضه مصعب واذا فيه
بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين الى ابراهيم بن
الاشتر أما بعد فاني أعلم أن تركك الدخول في طاعتي ليس إلا عن معتبة فلك
الفرات وما سقى فأنجز إلى فيمن أطاعك من قومك والسلام ، فقال مصعب
فما يمنعك يا أبا النعمان قال لو جعل لي ما بين المشرق الى المغرب ما أعنت
بني أمية على ولد صفية فقال مصعب جزيت خيرا أبا النعمان فقال ابراهيم
لمصعب أيها الامير لست أشك أن عبد الملك قد كتب الى عطاء أصحابك
بنحو مما كتب إلي وانهم قد مالوا اليه فأذن لي في ضرب عنق من اتهم منهم
قال مصعب إذن لا يناصحننا عشائهم قال فأذن لي في حبسهم الي فراغك
فان ظفرت منت بهم على عشائهم وان تكن الأخرى كنت قد أخذت
بالحزم قال مصعب إذن يحتجوا على عند أمير المؤمنين فقال ابراهيم أيها

الامير لا أمير المؤمنين والله لك اليوم وما هو الا الموت فمت كريما فقال مصعب يا أبا النعمان انما هو أنا وأنت فتقدم للموت قال ابراهيم إذا والله أفعل قال ولما نزلوا بدير الجاثليق باتوا ليثهم فلما أصبحوا نظر ابراهيم بن الاشر فإذا القوم الذين اتهمهم قد ساروا تلك الليلة فلاحقوا بعبد الملك بن مروان فقال لمصعب كيف رأيت رأيي . ثم زحف بعضهم الى بعض فاقتتلوا فاعتزلت ربيعة وكانوا في ميمنة مصعب وقالوا لمصعب لا نكون معك ولا عليك وثبت مع مصعب أهل الحفاظ فقاتلوا وأمامهم ابراهيم بن الاشر فقتل ابراهيم فلما رأى مصعب ذلك استمات فترجل وترجل معه حماة أصحابه فقاتلوا حتى قتل عامتهم وانكشف الباقون عن مصعب فحمل عليه عبد الله بن ظبيان فضربه من ورائه بالسيف ولا يشعر به مصعب فخر صريحا فقتل وأجهز عليه واحتز رأسه فأتى به عبد الملك فحزن عليه حزنا شديدا وقال متى تغدو قریش مثل مصعب وددت انه قبل الصلح واني قاسمته مالى . قال ولما قتل مصعب بن الزبير استأمن من بقي من أصحابه الى عبد الملك فأمنهم فقال عبد الله بن قيس الرقياتي

لقد وردَ المصرينِ خزيٌ وذلةٌ قيل بديرِ الجاثليقِ مُقيمٌ
فما صبرت في الحرب بكر بن وائل ولا ثبتت عند اللقاءِ تميمٌ
ولكنه ضاعَ الذمارُ فلم يكن بها عربيٌّ عند ذاك كريمٌ

وكان قتل مصعب يوم الخميس للنصف من جمادى الاولى سنة اثنتين وسبعين .
فارتحل عبد الملك بالناس حتى دخل الكوفة فدعاهم الى البيعة ايعوه ثم جهز

الجيش الى تهامة لمحاربة عبد الله بن الزبير وولى الحرب قدامة بن مظعون
وأمره بالمسير وانصرف عبد الملك الى الشام .

(مقتل عبد الله بن الزبير علي يدي الحجاج)

ثم وجه الحجاج بن يوسف لمحاربة عبد الله بن الزبير وعزل قدامة بن
مظعون فسار الحجاج حتى نزل الطائف وأقام شهرا ثم كتب الى عبد الملك
انك يا أمير المؤمنين متى تدع ابن الزبير يُعمل فكره ويستجيش ويجمع أنصاره
وتترب اليه فإلآه كان في ذلك قوة له فأذن في معاجلته لي فأذن له فقال
الحجاج لأصحابه تجهزوا للحج وكان ذلك في أيام الموسم ثم سار من الطائف
حتى دخل مكة ونصب المنجنيق على أبي قيس فقال الاقيشر الاسدي

لم أر جيشا غرُّ بالحج مثلنا ولم أر جيشا مثلنا غير ماخرس

دلفنا لبيت الله نرمى ستوره بأحجارنا زفن الولاثد في العرس

دلفنا له يوم الثلاثاء من منى بجيش كصدر الفيل ليس بذي رأس

فألا ترحنا من ثقيف وملكها نصلّ لايام السباب والنحس

فطلبه الحجاج فهرب وأناخ الحجاج بابن الزبير وتمحصن منه ابن الزبير في

المسجد واستعمل الحجاج على المنجنيق ابن خزيمه الخثعمي فجعل يرمى أهل

المسجد ويقول

خطارة مثل الفنيق الملبد نرمى بها عوآذ أهل المسجد

فلما اشتد على ابن الزبير وأصحابه الحصار خرجت بنو سهم من بابهم فقال

ابن الزبير .

فَرَّتْ سَلامانَ وَفَرَّتِ النَّيْرُ وَقَدْ تَكُونُ مَعَهُمْ كَلَّا تَجْفِرُ
 وَجَمَلَ أَهْلَ الشَّامِ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِ الْمَسْجِدَ فَيَشُدُّ عَلَيْهِمْ فَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الْمَسْجِدِ
 حَتَّى رَمَى بِحِجْرٍ فَأَصَابَ جَبْهَتَهُ فَسَقَطَ لَوَجْهِهِ ثُمَّ تَحَامَلَ قِقامَ وَهُوَ يَقُولُ
 فَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمِي كُلُّومَنَا وَلَكِنْ عَلَى أقدامنا تَقَطُرُ الدِّمَاءُ
 ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ اخْرُجُوا إِلَى مِنَ بِالْبَابِ واحملوا وَلَا يَلْبِينُكُمْ طَلْبِي وَالسُّؤَالَ
 عَنِّي فَأَتَى فِي الرَّعِيلِ الْأَوَّلِ فَخَرَجَ وَخَرَجُوا مَعَهُ فَمَاتَلُ قِتالًا شَدِيدًا حَتَّى قَتَلَ
 عَامَةً مِنْ كَانُ مَعَهُ وَحَدَقُوا بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فَضَرَبُوهُ بِأَسْيافِهِمْ حَتَّى قَتَلُوهُ فَأَمَرَ
 بِهِ الْحِجْاجُ فَصَلَبَ فَمَرَّ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ قُحَيْلٍ رَحِمَكَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ أَمَا وَاللَّهِ
 لَقَدْ كُنْتُ صَوَّامًا قَوَّامًا غَيْرَ أَنَّكَ رَفَعْتَ الدُّنْيَا فَوْقَ قَدْرِهَا وَلَيْسَتْ لَكَ بِأَهْلٍ
 وَإِنَّ أُمَّةً أَنْتَ شَرُّهَا لَأُمَّةٌ صَدَقَ وَكَانَ مَقْتَلُ ابْنِ الزُّبَيْرِ يَوْمَ الثَّلَاثِ لَسْبَعِ
 عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ . وَلَمَّا قَتَلَ عَبْدُ اللَّهِ
 ابْنَ الزُّبَيْرِ خَرَجَ أَخُوهُ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ هَارِبًا مِنَ الْحِجْاجِ حَتَّى أَتَى الشَّامَ
 فَاسْتَجَارَ بِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فَأَجَارَهُ وَأَظْهَرَ أَكْرَامَهُ وَأَقَامَ عِنْدَهُ فَكَتَبَ
 الْحِجْاجُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ أَنَّ أَمْوَالَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عِنْدَ أَخِيهِ عُرْوَةَ فَرَدَهُ
 إِلَيْهِ لِاسْتِخْرَاجِهَا مِنْهُ فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ لِبَعْضِ أَحْرَاسِهِ انْطَلِقْ بِعُرْوَةَ إِلَى الْحِجْاجِ
 فَقَالَ عُرْوَةُ يَا بَنِي مَرْوَانَ مَا ذَلَّ مِنْ قَتَلْتُمُوهُ بَلْ ذَلَّ مِنْ مَلَكْتُمُوهُ فَتَدْمَى عَبْدُ
 الْمَلِكِ وَخَلَّى سَبِيلَ عُرْوَةَ وَكَتَبَ إِلَى الْحِجْاجِ أَنَّهُ عُرْوَةُ فَلَنْ أَسْلُطَكَ عَلَيْهِ
 وَأَقَامَ الْحِجْاجُ بِمَكَّةَ حَتَّى أَقَامَ لِلنَّاسِ الْحِجَّ وَأَمَرَ بِالْكَعْبَةِ فَتَقَضَّتْ وَأَعَادَ بِنَاءَها
 هُوَ هَذَا الْبِنَاءُ الْقَائِمُ الْيَوْمَ . وَفِي ذَلِكَ الْعَامِ تَوَفَّى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ أَرْبَعِ

وسبعون سنة فدفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين وكان يكنى أبا عبد الرحمن
وفيها مات أبو سعيد الخدري واسمه سعد بن مالك وفيها مات رافع بن خديج
وله ست وثمانون سنة وكان يكنى أبا عبد الله .

(ضرب النقود)

قالوا وأمر عبد الملك بضرب الدراهم سنة ست وسبعين ثم أمر بعد ذلك
بضرب الدينار وهو أول من ضربها في الاسلام وانما كانت الدراهم والدينار
قبل ذلك مما ضربت العجم . وفي تلك السنة مات جابر بن عبد الله وله
سبع وتسعون سنة .

(فتنة ابن الاشعث)

ثم خرج عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث بن قيس على الحجاج وكان
سبب خروجه أنه دخل على الحجاج يوما فقال له الحجاج انك لمنظرائي قال
عبد الرحمن أي والله ومخبرائي وقام عبد الرحمن فخرج فقال الحجاج لمن كان
عنده ما نظرت الى هذا قط الا اشقيت أن أضرب عنقه وكان عامر الشعبي
حاضرا وان عبد الرحمن لما خرج قعد بالباب حتى خرج الشعبي فقام عبد
الرحمن اليه فقال له هل ذكرني الأمير بعد خروجي من عنده بشئ فقال
الشعبي اعطني عهدا وثيقا ألا يسمعه منك أحد فأعطاه ذلك فأخبره بما كان
الحجاج قال فيه فقال عبد الرحمن والله لأجهدن في قطع خيط رقبته . ثم ان
عبد الرحمن دب في عباد أهل الكوفة وقرأتهم فقال أيها الناس ألا ترون
هذا الجبار يعني الحجاج وما يصنع بالناس ألا تغضبون لله ألا ترون ان السنة

قد أميتت والاحكام قد عطلت والمنكر قد علن والقتل قد فشا اغضبوا الله
واخرجوا معي فما يحمل لكم السكوت فلم يزل يدب في الناس بهذا وشبهه حتى
استجاب له القراء والعباد وواعدهم يوما يخرجون فيه فخرجوا على بكرة أبيهم
واتبعهم الناس فساروا حتى نزلوا الاهواز ثم كتبوا الى الحجاج

خلع الملوك وسارت تحت لوائه شجر العري وعراعر الاقوام

فأرسل الحجاج كتابه الى عبد الملك فكتب عبد الملك في جوابه

واني واياهم كمن نبه القطا ولولم ينبه باتت الطير لا تسرى

أخال صروف الدهر للحين منهم ستحملهم مني على مركب وعر

قالوا وأهديت لعبد الملك في ذلك اليوم جارية افريقية أهداها اليه
موسى بن نصير عامله على أرض المغرب وكانت من أجمل نساء دهرها
فباتت عنده تلك الليلة فلم ينل منها شيئا أكثر من أن غمز كفها وقال
لها والله ان دونك أمنية المتنى قالت فما يمنعك قال يمنعني بيت مدحنا
به وهو .

قوم إذا حاربوا شدوا ما زرهم دون النساء ولو باتت بأطهار

فزعوا انه مكث سبعة أشهر لا يقرب امرأة حتى أتاه قتل عبد الرحمن بن محمد
ثم ان الحجاج بعث أيوب بن القرية الى عبد الرحمن بن محمد وقال انطلق
فادعه الى الطاعة وله الأمان على ما سلف من ذنبه فانطلق اليه ابن القرية فدعاه
فأبلغ في الدعاء فقال له عبد الرحمن ويحك يا ابن القرية أيجل لك طاعته مع
ارتكابه العظام واستحلالة المحارم اتق الله يا ابن القرية ووال عباد الله في

البرية ولم يزل عبد الرحمن بابن القرية يخذعه حتى ترك ما أرسل فيه وأقام مع
عبد الرحمن فقال له عبد الرحمن اني أريد أن أكتب الي الحجاج كتابا
مسجعا أعرفه فيه سوء فعاله وأبصره قبح سريرته فأمله علي فقال أيوب ان
الحجاج يعرف ألفاظي قال وما عليك اني لأرجو أن تقتله عن قريب فأملني
عليه فكتب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الرحمن بن محمد الي الحجاج بن
يوسف سلام على أهل طاعة الله . الذين يحكمون بما أنزل الله . ولا يسفكون دما
حراما . ولا يعطلون لله أحكاما . فاني أحمد الله الذي بعثنى لمنزلتك . وقواتني
على محاربتك . حين تهتك ستورك . وتنجرت أمورك . فأصبحت حيران
تائها لهفان . لا تعرف حقا . ولا تلاثم صدقا . ولا ترتق فتقا . ولا تفتق رتقا .
وطال ما تناولت . فيما تناولت . فصرت في الغي مذبذبا . وعلى الشرارة
مركبا . فتدبر أمرك . وقس شريك بفترك . فانك مرآق عراق ومعك
عصاة فساق . جعلوك مثلهم . كخذوهم نعالهم . فاستعد الأبطال . بالسيوف
والعوال . فستذوق وبال أمرك . ويرجع عليك غيك . والسلام فلما قرأ
الحجاج الكتاب عرف ألقاظ ابن القرية وعلم أنه من املائه فكتب الي عبد
الرحمن في جوابه بسم الله الرحمن الرحيم من الحجاج بن يوسف الي عبد
الرحمن بن الاشعث سلام على أهل التورع لا التبذع فاني أحمد الله
الذي حيرك بعد البصيرة فرقت عن الطاعة . وخرجت عن الجماعة
فمسكرت في الكفر . وذهلت عن الشكر . فلا تحمد الله في سراء . ولا تصبر
لامره في ضراء . قد أتاني كتابك بلفظات فاجر . فاسق غادر . وسيمكن الله

منه ويهتك ستوره أما بعد فهلم الى فعل وفعال . ومعاقبة الابطال . بالبيض .
 والعوال . فان ذلك أحرى بك من قيل وقال . والسلام على من اتبع الهدى
 وخشى الله واتقى * . وان عبد الملك وجه الى الحجاج عشرة آلاف رجل من
 فرسان أهل الشام لمحاربة عبد الرحمن بن محمد فلما قدموا عليه تجهز وسار نحو
 عبد الرحمن فالتقوا بالاهواز فاقتلوا فانهزم عبد الرحمن ومضى على وجهه فرّ
 على رجل من أصحابه مسلوب حاف يمشى ويعثر فأنشأ عبد الرحمن يقول
 مُنخَرِقُ الخَفيِنِ يشكو الوَجِي تُنكثُهُ أطرافُ مَرَوِي حَدادِ
 أخرجهُ الخِذلانُ عن أرضه كذاك من يكره حرَّ الجِلالِ
 قد كان في الموت له راحة فالموتُ حتمٌ في رقابِ الِبادِ
 فقال الرجل فهلاً ثبتّ فنقاتل معك قال له عبد الرحمن أو بمثلك تُسدّ الثغور
 ومضى عبد الرحمن حتى استجار بملك الأتراك فأقام عنده فكتب عبد الملك
 الى ملك الأتراك يخبره بشقاق عبد الرحمن وخلعه الطاعة وخروجه عليه
 ويسأله أن يرده عليه فقال ملك الأتراك لطراخته ان ابن الأشعث هذا
 رجل مخالف للملوك فلا ينبغي لي أن أوويه بل أبعث به الى ملكه فبتولى
 من أمره ما أحبّ فوجه به مع مائة رجل من ثقاته فانزلوه في طريقه قصراً
 في قرية فرقى الى ظهر القصر ورمى بنفسه من السور فمات . وان أيوب بن
 القرية أسرف فيمن أسر من أصحاب عبد الرحمن فأدخل به على الحجاج فلما
 أدخل عليه قال له يا عدو الله بعثك رسولا الى عبد الرحمن فتركت ما بعثت
 له وصرت وزيراً ومشيراً تُصدر له الكتب وتسجع له الكلام وتدبر له

الامور فقال ابن القرية أصلح الله الامير كان شيطانا في مسك انسان استماني
 بسحره وخبني بلفظه فكان اللسان ينطق بغير ما في القلب قال الحجاج
 كذبت يا ابن اللخناء بل كان قلبك منافقا ولسانك مُداعجا فكتمتَ أمرا
 أظهره الله وأطعتَ فاسقا خذله الله فما بقي من نعتك قال ابن القرية ذهني
 جديد وجوابي عتيد قال كيف علمك بالارض قال ليسألني الامير عما أحب
 قال أخبرني عن الهند قال بمرها دُرٌّ وجبلها ياقوت وشجرها عطر قال فأخبرني
 عن مُكران قال ماؤها وشل وتمرها دقل وسهلها جبل ولصها بطل ان كثير
 الجيش بها جاعوا وان قتلوا ضاعوا قال فخراسان قال ماؤها جامد وعدوها
 جاهد بأسهم شديد وشرهم عتيد وخيرهم بعيد قال فاليمن قال أرض العرب
 ومعدن الذهب قال فعمان قال حرها شديد وصيدها موجود وأهلها عبيد قال
 فالبحران قال كناسة بين مصرين وجنة بين بحرین قال فمكة قال قوم
 ذوو جفاء ومن سجيتهم الوفاء قال فالمدينة قال ذوو لطف وبرٍّ وخير وشرٍّ
 قال فالبصرة قال حرها فادح وماؤها مالح وفيضها سائح قال فالكوفة قال جنة
 بين سحاة وكنة. العراقُ تحشد لها والشام يُدرّ عليها سفلت عن برد الشام
 وارتفعت عن حرّ الحجاز قال فالشام قال تلك عروس بين نسوة جلوس
 تجلب اليها الاموال وفيها الضراغمة الابطال قال له الحجاج ثكلتك أمك
 أنت المصدر الكتب لابن الاشعث ألم تعلم أني لا أصحاب على الشقاق ولا
 أجامع على النفاق قال ابن القرية استبقني أيها الامير قال لماذا قال لنبوة بعد
 هفوة قال الحجاج لا بل لغدرة بعد نكثة يا غلام ناوئني الحربة فتناولها وقد

أمسك ابن القرية أربعة رجال فلا يستطيع تحريكها وهز الحجاج الحربة ثلاثا
 فقال ابن القرية اسمع مني ثلاث كلمات تكن بعدى مثلا قال هات قال لكل
 جواد كبرة. ولكل حلیم هفوة. ولكل شجاع نبوة. فوضع الحجاج الحربة في
 ثندوة ابن القرية ودفعا حتى خالطت جوفه ثم خضخضها وأخرجها فاتبعها
 دم أسود فقال الحجاج هكذا تشخب أوداج الابل وفحص ابن القرية برجليه
 وشخص بصره وجعل الحجاج ينظر اليه حتى قضى فحبل في النطع فقال
 الحجاج لله درك يا ابن القرية أي أدب فقدنا منك وأي كلام رصين سمعنا
 منك . ودخل بعد ذلك أنس بن مالك فقال له الحجاج هيه يا أنس يوما مع
 المختار ويوما مع ابن الأشعث جوال في الفتن والله لقد هممت ان أطحنك
 طحن الرحا بالثقال وأجعلك غرضا للنبال قال أنس من يعنى الأمير أصلحه
 الله قال اياك أعنى أسكت الله سمعك فانصرف أنس الى منزله وكتب من
 ساعته الى عبد الملك بن مروان بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله عبد الملك
 أمير المؤمنين من أنس بن مالك أما بعد فان الحجاج قال لى نكرا وأسمعى
 هجرا ولم أكن لذلك منه أهلا فخذ على يديه واعدنى عليه والسلام . فلما
 قرأ عبد الملك كتاب أنس استشاط غضبا ثم كتب اليه هيه يا ابن يوسف
 أردت أن تعلم رأى أمير المؤمنين فى أنس فان سوغك مضيت قُدا وان
 لم يسوغك رجعت القهقرى يا ابن المستفرمة بعجم الزيب أنسيت مكاسب
 آباتك بالطائف فى حفر الآبار وسد السكور وحمل الصخور على الظهور
 أبلغ من جرأتك على أمير المؤمنين أن تُعنت بأنس بن مالك خادم رسول الله

صلى الله عليه وسلم ست سنين يطلعه على سره ويفشي اليه الاخبار التي
 كانت تأتيه عن ربه فاذا أتاك كتابي هذا فامش اليه على قدميك حتى تأخذ
 كتابه اليّ بالرضا والسلام . فلما وصل كتاب عبد الملك الى الحجاج قال لمن
 حوله من أصحابه قوموا بنا الى أبي حمزة فقام ماشيا وهضي معه أصحابه حتى
 أتى أنسا فأقرأه كتاب عبد الملك اليه في أمره فقال أنس جزى الله أمير
 المؤمنين خيرا كذلك كان رجائي فيه قال له الحجاج فان لك العتبي وانا صائر
 الى مسرتك فاكتب الي أمير المؤمنين بالرضا فكتب اليه أنس بالرضا عنه
 ودفعه الى الحجاج فأنفذه الحجاج على البريد الى عبد الملك قالوا ولاحظت
 عبد الملك الوفاة وذلك في سنة ست وثمانين أخذ البيعة لابنه الوليد وكان
 ولده الوليد وسليمان ويزيد وهشام ومسلمة ومحمد ثم قال للوليد يا وليد لا أفينك اذا
 وضعتني في حفرتي ان تعصر عينيك كالامة الورهاء بل ايتزر وشمر والبس جلد النمر
 وادع الناس الى البيعة ثانيا فمن قال برأسه كذا قتل بالسيف كذا ووعك وعكا
 شديدا فلما أصبح جاء الوليد فقام يباب المجلس وهو غاص بالنساء فقال كيف
 أصبح أمير المؤمنين قيل له يُرجى له العافية وسمع عبد الملك ذلك فقال
 وكم سائل غنا يريد لنا الردي وكم سائلات والدموع ذوارف
 ثم أمر بالنساء فخرجن وأذن لبني أمية فدخلوا عليه وفيهم خالد وعبد الله ابنا
 يزيد بن معاوية فقال لهما يا بني يزيد أتجبان ان أقبلكما بيعة الوليد قالوا معاذ
 الله يا أمير المؤمنين قال لو قلتما غير ذلك لامرت بقتلكما على حالتي هذه ثم
 ثم خرجوا عنه واشتد وجهه فتمثل بيت امية بن أبي الصلت

ليتني كنتُ قبل ما قد بدالى فى قلال الجبال أرعى الوُعولا

فلم يمس يومه ذلك حتى قضى وكان سلطانه احدى وعشرين سنة وستة أشهر
وكان له يوم مات ثمان وخمسون سنة من ذلك سبع سنين كان فيها محاربا
لعبد الله بن الزبير ثم صفا له الملك بعد قتله ابن الزبير ثلاث عشرة سنة ونصفا

(خلافة الوليد بن عبد الملك)

ولما انصرف الوليد من قبل أبيه قصد المسجد الاعظم واجتمع اليه الناس
فبايعوه وعقد لعمر بن عبد العزيز بن مروان على الحرمين فنزل المدينة فدعا
بعشرة نفر من افاضل أهلها منهم عروة بن الزبير وعبيد الله بن عتبة وأبو
بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام وأبو بكر بن سليمان بن أبي حنيفة
وسليمان بن يسار والقاسم بن محمد وسالم بن عبيد الله فاجتمعوا فدخلوا عليه فقال
اعلموا انى لست أقطع أمرا إلا برأيكم ومشورتكم فأشيروا على قالوا نفعل أيها
الامير جزيت على ما تنوى خيرا ما تجزى موثرا لمرضاة ربه ثم خرجوا

(بناء الحرم المدني)

ثم كتب الوليد الى عمر بن عبد العزيز أن يشتري الدور التي حول
مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيزيدها فى المسجد ويجدد بناء المسجد
وكتب الى ملك الروم يُعلمه ما هم به من ذلك ويسأله أن يعث اليه ما استطاع
من الفسيفساء فوجه اليه منها أربعين وسقا فبعث به الى عمر بن عبد العزيز
فهدم عمر المسجد وزاد فيه وبناه وزينه بالفسيفساء

(عبور نهر باتح وفتح بخارى وسمرقند)

وكان على خراسان من قبل الحجاج قتيبة بن مسلم الباهلي فكتب اليه الحجاج يأمره بعبور النهر نهر بلخ وأن يفتح تلك البلاد فاستعد قتيبة وسار في المفازة التي بين مدينة مرو وبين مدينة آموية وهي ذات رمال وغضا فصار الى آموية ثم عبر النهر وسار الى بخارى وكان ملك تلك الارضين يسمى صؤل وكان ملكه على جميع ما وراء النهر فلقبه الملك فخار به قتيبة فهزمه وهرب صول نحو الصغانيان فاحتوى قتيبة على بخارى وحبزها فولى عليها رجلا وسار حتى وافى بلاد السغد فأتاخ على مدينتها العظمى وهي سمرقند فحاصرها أشهراً فوجه اليه دهقانها انك لو أقمت على مدينتي هذه عمرك لم تصل اليها لأنجد في كتب آباءنا أنه لا يقدر عليها إلا رجل اسمه بالان لست إياه فاهض لشأنك فزعموا أن قتيبة احتال لما يئس من مكابرتها فبأ صناديق وجعل لها أبواباً من أسافلها تُغلق من داخل وتُفتح وجعل في كل صندوق رجلاً مستلماً معه سيفه وأقلل أبوابها العليا ثم أرسل الى الدهقان أما اذ كان هكذا فأتى راحل عنك الى الصغانيان وناحيتها وهي فضول أموال وسلاح فوادعني واحرز هذه الصناديق عندك الى عودي ان سلمت فأجابه الى ذلك وتقدم قتيبة الى الرجال أن يفتحوا أبواب الصناديق في خوف الليل فيخرجوا ثم يصيروا الى باب المدينة فيفتحوه وأمر الدهقان بالصناديق فأدخلت المدينة فلما جن الليل وهدأ الناس خرج الرجال مستلثمين معهم السيوف لا يستقبلهم أحد إلا قتلوه حتى أتوا باب المدينة فقتلوا الحرس وفتحوا الباب ودخل قتيبة بالجيش ووقعت

الواعية وهرب الدهقان في سرب فلاحق بالملك وصارت سمرقند في قبضة قتيبة فحلف عليها رجلا وسار حتى أتى الصغانيان فهرب الملك منه حتى صار في بلاد الترك ووغل فيها وختلى الملكة لقتيبة فدخل قتيبة الصغانيان ووجه عماله إلى كشي ونسف واقتح جميع ما وراء النهر وجميع تخارستان ولم يبق من خراسان شيء الا افتحه ولم يزل قتيبة بخراسان سنين حتى شغب عليه أجناده فقتلوه فاستعمل الوليد بن عبد الملك عليها الجراح بن عبد الله الحكمي وحجج الوليد بن عبد الملك في سنة احدى وتسعين وقد فرغ عمر بن عبد العزيز من بناء مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فدخله وطاف به ونظر الى بنائه ولم يكن بقي في زمن الوليد من الصحابة الا نفر يسير منهم بالمدينة سهل بن سعد الساعدي وكان يكنى أبا العباس توفي في آخر خلافة الوليد وكان يوم مات ابن مائة سنة ومنهم جابر بن عبد الله وبالْبصرة أنس بن مالك وبالكوفة عبد الله بن أبي أوفى وبالشام أبو أمامة الباهلي . وفي السنة الخامسة من خلافة الوليد مات الحجاج بواسط وله أربع وخمسون سنة وكانت امرته على العراق عشرين سنة منها في خلافة عبد الملك خمس عشرة سنة وفي خلافة الوليد خمس سنين وقد كان قتل سعيد بن جبير قبل موته بأربعين يوما . قالوا وكان يقول في طول عرضه اذا هجر مالي ولك يا ابن جبير وقتل ابن جبير وهو ابن تسع وأربعين سنة وكان يكنى أبا عبد الله وكان ولاؤه لبني أمية

(خلافة سليمان بن عبد الملك)

ولما تمَّ للوليد بن عبد الملك تسع سنين وستة أشهر حضرته الوفاة فأسند

الملك الى أخيه سليمان بن عبد الملك فبويع سليمان في جمادى الآخرة سنة ست وتسعين وسليمان يومئذ من أبناء سبع وثلاثين سنة فملك سليمان سنتين وثمانية أشهر ثم مرض مرضه التي مات فيها فلما ثقل كتب كتابا وختمه ولم يدر أحد ما كتب فيه ثم قال لصاحب شرطه اجمع اليك اخوتي وعمومتي وجميع أهل بيتي وعظماء أجناد الشام واحملهم على البيعة لمن سميت في هذا الكتاب فن أبي منهم أن يبايع فاضرب عنقه ففعل فلما اختموا في المسجد أمرهم بما أمر به سليمان فقالوا اخبرنا من هو لبنايعه على بصيرة فقال والله ما أدري من هو وقد أمرني أن أضرب عنق من أبي قال رجاء بن حيوة فدخلت على سليمان فأكبت عليه وقلت يا أمير المؤمنين من صاحب الكتاب الذي أمرتنا بمبايعته فقال ان أخوي يزيد وهشاما لم يبلغنا أن يؤتمنا على الأمة فجعلتها للرجل الصالح عمر بن عبد العزيز فاذا توفي عمر رجع الامر اليهما فخرج رجاء بن حيوة فأخبر يزيد وهشاما بذلك فرضيا وسلما وبايعا . ثم بايع بعدها جميع الناس وكان أكبر ولده يومئذ محمد بن سليمان كانت له اثنا عشرة سنة فجعل يقول وهو يجود بنفسه

إِنَّ بَنِيَّ صَبِيَّةٌ صَبِيَّةُونَ أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ رِبِيَّةُونَ

وذكر عن الكلبي أنه قال بعث إلى سليمان بن عبد الملك فدخلت عليه وقد اتفخ سحرى فسلمت عليه بالخلافة فرد على السلام ثم أومأ إلى جلست فسكت عنى حتى اذا سكن جاشى قال لى يا كلبي ان ابني محمدا قررة عيني . وثمره قلبى وقد رجوت أن يبلغ الله به أفضل ما بلغ رجلا من أهل بيته

وقد وثيتك تأديبه فعلمه القرآن ورواه الأشعار فان الشعر ديوان العرب وفهمه أيام الناس وخذه بعلم الفرائض وفهمه السنن ولا تقتر عنه ليلا ولا نهارا فاذا أخطأ بكلمة أوزل بحرف أو هفا بقول فلا تؤنبه بين يدي جلسائه ولكن اذا خلا لك مجلسه لثلاثمحاك واذا دخل عليه الناس للتسليم فخذ به بالطافهم واظهار برهم واذا حيوه بتحية فليحيهم بأحسن منها وأطيبا لمن حضر بما ائدتكما الطعام وأحمله على طلاقة الوجه وحسن البشر وكظم الغيظ وقلة القدر والشبث في المنطق والوفاء بالعهد وتنكب الكذب ولا يركبن فرسا محذوفا ولا مهلوبا ولا يركبن بسرج صغير فتبدو اليثاء منه قال فلم يلبث سليمان بعد ذلك الا قليلا حتى مات

(خلافة عمر بن عبد العزيز)

وأسند الأمر الى عمر بن عبد العزيز . قالوا فلما استخلف قعد للناس على الارض فقيل له لو أمرت ببساط يبسط لك فتجلس ويجلس الناس عليه كان ذلك أهيب لك في قلوب الناس فتمثل

قضى ما قضى فيما مضى ثم لا ترى له صبوة احدى الليالى الغواير

ولولا التقي من خشية الموت والردى لعاصيت في حب الصبا كل راجر

وكان اذا جلس للناس قال بسم الله وبالله وصلى الله على رسول الله (أفرايت

ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يتمتعون) ثم

تمثل بهذه الايات

نسر بما يبلى ونشغل بالمنى كما سر بالاحلام في النوم حالم

نهارك يامرور سهوً وغفلةً وليلك نوم والردي لك لازم
وسعيك فيما سوف تكره غبه كذلك في الدنيا يعيش البهائم
ثم نصب نفسه لرد المظالم وبدأ بيني أمية وأخذ ما كان في أيديهم من الغصوب
فردها على أهلها فدخل عليه أناس من خاصته فقالوا يا أمير المؤمنين ألا تخاف
غوائل قومك فقال أيوم سوى يوم القيامة تخوفونني فكل خوف أتقيه قبل
يوم القيامة لاوقيته . فلما تم لخلافته سنتان وخمسة أشهر مات

(خلافة يزيد بن عبد الملك)

وأفضى الأمر الى يزيد بن عبد الملك في أول سنة مائة واحدى فولى
المصرين أخاه مسلمة بن عبد الملك وكان مسلمة ذاعقل كامل وأدب فاضل
فاستعمل مسلمة على خراسان سعيد بن عبد العزيز بن الحكم بن أبي
العاص بن أمية .

(بدء الدعوة العباسية)

قالوا وفي ذلك العام توفدت الشيعة على الامام محمد بن علي بن عبد الله
ابن عباس بن عبد المطلب بن هاشم وكان مستقره بأرض الشام بمكان يسمى
الحجبية وكان أول من قدم من الشيعة ميسرة العبدى وأبو عكرمة السراج
ومحمد بن خنيس وحيان العطار فقدم هؤلاء عليه فأرادوه على البيعة وقالوا له
ابسط يدك لنا يبعك على طلب هذا السلطان لعل الله أن يحيي بك العدل
ويميت بك الجور فان هذا وقت ذلك وأوانه الذى وجدناه مأثورا عن
علمائكم فقال لهم محمد بن عليّ هذا أوان ما نؤمل ونرجو من ذلك لا تقضاه

مائة سنة من التاريخ فانه لم تنقض مائة سنة على أمة قط الا أظهر الله حق
المحقين وأبطل باطل المبطلين لقول الله جل اسمه (أو كالذي مرَّ على
قرية وهي خاوية على عروشها قال أتى نجيب هذه الله بعد موتها فأماته
الله مائة عام ثم بعثه) فانطلقوا أيها النفر فادعوا الناس في رفق وستر فأتى
أرجو أن يتم الله أمركم ويظهر دعوتكم ولا قوة الا بالله . ثم وجه ميسرة
العبدىّ ومحمد بن خنيس الى أرض العراق ووجه أبا عكرمة وحيان العطار
ألى خراسان وعلى خراسان يومئذ سعيد بن عبد العزيز بن الحكم بن أبي
العاص فجعلوا يسيران في أرض خراسان من كورة الى أخرى فيدعون الناس
الى بيعة محمد بن علي ويؤهدانهم في سلطان بني أمية نخبث سيرتهم وعظيم
جورهم فاستجاب لهما بخراسان أناس كثير وفشا بعض أمرهم وعلن فبلغ
امرهما سعيدا فأرسل اليهم فأتى بهم فقال من أتم قالوا نحن قوم تبار قال
فما هذا الذي يذكر عنكم قالوا وما هو قال أخبرنا انكم جئتم دعاة لبني
العباس قالوا أيها الأمير لنا في أنفسنا وتجارتنا شغل عن مثل هذا فأطلقهم
فخرجوا من عنده وارتحلوا من مرو فجعلوا يدوران كور خراسان ورسايقها في
عداد التجار فيدعون الناس الى الامام محمد بن علي فمكثا بذلك عامين ثم
قدما على الامام محمد بن علي بأرض الشام فأخبراه أنهما قد غرسا بخراسان
غرسا يرجوان أن يثمر في أوانه والفياء قد ولد له أبو العباس ابنه فأمر
باخراجه اليهم قال هذا صاحبكم فقبلوا أطرافه كلها وكان مع الجنيد بن عبد
الرحمن عامل السند رجل من الشيعة يسمى بكبير بن ماهان فانصرف الى

موطنه من الكوفة وقد أصاب بأرض السند مالا كثيرا فلقبه ميسرة العبدى وابن خنيس وأخبره بأمرها وسألاه أن يدخل في الأمر معها فأجابها إليه وقام معها وأنفق جميع ما استفاد بأرض السند من الاموال بذلك السبب ومات ميسرة بأرض العراق وكتب الامام محمد بن عيسى الى بكير بن ماهان أن يقوم مقام ميسرة وكان بكير يكنى بأبي هاشم وبها كان يعرف في الناس وكان رجلا مفوها فقام بالدعاء وتولى الدعوة بالعراقين وكان كتب الامام تأتية فيغسلها بالماء ويعجن بغسالتها الدقيق ويأمر فيختبر منه قرص فلا يبقى احد من أهله وولده الا أطعمه منه ثم انه مرض مرضه الذي مات فيه فأوصى الى أبي سلمة الخلال وكان أيضا من كبار الشيعة وكتب الى الامام يعلمه ذلك فكتب محمد بن عيسى الى أبي سلمة فولاه الأمر وأمره بالقيام بما كان يقوم به أبو هاشم ثم كتب الى أبي عكرمة وحيان وكانا صاحبي الامر بخراسان يأمرهما أن يكاتبا أباسلمة وينتھيا الى أمره ورأيه وكان يقطين والوليد بن الأزرق صديقين لأبي سلمة فدعاهما الى الدخول معه في أمره فأجاباه ودخلا معه وكانفاه ثم ان يزيد بن عبد الملك عزل أخاه مسلمة عن العراق وخراسان واستعمل مكانه خالد بن عبد الله القسري واستعمل خالد أخاه أسد بن عبد الله على خراسان فاتھى خبر أبي عكرمة وحيان الى أسد بن عبد الله فأمر بطلبهما فأخذا وأتى بهما فضربت أعناقهما وصلبا . وبلغ ذلك محمد بن عيسى فقال الحمد لله الذي صحح هذه العلامة وقد بقي من شيعتي رجال سوف يفوزون بالشهادة فلما تم لملك يزيد بن عبد الملك أربع سنين وأشهر توفي باللقاء من

أرض دمشق وكانت وفاته سنة خمس ومائة وله يوم مات ثمان وثلاثون سنة

(خلافة هشام بن عبد الملك)

ثم استخلف هشام بن عبد الملك وهو ابن أربع وثلاثين سنة فعزل أسد ابن عبد الله عن خراسان وولاهما الجنيد بن عبد الرحمن وكان رجلا من اليمانية ذا فضل وسخاء وهو الذي يقول فيه الشاعر

ذهب الجودُ والجنيدُ جميعاً فعلى الجردِ والجنيدِ السلامُ

ولما قُتل أبو عكرمة وحيّان وجه الإمام محمد بن عليّ إلى خراسان خمسة نفر من شيعته سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم وموسى بن كعب وخالد بن الهيثم وطلحة بن زريق وأمرهم بكتمان أمرهم وأن لا يُفشوه إلى أحد إلا بعد أن يأخذوا عليه العهد المؤكدة بالكتمان فساروا حتى أتوا خراسان فكانوا يأتون كورة بعد كورة فيدعون الناس سرا إلى أهل بيت نبهم ويُغضون اليهم بنى أمية لما يظهر من جورهم واعتدائهم وركوبهم القبائح حتى استجاب لهم بشر كثير في جميع كور خراسان وبلغ الجنيد أمرهم فأمر بطلبهم وأخذوا وأتى بهم الجنيد فقال يا فسقة قدمتم هذه البلاد فأفسدتم قلوب الناس على بنى أمية ودعوتهم إلى بنى العباس فتكلم سليمان بن كثير وقال أيها الأمير أأذن لي في الكلام قال تكلم قال إنا وإيك كما قال الشاعر

لو بغير الماء - حلقى شرق - لاستغثت اليومَ بالماء القراح

نعلمك أيها الأمير أنا أناس من قومك اليمانية وإن هؤلاء المضرية تعصبوا علينا فرقوا إليك فينا الزور والبهتان لأننا كنا أشد الناس على قتيبة فهم الآن

(٢١ - الاخبار)

يطلبون بثأره بكل علة فقال الجنيد لمن كان حوله من أصحابه ماترون فتكلم
 عبد الرحمن بن نعيم رئيس ربيعة وكان من خاصته نرى أن تمن بهم على قومك
 فعمل الأمر كما يقولون فأمر بإطلاقهم فخرجوا وكتبوا بقصتهم إلى الامام فكتب
 إليهم إن هذا أقل ما لكم فآكتموا أمركم وترفقوا في دعوتكم فساروا من
 مدينة مرو إلى بخارى ومن بخارى إلى سمرقند ومن سمرقند إلى كش ونسف
 ثم عطفوا على الصغانيان وجازوا منها إلى ختلان وانصرفوا إلى مرو وروذ
 والطالقان وعطفوا إلى هراة وبوشنج وجازوا إلى سجستان فغرسوا في هذه
 البلدان غرسا كثيرا وفشا أمرهم في جميع أقطار خراسان وبلغ ذلك الجنيد
 فأسف على تركهم ووجه في طلبهم فلم يقدر عليهم فكتب إلى خالد بن عبد الله
 القسري وكان على العراق يُعلمه انتشار خراسان وما حدث فيها من الدعاة
 إلى محمد بن علي فكتب خالد بن عبد الله إلى هشام يعلمه بذلك فكتب
 إليه هشام يأمره بالكتاب إلى الجنيد ألا يرغب في الدماء وأن يكف عن
 كف عنه ويُسكن الناس بجهدده وأن يطلب نفر الذين يدعون الناس حتى
 يجدهم فينفيهم فلما اتعى ذلك إلى الجنيد بث رسله في أقطار خراسان وكتب
 إلى عماله في الكور بطلب القوم فطأبوا فلم يُدرك لهم أثر

(بدء أمر أبي مسلم الخراساني)

قالوا وكان بدء أمر أبي مسلم انه كان مملوكا لعيسى ومعتل ابني ادريس
 ابن عيسى العجليين وكان مسكنهما بماء البصرة مما يلي أصبهان وكان أبو مسلم
 وُلد عندهما قنشا غلاما فهما لقنا أديبا ذهنا فأحباه حتى نزل منهما منزلة الولد وكانا

يتوليان بني هاشم ويكاتبان الامام محمد بن علي فكثا بذلك ما شاء الله .
ثم ان هشاما عزل خالد بن عبد الله القسري عن العراق وولى مكانه يوسف
ابن عمر الثقفي فكان يوسف بن عمر لا يدع أحدا يعرف بموالاة بني هاشم
ومودة أهل بيت رسول الله الا بعث اليه فحبسه عنده بواسط فبلغه أمر عيسى
ومعقل ابني ادريس فأشخصهما وحبسهما بواسط فيمن حبس من الشيعة وكانا
أخرجا معهما أبا مسلم فكان يخدمهما في الحبس وان سليمان بن كثير ومالك
ابن الهيثم ولاهز بن قرط وهم كانوا الدعاة بخراسان قدموا للحج وقدم معهم
قحطبة بن شبيب وكان ممن بايعهم وشايعهم على أمرهم فجعلوا طريقهم على
مدينة واسط ودخلوا الحبس فلقوا من كان فيه من الشيعة فرأوا أبا مسلم فأعجبهم
ما رأوا من هيئته وفهمه واستبصاره في حب بني هاشم ونزل هو لاء نفر بعض
الفنادق بواسط فكان أبو مسلم يختلف اليهم طول مقامهم حتى أنس بهم
وأنسوا به فسألوه عن أمره فقال ان أمي كانت أمة لعير بن بطين العجلي
فوقع عليها فحملت بي فباعها وهي حامل فاشتراها عيسى ومعقل ابنا ادريس
فولدت عندهما فأنا كهيئة المملوك لهما ثم ان نفر شخصوا من واسط وأخذوا
نحو مكة على طريق البصرة فوصلوا الى مكة وقد وافاها الامام محمد بن علي
حاجا فلقوه وسلموا عليه وأخبروه بما غرسوا به في جميع خراسان من الغرس ثم
أخبروه بممرهم بواسط اودخلهم على اخوانهم المحبسين بها ووصفوا له صفة
بي مسلم وما رأوا من ذكاء عقله وفهمه وحسن بصره وجودة ذهنه وحسن
نطقه فسألهم أحر هو أم مملوك فقالوا أما هو فيزعم أنه ابن عمير بن بطين

العجلى كانت قصته كيت وكيت ثم فسروا له ما حكى لهم من أمره فقال
ان الولد تبع^ه للأم فاذا انصرقتم فاجعلوا ممركم بواسطة فاشتروه وابعثوا به الى
الحميمة من أرض الشام لاجعله الرسول فيما بيني وبينكم على انى أحسبكم
لا تلقوني بعد عامي هذا فان حدث بي حدث^ت فصاحبكم ابني هذا يعنى
ابراهيم فاستوصوا به خيرا فانى سأوصيه بكم خيرا فانصرف القوم نحو خراسان
ومروا بواسطة ولقوا عيسى ومعتل ابني ادريس فأخبروها بحاجة الامام الى
أبي مسلم وسألوهما يبعه منهم فزعموا انهما وهباه له فوجه به القوم الى الامام
فلما رآه تفرس فيه الخير ورجا أن يكون هو القيم بالأمر لعلامات رآها فيه
قد كانت بلغته فجعله الرسول فيما بينه وبينهم فاختلف اليهم مرارا كثيرة ثم
توفي الامام محمد بن علي^ت فقام بالأمر مده ابنه ابراهيم بن محمد وكان أكبر
ولده فأمر أبا مسلم أن يسير الى الدعاة بالعراق وخراسان فيعلمهم وفاة الامام
وقيامه بالأمر من بعده فسار حتى وافى العراق ولقى أباسلمة ومن كان معه
من الشيعة فأخبرهم بما أمره به ثم سار الى خراسان ولقى الدعاة بها فأخبرهم
بذلك وبلغ وفاة الامام جميع من بايع في أقطار خراسان فسودوا ثيابهم حزنا
لمصابه وتسأبا عليه وكان أول من سود منهم ثيابه حرّيس مولى خزاعة وكان عظيم
أهل نسا ثم سودها من بعده قحطبة بن شبيب ثم سود القوم جميعا وكثرت الشيعة
بخراسان كلها وعلن أمرهم وكتب يوسف بن عمر وكان على العراقيين الى هشام
ينخبره بذلك فكتب هشام الى يوسف يأمره أن يبعث اليه رجلا له علم بخراسان
ومعرفة بمن فيها من قوادها وجنودها وقد كان يوسف بن عمر عزل عنها الجنيد بن

عبد الرحمن واستعمل عليها جعفر بن حنظلة البهراني فكتب جعفر الى يوسف بن عمر مع عبد الكريم بن سليط بن عطية الحنفي يخبره بتفاقم امر المسودة بخراسان وكثرة من اجاب الدعاء بها فلما اتاه كتاب هشام يأمره ان يوجه اليه رجلا له علم بخراسان حمل عبد الكريم بن سليط اليه على البريد قال عبد الكريم فسرت حتى وافيت دمشق فدخلت على هشام فسلمت عليه بالخلافة فقال لي من انت قلت انا عبد الكريم بن سليط بن عطية الحنفي قال كيف علمك بخراسان واهلها قلت انا بها جد عالم ثم اخبرته ان وجهي كان منها بكتاب اميرها جعفر بن حنظلة البهراني الى يوسف بن عمر يخبره بما حدث فيها قال اني اريد ان اولى امرها رجلا من القواد الذين هم مرتبون بها فمن ترى ان اولى امرها منهم وايهم اقوم بها قال عبد الكريم وكان هواي في اليمانية فقلت يا امير المؤمنين اين انت عن رجل من قوادها ذي حزم وبأس ومكيدة وقوة ومكانة من قومه قال ومن هو قلت جد يع ابن علي الازدي المعروف بالكرماني قال وكيف سمي الكرماني قلت وولد بكرمان كان ابوه مع المهلب عند محاربتة الازارقة فولد هذا هناك قال لاحاجة لي في اليمانية وكان هشام يبغض اليمانية وكذلك سائر بني أمية قلت يا امير المؤمنين فاین أنت من المجرّب البطل النافذ اللسن قال ومن هو قلت يحيى بن نعيم المعروف بأبي الميلاء وهو ابن أخي مصقلة بن هبيرة قال لاحاجة لي فيه لان ربيعة لا تسدّ بها الثغور قلت يا امير المؤمنين فعليك بالماجد الليب الاريب الكامل الحسيب عقييل بن معقل الليثي قال فكأنه هويه فقلت ان

اغفرت منه هنةً فيه قال وما هي قلت ليس بعفيف البطن والفرج قال لا حاجة لي فيه قلت فالكامل النافذ الفارس المجرب مُحسّن بن مزاحم السلمي قال فكأنه هويه للمضريّة قلت ان اغفرت هنةً فيه قال وما هي قلت أ كذب ذى لهجة قال لا حاجة لي فيه قلت فذو الطاعة لكم المتمسك بعهدكم المقتدى بقدوتكم يحيى بن الحضين بن المنذر بن الحرث بن وعله قال ألم أخبرك ان ربيعة لا تسد بها الثغور قلت فالكامل النافذ الشجاع البطل قطن بن قتيبة ابن مسلم قال فقال اليه أيضا بالمضريّة قلت ان اغفرت منه هنة قال وما هي قلت لا آمنه ان أفضى اليه السلطان أن يطلب جنود خراسان بدم أبيه قتيبة قاتهم جميعا تظافروا عليه قال لا حاجة لي فيه قلت فأين أنت من العفيف المجرب الباسل المحبك نصر بن سيّار الليثي قال فكأنه تفاعل به وما ل اليه بالمضريّة قلت ان اغفرت منه خصلة قال وما هي قلت ليست له بخراسان عشيرة من جنودها واتما يقوى على ولاية خراسان من كانت له بها عشيرة من جنودها قال فأىّ عشيرة أكثر منى لا أبالك يا غلام انطلق الى الكتاب فبرهم بإنشاء عهده وأثبوني به فكتب له عهده وأتى به فناولنيه وقال انطلق حتى توصله اليه ثم أمر أن أحمل على البريد فسرت حتى وافيت خراسان فأثبته في منزله فناولته العهد فأمر لي بعشرة آلاف درهم ثم تناول العهد فانطلق الى جعفر بن حنظلة الأمير كان بها فدخل عليه وهو جالس على سريره فناوله العهد فلما قرأه أخذ بيد نصر فرفعه حتى أجلسه معه على سريره وقال سمعا وطاعة لا مير المؤمنين فقال له نصر أبا خلف السلطان سلطانك فمر بأمرك

ودعاه جعفر بن حنظلة وسلم الأمر اليه . وان سليمان بن كثير ولاهز بن قرط ومالك بن المهيم وقحطبة بن شيب أرادوا الحج فخرجوا مع الحاج متكرين حتى أتوا مكة وقد وافاها في ذلك العام ابراهيم بن محمد الامام فأخبروه بما اجتمع له الناس بخراسان وقد كانوا حملوا اليه ما بعثت به اليه الشيعة فقالوا قد حملنا اليك مالا قال وكم هو قالوا عشرة آلاف دينار ومائتا ألف درهم فقال سلموه الي مرلاى معروة قد دفعوه اليه فقال لهم ابراهيم اني قد رأيت أن اولى الامر هناك أبا مسلم لما جرت من عقله وبلوت من أماته وأنا موجه معكم فاسمعوا له وأطيعوا أمره فانّ والدى رحمة الله عليه قد كان وصف لنا صفته وقد رجوت أن يكون هو الذى يسوق لنا الملك فعاونوه وكانفوه وانتهوا الي رأيه وأمره قالوا سمما وطاعة لك أيها الامام فانصرفوا وأبو مسلم معهم حتى صاروا الي خراسان فتشمر أبو مسلم للدعاء وأخذ القوم بالبيعة ووجه كل رجل من أصحابه الي ناحية من خراسان فكانوا يدرون بها كورة كورة وبلدا بلدا في زى التجار فاتبعه عالم من الناس عظيم فواعدهم لظهوره يوما سماه لهم وولى على من بايعه في كل كورة رجلا من أهلها وتقدّم اليهم بالاستعداد للخروج في ذلك اليوم الذى سماه لهم حتى أجاب جميع أرض خراسان سهلها وجبلها وأقصاها وأدناها وبلغ في ذلك ما لم يبلغه أصحابه من قبله واستتب له الامر على محبته وصار من أعظم الناس منزلا عند شيعته حتى كانوا يتحالفون به فلا يحشون ويندكرونه فلا يملون . وقد كان خالد بن عبد الله القسرى ولى العراقين عشر سنين أربعا في خلافة يزيد بن عبد الملك وستا في خلافة

هشام فلما عزله هشام وولى مكانه يوسف بن عمر حاسبه يوسف فخرج عليه عشرة آلاف ألف درهم قد كان وهبها للناس وبذرهما وكان من أسخى العرب فحبسه يوسف بن عمر عنده بالعراق وكتب الى هشام بتقاعد خالد بالمال الذى خرج عليه فكتب اليه هشام بالبسط عليه فدعا به يوسف بن عمر وقال ما هذا التقاعد بماال السلطان يا ابن الكاهن يعني شق بن صعب المعروف بالكهانة وكان خالد بن عبد الله من ولده فقال له خالد بن عبد الله أتعيرني بشرفي يا ابن الخمار وانما كان أبوك وجدك بالطائف أصحاب حانة وبلغ هشاما ان خالدا بذّر ذلك المال في الناس فكتب الى يوسف يأمره باطلاقه والكف عنه فلم يزل خالد مقبيا بالكوفة حتى خرج زيد بن عليّ ابن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام بالكوفة وكان خروجه في صفر سنة ثمان عشرة ومائة فسار اليه يوسف بن عمر فالتقوا بالكناسة فانهزم أصحاب زيد وخذلوه فأخذه يوسف بن عمر فضرب عنقه وبعث برأسه الى هشام وصلب جسده بالكناسة . وان خالدا كتب الى هشام يستأذنه في الخروج الى طرسوس غازيا متطوعا فأذن له هشام في ذلك فسار حتى وافي طرسوس فأقام بها مرابطا وان رجلا من أهل العراق كان يتلصص ويكنى أبا المعرّس قدم من الكوفة نحو أرض الشام في جماعة من لصوص الكوفة حتى وافوا مدينة دمشق فكان اذا جنه الليل أشعل في ناحية من السوق النار فاذا تصابح الناس واشتغلوا باطفاء الحريق أقبل في أصحابه الى ناحية أخرى من السوق فكسر الاقفال وأخذ ما قدر عليه ثم هرب فدخل كلثوم بن

عِيَاضِ الْقَسْرِيِّ عَلَى هِشَامٍ وَكَانَ مَعَادِيَا نَخَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَهُوَ ابْنُ عَمِّهِ قُتِلَ
لِهِشَامٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ هَذَا الْحَرِيقُ لَمْ يَكُنْ بِدِمَشْقٍ وَقَدْ حَدِثَ وَمَا هُوَ
إِلَّا عَمَلُ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ وَغُلْمَانُهُ فَأَمْرُ هِشَامٍ بِطَلْبِ مُحَمَّدِ
ابْنِ خَالِدٍ فَأَتَوْهُ بِهِ وَبِغُلْمَانٍ لَهُ فَأَمْرٌ بِجَبْسِهِ وَجَبَسَ غُلْمَانُهُ وَبَلَغَ ذَلِكَ خَالِدًا وَهُوَ
بِطَرَسُوسٍ فَسَارَ حَتَّى وَافَى دِمَشْقَ فَنَزَلَ فِي دَارِهِ بِهَا وَغَدَا عَلَيْهِ النَّاسُ مَسْلُومِينَ
حَتَّى إِذَا اجْتَمَعُوا عِنْدَهُ قَالَ أَيُّهَا النَّاسُ خَرَجْتُ غَازِيَا بِإِذْنِ هِشَامٍ وَأَمْرُهُ فُجِسَ
ابْنِي وَغُلْمَانِي أَيُّهَا النَّاسُ مَالِي وَلِهِشَامٍ وَاللَّهِ لِيَكْفَنَنَّ عَنِّي هِشَامٌ يَسْمِيهِ فِي كُلِّ
ذَلِكَ بِاسْمِهِ وَلَا يَقُولُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ لَادَعُونَ إِلَى عِرَاقِيٍّ الْهُوِيِّ شَامِيٍّ الدَّارِ
حِجَازِيٍّ الْأَصْلِ إِبْرَاهِيمَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ الْإِوَانِيَّ قَدْ
أُذِنَتْ لَكُمْ أَنْ تَبْلُغُوا هِشَامًا وَبَلَغَ هِشَامًا ذَلِكَ فَقَالَ خَرَفَ أَبُو الْهِثْمِ وَأَنَا
حَرِيٌّ بِاحْتِمَالِهِ لِقَدِيمِ حَرَمَتِهِ وَعَظِيمِ حَقِّهِ فَأَقَامَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بِمَدِينَةِ دِمَشْقٍ
عَاتِبًا لِهِشَامٍ مَصَارِمًا لَهُ لَا يَرْكَبُ إِلَيْهِ وَلَا يَعْأُ بِهِ وَهِشَامٌ فِي كُلِّ ذَلِكَ يَحْتَمِلُهُ
وَيَحْلُمُ عَنْهُ . وَإِنَّ رَجُلًا يُسَمَّى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ ثَوَيْبِ الْكَلْبِيِّ دَخَلَ عَلَى خَالِدِ
ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعِنْدَهُ نَفَرٌ مِنْ أَشْرَافِ أَهْلِ الشَّامِ فَقَالَ لَهُ يَا أَبَا الْهِثْمِ
إِنِّي أَحْبَبْتُ لِعَشْرِ خِصَالٍ فِيكَ يُحِبُّهَا اللَّهُ مِنْكَ مِنْهَا كَرَمُكَ وَعَفْوُكَ وَدِينُكَ
وَعَدْلُكَ وَرَأْفَتُكَ وَوَقَارُكَ فِي مَجْلِسِكَ وَنَجْدَتُكَ وَوَفَاؤُكَ وَصَلَاتُكَ . ذُو رَحْمَتِكَ
وَأَدَبُكَ فَأَثْنَى عَلَيْهِ خَالِدٌ وَقَالَ لَهُ خَيْرًا وَبَلَغَ هِشَامًا ذَلِكَ فَقَالَ أَبْلَغْ مِنْ أَمْرِ
الْفَاسِقِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ ثَوَيْبِ أَنْ يَصِفَ خَالِدًا بِمَحَاسِنِ لَمْ تَجْتَمِعْ فِي أَحَدٍ مِنَ
خَلَفَاءِ الْمُؤْتَمِنِينَ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَبِلَادِهِ ثُمَّ أَمْرٌ بِهِ فَأَحْسَنَ أَدَبَهُ وَنَفَى عَنِ دِمَشْقِ

وبلغ ذلك خالدا وعنده أناس من وجوه أهل الشام فقال لهم ألا تعجبون من صنيع هشام برجل ذكر مني خصالا زعم انه يحبني لها فضربه وطرده وان أعظم مما قال في عبد الرحمن بن ثويب قول عبد الله بن صيفي حين قال له يا أمير المؤمنين أخلفتك في أهلك أحب اليك وآثر عندك أم رسولك قال هشام بل خلفتني في أهلي قال فانت خليفة الله في أرضه وخلقه ومحمد رسوله صلى الله عليه وسلم اليهم فانت أكرم على الله منه فلم ينكر هذه المقالة من عبد الله بن صيفي وهي تضارع الكفر ويغضب على عبد الرحمن بن ثويب وينكر عليه ما وصفني به من خصال يحبها الله فاحبني لها فلم يحفل هشام حين بلغه ذلك من قول خالد ولم يؤاخذ به بشيء من مقالته . فلما تم لخلافة هشام تسع عشرة سنة وسبعة أشهر مرض مرضته التي مات فيها فأُسند الخلافة الى ابن أخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك

(خلافة الوليد بن يزيد)

فلما استخلف الوليد بن يزيد أمر صاحب شرطه سعيد بن غيلان بأخذ خالد بالمال الذي عليه من بقايا خراج العراقيين والبسط عليه وقال اسمعني صياحه فأقبل سعيد بن غيلان الى خالد وهو في منزله فأخرجه فانطلق به الى السجن فعذبه يومه ذلك بالوان العذاب فلم يكلمه خالد بحرف وقال الاشعث ابن القيني فيما نال خالدا

ألا ان خير الناس نفسا ووالدا أسير قريش عندها في السلاسل
لعمرى لقد أعمرت السجن خالدا وأوطأتموه وطأة المتناقل

فان تجبسوا القسرى لا تجبسوا اسمه ولا تجبسوا معروفه في القبائل
وقدم يوسف بن عمر الثقفي بمال العراقيين على الوليد فجلس الوليد للناس
وأذن لهم اذنا عاما فتكلم زياد بن عبد الرحمن الضمرى وكان معاندا لخالد
فقال يا أمير المؤمنين على محاسبة خالد بخمسة آلاف ألف درهم فسلمه الى
فأرسل الوليد الى خالد وهو في السجن ان زياد بن عبد الرحمن قد أعطى
بمحاسبتك خمسة آلاف الف درهم فان صححتها لنا والا دفعناك اليه فأرسل
اليه خالد ان عهدي بالعرب لا تباع وبالله ان لو سألتني أن أضمن لك هذا
ورفع عودا من الارض ما فعلت فلما رأى الوليد بن يزيد تقاعد خالد بما
عليه من المال أمر به فسلم الى يوسف بن عمر وقال انطلق به معك الى العراق
واستأده جميع ما عليه من المال فحمله يوسف بن عمر الى واسط فكان يخرج
كل يوم ويعذبه ثم يرده الى الحبس فأخرجه ذات يوم وقال ما هذا التقاعد
يا ابن المائقة فقال له خالد ما ذكرك الامهات لعنك الله والله لا أكلمك
بكلمة أبدا فغضب يوسف بن عمر من ذلك فوضع على خالد المضرسة
وجعل يعذبه بها حتى قتله فدفنه ليلا في عباءة كانت عليه فأنشأ الوليد
ابن يزيد .

ألم تهتج فذكر الوصلا وحبلا كان متصلا فزالا
بلى فالدمع منك له سجال كماء الغرب ينهمل انهمالا
فدع عنك ادكارك آل سعدي فنحن الأكترون حصي ومالا
ونحن المالكون الناس قسرا نسومهم المذلة والنكالا

ونورِدهم حياض الخسف ذلاً
 ووطننا الأشعرين بكل أرض
 وكندة والسكون قد استعادوا
 شددنا ملكنا بيني نزار
 وهذا خالد فينا قتيلاً
 ولو كانت بنو قحطان عرباً
 ولا تركوه مسلوباً أسيراً
 ولكن المذلة ضعفتهم
 وما نألوهم إلا خبالاً
 ولم يك وطوننا أن يُستقالاً
 نسوّمهم المذلة والخبالاً
 وقومنا بهم من كان مالا
 ألا منعه إن كانوا رجلاً
 لما ذهبت صنائه ضلالاً
 نُحمّله سلاسلنا الثقالاً
 فلم يجدوا لذيتهم مَقالاً

فلما سمع من كان باقطار الشام من اليمانية هذا الشعر أنفوا أنفاً شديداً فاجتمعوا
 من مدن الشام وساروا نحو الوليد بن يزيد وبلغ الوليد مسيرهم فأمر بمحمد
 ابن خالد بن عبد الله فحبس بدمشق وأقبلت اليمانية وخرج اليهم الوليد بمضّر
 مستعداً للحرب فالتقوا واقتلوا وأثخنت اليمانية القتل في مضر فانهزمت مضر
 وأخذوا نحو دمشق ودخل الوليد قصره فتحصن فيه وأقبلت اليمانية حتى
 دخلوا مدينة دمشق وأخرجوا محمد بن خالد من محبسه ورأسوه عليهم فأرسل
 محمد بن خالد إلى ابن عمّ الوليد بن يزيد وهو يزيد بن الوليد بن عبد الملك
 فجاء به فبايعوه جميعاً وأرسل إلى أشرف المضريين فبايعوه طوعاً وكرهاً وخلصوا
 الوليد بن يزيد فلبث مخلوعاً أياماً كثيرة وهو خليع بني أمية

(خلافة يزيد بن الوليد)

فقام يزيد بن الوليد بالخلافة ووضع للناس العطاء وفرّق في اليمانية الصلوات

والجوائز وأقبل محمد بن خالد الى قصر الوليد بن يزيد وأمر بالأهراق فألقيت
 في شرف القصر وتسلقوا فعلوه ونادوا يا وليد يا لوطى يا شارب الخمر ثم نزلوا
 اليه فقتلوه واستدفع الملك ليزيد بن الوليد وان محمد بن خالد وجه منصور
 ابن جمهور في خيل ملك العراق وأمره أن يقصد الى مدينة واسط فيأخذ الناس
 بالبيعة ليزيد بن الوليد فاذا بايعوا دعا يوسف بن عمر ف ضرب عنقه فسار
 منصور بن جمهور فبدأ بالكوفة وأخذهم بالبيعة ليزيد بن الوليد فلما بايعوه سار
 منها الى واسط فاجتمع اليه الناس فبايعوه ليزيد فلما فرغ دعا يوسف بن عمر فقال
 له أنت القاتل سيد العرب خالد بن عبد الله قال يوسف كنت مأمورا ومالى
 في ذلك من ذنب فهل لك أن تُعفينى من القتل وأعطيك ديتى عشرة آلاف
 درهم فضحك منه ثم حملة حتى أتى به محمد بن خالد بالشام فقال له محمد أمّا
 زعمك انى كنت مأمورا فقد صدقت وقد قتلت قاتل أبى وانما أقتلك بعبده
 عزوان ثم قدّمه ف ضرب عنقه فملك يزيد بن الوليد ستة أشهر ثم مات

(أمر ابراهيم بن الوليد)

وقام بالملك من بعده أخوه ابراهيم بن الوليد فبايعه الناس بالشام وجميع
 الآفاق وجعل وليّ العهد من بعده عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بن
 مروان واستعمل على العراق يزيد بن عمر بن هبيرة فسار ابن هبيرة حتى
 نزل المكان الذى الى اليوم يسمى قصر ابن هبيرة وبنى فيه قصرا واتخذ
 ذلك المكان منزلا له ولجنوده . قلوا وان المضرية تلاومت فيما كان من
 غلبة اليمانية عليها وقتلهم الخليفة الوليد بن يزيد فدب بعضهم الى بعض

واجتمعوا من أقطار الارض وساروا حتى وافوا مدينة حمص وبها مروان بن محمد بن مروان بن الحكم وكان يومئذ شيخ بني أمية وكبيرهم وكان ذا أدب كامل ورأى فاضل فاستخرجوه من داره وبايعوه وقالوا له أنت شيخ قومك وسيدهم فاطلب بئار ابن عمك الوليد بن يزيد فاستعد مروان بجنوده في تميم وقيس وكنانة وسائر قبائل مضر وسار نحو مدينة دمشق وبلغ ذلك ابراهيم بن الوليد فتحصن في قصره ودخل مروان بن محمد دمشق فأخذ ابراهيم بن الوليد وولى عهده عبد العزيز بن الحجاج فقتلها وهرب محمد بن خالد بن عبد الله القسري نحو العراق حتى أتى الكوفة فنزل في دار عمرو بن عامر البجلي فاستخفى فيها وعلى الكوفة يومئذ زياد بن صالح الحارثي عاملا ليزيد بن عمر ابن هبيرة

(خلافة مروان بن محمد بن مروان)

واستدف الملك لمروان بن محمد وأعطاه أهل البلدان الطاعة . ثم ان العصبية وقعت بخراسان بين المضرية واليمانية وكان سبب ذلك أن جد يع ابن علي المعروف بالكرماني كان سيد من بأرض خراسان من اليمانية وكان نصر بن سيار متعصبا على اليمانية مبغضا لهم فكان لا يستعين بأحد منهم وعادى أيضا ربيعة ليلها الى اليمانية فعاتبه الكرماني في ذلك فقال له نصر ما أنت وذاك قال الكرماني انما أريد بذلك صلاح أمرك فاني أخاف أن تُفسد عليك سلطانتك ويحمل عليك عدوك هذا المظلّ يعني المسوِّدة قال له نصر أنت شيخ قد خرفت فأسمعه الكرماني كلاما غليظا فغضب نصر وأمر

بالكرمانى الى الحبس فحبس في القهْنْدُرُ وهى القلعة العتيقة فغضب أحياء العرب للكرمانى فاعتزلوا نصر بن سيار واجتمع الى نصر المضرية فطابقوه وشايعوه وكان للكرمانى مولى من أبناء العجم ذو دهاء وتجربة وكان يخدمه فى محبسه وكان الكرماني رجلا ضخما عظيم الجثة عريض ما بين المنكبين فقال له مولاه آتوطن نفسك على الشدة والمخاطرة حتى أخرجك من هذا الحبس قال له الكرماني وكيف تخرجني قل انى قد عيّنت على ثقب ضيق يخرج منه ماء المطر الى الفارقين فوطن نفسك على سلخ جلدك لضيق الثقب قال الكرماني لا بد من الصبر فاعمل ما أردت فخرج مولاه الى اليمانية فواطأهم ووطنهم فى طريقته فلما جن الليل ونام الاحراس أقبل مولاه من خارج السور فوقف له على باب الثقب وأقبل الكرماني حتى أدخل رأسه فى الثقب وبسط فيه يديه حتى نالت يدها كفى مولاه فاجتذبه اجتذابه شديدة سلخ بها بعض جلده ثم اجتذبه ثانية حتى انتهى به الى النصف فاذا هو بحية فى الثقب فنادى الكرماني مولاه بَدْبَخْتْ ماز ماز أى حية قد عرضت فقال مولاه بَكَزْ بَكَزْ أى عضها ثم اجتذبه الثالثة فأخرجه فقال لمولاه أمهلنى ساعة حتى أفيق ويسكن ما بي من وجع الانسلاخ فلما رجعت الى الكرماني نفسه نزل من ذلك التل وأتى بدابة فركبها حتى انتهى الى منزله واجتمعت اليه الأزد وسائرهم بخراسان من اليمانية وانحازت ربيعة معهم وبلغ نصر بن سيار الخبير فدعا بصاحب الحبس فضرب عنقه وظن أن ذلك كان بمواطأة منه. ثم قال لسلم بن أحوز المازني وكان على شرطه انطلق الى الكرماني فاعلمه أنى لم أرد به مكروها وانما أردت

تأديبه لما استقبلني به ومُرّه أن يصير إلى آمننا لأنظره في بعض الامر فصار سلم اليه فاذا هو بمحمد بن المثني الرّبي جالسا على الباب في سبعمائة رجل من ربيعة فدخل اليه فأبلغه الرسالة فقال الكرمانى لا ولا كرامة ما له عندي إلا السيف فأبلغ ذلك نصرا فأرسل نصر بعصمة بن عبد الله الازدى وكان من خاصته فقال له انطلق الى ابن عمك فأمنه ومُرّه أن يصير إلى آمننا لأنظره في بعض ما قد دهننا من هذا العدو فقال الكرمانى لعصمة حين أبلغه رسالة نصريا ابن الخبيثة وما أنت وذاك وقد ذكر لي عمك انك اغير أهلك الذي تنسب اليه انما تريد أن تتقرب الى بن الاقطع يعنى نصرا أما لو كنت صحيح النسب لم تفارق قومك وتميل الى من لا رحم بينه وبينك فانصرف عصمة الى نصر وأبلغه قوله

ثم ان الكرمانى كتب الى عمر بن ابراهيم من ولد أبرهة بن الصيّاح ملك حمير وكان آخر ملوكهم وكان مستوطنا الكوفة يسأله أن يوجه اليه بنسخة حلف اليمن وربيعة الذي كان بينهم في الجاهلية ليحييه ويجدده وانما أراد بذلك أن يستدعى ربيعة الى مكانته فأرسل به اليه فجمع الكرمانى اليه أشراف اليمن وعظماء ربيعة وقرأ عليهم نسخة الحلف وكانت النسخة بسم الله العلى الاعظم . الماجد المنعم . هذا ما احتلف عليه آل قحطان . وربيعة الاخوان . اختلفوا على السواء السوا . والاواصر والاخا . ما احتذى رجل حذا . وما راح راكب واغتندى . يحمله الصغار عن الكبار . والاشرار عن الأختيار . آخر الدهر والأبد . الى اتقضاء مدة الأمد . واقتراض الآباء

والولد . حليف يوطأ ويثب . ماطلع نجم وغرب . خلطوا عليه دماهم . عند
ملك أرضاهم . خلطها بخرم وسقام . جزّ من نواصيم أشعارهم . وقلم عن
أناملهم أظفارهم . فجمع ذلك في صر ودفنه تحت ماء غمر . في جوف قمر
بجر . آخر الدهر . لاسهوفيه ولا نسيان . ولا غدر ولا خذلان . بعقدموكد
شديد ، الى آخر الدهر الأيّد . مادعا صبي أباه . وما حلب عبد في اناه .
تحمل عليه الحوامل . وتقبل عليه القوايل . ماحل بعد عام قابل . عليه المحيا
والمات . حتى يبس الفرات . وكتب في الشهر الاصح . عند ملك أخى ذم
تبع بن ملكي كرب . معدن الفضل والحسب . عليهم جميعا كفل . وشهد
الله الأجل . الذي ماشاء فعل . عقله من عقل . وجهله من جهل . فلما
قرئ عليهم هذا الكتاب تواقفوا على أن ينصر بعضهم بعضا ويكون أمرهم
واحدا فأرسل الكرماني الى نصر ان كنت تريد المحاربة فابرز الى خارج
المدينة فنادى نصر في جنوده من مضر وخرج فعسكر ناحية من الصحراء
وفعل الكرماني مثل ذلك وخندق كل واحد منهما على عسكره ويسمى
ذلك المكان الى اليوم الخدقين ووجه الكرماني محمد بن المثني وأبا الميلاء
الربيعين في الف فارس من ربيعة وأمرهما أن يتقدما الى عسكر نصر بن
سيار فأقبلا حتى اذا قاربا عسكره قال نصر لابنه تميم اخرج الى القوم في الف
فارس من قيس وميم فانتخب الف فارس ثم خرج فالتقوا واقتلوا وحمل محمد
ابن المثني الربيعي على تميم بن نصر فتضاربا بسيفيهما فلم يصنع السيفان شيئا
لكمال لامتيهما فلما رأى محمد بن المثني ذلك حمل بنفسه على تميم فعاثقه

فسقطا جميعا الى الارض وصار محمد فوق تميم فألقى على حلقه بالسيف فذبحه
فقال نصر بن سيار يرثي ابنه تميمًا

نفي عنى العزاء وكنت جلدا غداة جلا الفوارسُ عن تميم
وما قصرت يداه عن الاعادى ولا أضحى بمنزلة اللثيم
وفاء للخليفة وابتذالا لمهجته يدافع عن حريم
فمن يك سائلا عنى فانى أنا الشيخ الغضنفر ذو الكليم
نمتنى من خزيمة باذخات بواسق ينتمين الى صميم

قالوا فكثوا بذلك عشرين شهرا ينهض بعضهم الى بعض كل أيام فيقتلون
هو يا ثم ينصرفون وقد اتصف بعضهم من بعض وشغلهم ذلك عن طلب أبي
مسلم وأصحابه حتى قوى أمره واشتد ركنه وعلن شأنه فى جميع كور خراسان
فقال عقيل بن معقل اللبثى لنصر بن سيار ان هذه العصية قد تمادت بيننا
وبين هؤلاء القوم وقد شغلتك عن جميع أعمالك وضبط سلطانك وقد أظلك
هذا العدو الكلب فأنشدك الله أن تشأم نفسك وعشيرتك قارب هذا
الشيخ يعنى الكرمانى بعض المقاربة فقد انتقض الامر على الامام مروان
ابن محمد فقال نصر يا ابن عم قد فهمت ما ذكرت ولكن هذا الملاح قد
ساعدته عشيرته وظافرتهم على أمرهم ربيعة فقد عدا من أجل ذلك طوره
فلا ينوى صلحا ولا ينب الى أمان فانطلق يا ابن عم ان شئت فسله ذلك
واعطه عنى ما أراد فمضى عقيل بن معقل حتى استأذن على الكرمانى فدخل
فسلم ثم قال له انك شيخ العرب وسيدها بهذه الارض فأبق عليها قد تمادت

هذه العصبية بيننا وبينكم وقد قتل منا ومنكم ما لا يحصيه أحد وقد أرسلني
 نصر اليك وجعل لك حكم الصبي على أبويه على أن ترجع الى طاعته لتأزرا
 على اطفاء هذه النار المضطربة في جميع كور خراسان قبل أن يكاشفوا يعني
 المسودة قال الكرمانى قد فهمت ما ذكرت وكنت كارها لهذا الامر فأبى
 ابن عمك يعني نصرا الا البذخ والتطاول حتى حبسنى في سجنه وبعثنى
 على نفسه وقومه قال له عقيل فما الذى عندك فى اطفاء هذه النائرة وحقن
 هذه الدماء قال الكرمانى عندى فى ذلك ان نعتزل أنا وهو الامر ونولى
 جميعا أمرنا رجلا من ربيعة فيقوم بالتدبير ونساعده جميعا وتشمّر لطلب هؤلاء
 المسودة قبل أن يجتمعوا فلا تقوى بهم ولو أجلب عليهم معنا جميع العرب
 قال عقيل ان هذا ما لا يرضى به الامام مروان بن محمد ولكن الامير نصرا
 يجعل الأمر لك تولى من شئت وتعزل من شئت وتدبر فى هؤلاء المسودة
 ماشئت وتزوج اليك وتزوج اليه قال الكرمانى كيف يتزوج الىّ وليس
 لى بكفو قال عقيل أتقول هذا الرجل له بيت كنانة قال الكرمانى لو كان
 من مصاص كنانة ما فعلت فكيف وهو ملصق فيهم فأما قولك انه يجعل
 الامر الىّ أولى وأعزل من أريد فلا ولا كرامة ان أكون تبعا له أو أقره
 على السلطان . فانصرف عقيل الى نصر فقال انك كنت بهذا الملاح ابصر
 منى ثم أخبره بما دار بينهما كله فكتب نصر بن سيار الى الامام مروان
 ابن محمد يخبره بخروج الكرمانى عليه ومحاربه اياه واشتغاله بذلك عن
 طلب أبى مسلم وأصحابه حتى قد عظم أمرهم وان المحصى المقلل لهم يزعم انه قد

بإيعه مائتا ألف رجل من أقطار خراسان فتدارك يأمر المؤمنين أمرًا وبعث
إلى بجنود من قبلك يقوبهم ركني واستعن بهم على محاربة من خالفني ثم
كتب في أسفل كتابه

أرى تحت الرماد وميض جمر ويوشك أن يكون له ضرام
فان النار بالعودين تذكى وان الشر مبدأه الكلام
وقلت من التعجب ليت شعري أيقاظ أمية أم نيام
فان يقظت فذاك بقاء ملك وان رقدت فإني لا ألام
فان يك أصبحوا وثووا نياما فقل قوموا فقد حان القيام

فلما وصل كتابه إلى مروان كتب إلى معاوية بن الوليد بن عبد الملك وكان
عامله على دمشق ومروان حينئذ بمدينة حمص يأمره أن يكتب إلى عامله
باللقاء أن يسير إلى الحميمة فيأخذ إبراهيم بن محمد بن علي فيشده وثاقا ويرسل
به إليه فأتى إبراهيم وهو جالس في مسجده فلنق رأسه ونحل إلى مروان واتبعه
من أهل بيته عبد الله بن علي وعيسى بن موسى بن علي ونفر من مواليه
فلما دخل على مروان قال له ما هذه الجموع التي خرجت بخراسان تطلبك
اخلافة قال له إبراهيم مالي بشئ من ذلك علم فان كنت انما تريد التجني
علينا فدونك وما تريد ثم بسط لسانه على مروان فأمر به فحبس قال الهيثم
فاخبرني أبو عبيدة قال كنت آتي إبراهيم في محبسه ومعه فيه عبد الله بن
عمر بن عبد العزيز فاسلم عليه وأظلم عامة نهاري عنده وربما جنني الليل
عنده فأبيت معه فينا انا ذات ليلة عنده وقد بت معه في الحبس فانا نائم في

سقيفة فيه اذ قيل مولى مروان فاستفتح الباب ففتح له فدخل ومعه نحو من
عشرين رجلا من موالى مروان فلبثوا ساعة ثم خرجوا ولم أسمع لاحد صوتا
فلما أصبحت دخلت البيت لاسلم عليهما فاذا هما قتيلان فظننت انهما خنقا
ولما قتل ابراهيم بن محمد خاف أخواه أبو جعفر وأبو العباس على أنفسهما
فخرجوا من الحيمة هاربين نحو العراق ومعهما عبد الله واسماعيل وعيسى
وداود بنو علي بن عبد الله بن عباس حتى قدموا الكوفة ونزلوا على أبي
سلمة الداعي الذي كان داعية أبيهما محمد بن علي بأرض العراق فأنزلهم جميعا
دار الوليد بن سعد التي في بني أودٍ وأزهم مسورا القصاب ويقطينا
الابزاري وكانا من كبار الشيعة وقد كانا لقيما محمد بن علي في حياته فأمرهما
أن يُعينا أباسلمة على أمره وكان أبو سلمة خلافاً فكان اذا أمسوا أقبل مساور
بشقة لحم وأقبل أبو سلمة بخلٍ وأقبل يقطين بالابزار فيطبخون ويأكلون
وفي ذلك يقول أبو جعفر

لحم مساور واخلٍ أبي سلمة وابزار يقطين وطابت المرقة
فلم يزل أبو العباس وأبو جعفر مستخفين بالكوفة الى أن قدم قحطبة بن
شبيب العراق . قالوا وبلغ أبا مسلم قتل الامام ابراهيم بن محمد وهرب أبي
العباس وأبي جعفر من الشام واستخفاؤهما بالكوفة عند أبي سلمة فسار من
خراسان حتى قدم الكوفة ودخل عليهما فعزاها بأخيها ابراهيم الامام ثم
قال لابي العباس مُدِّ يدك أبايُك مُدِّ يده فبايعه ثم سار الى مكة ثم انصرف
اليهما فتقدم اليه أبو العباس أن لا يدع بخراسان عرياً لا يدخل في أمره الآ

ضرب عنقه ثم انصرف أبو مسلم الى خراسان فجعل يدورها كورة كورة
ورستاقا رستاقا فيواعدهم اليوم الذي يظهرون فيه ويأمرهم بتهيئة السلاح
والدواب لمن قدر. قالوا ولما اعيت نصر بن سيار الحيل في أمر الكرماني
وخاف أزوف أبي مسلم كتب الى مروان

يا أيها الملك الواني بنصرته قد آن للامران يأتيك من كتب
أضحت خراسان قد باضت صقورتها وفرخت في نواحيها بلا رهب
فان يطرن ولم يحتل لهن بها يلهين نيران حرب ايما هب
فلما وصلت هذه الأيات الى مروان كتب الى يزيد بن عمر بن هبيرة
عامله على العراقيين يأمره أن ينتخب من جنوده اثني عشر ألف رجل مع
فرض يفرضه بالعراق من عرب الكوفة والبصرة ويولي عليهم رجلا حازما
يرضى عقله واقدامه ويوجه بهم الى نصر بن سيار فكتب يزيد بن عمر بن
هبيرة الى مروان ان من معه من الجنود لا يفون باثني عشر ألفا ويعلمه ان
فرض الشام أفضل من فرض العراق لان عرب العراق ليست لهم نصيحة
للخلفاء من بني أمية وفي قلوبهم احن ولما أبطأ عن نصر الغوث أمجاد
الى مروان

من مبلغ عنى الامام الذى
انى نذير لك من دولة
والثوب ان أهج فيه البلى
كنا نداريها فقد مزقت
قام بأمر بين ساطع
قام بها ذو رحم قاطع
أغيا على ذى الحيلة الصانع
واتسع الخرق على الرّاقع

فلم يجد عند مروان شيئا وحين الوقت الذي أعد فيه أبو مسلم مستجيبه فخرجوا جميعا في يوم واحد من جميع كور خراسان حتى وافوه وقد سؤدوا ثيابهم تسلبا على ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الذي قتله مروان فكان أول من ورد عليه من القواد وقد لبس السواد أسيد بن عبد الله ومقاتل بن حكيم ومحقن بن غزوان والحريش مولى خزاعة وتنادوا محمد يامنصور يعنون محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وهو أول من قام بالامر وبث دعائه في الآفاق وانجفل الناس على أبي مسلم من هراة وبوشنج ومرزو الروذ والطاقان ومرزو ونسا وأيوزد وطوس ونيسابور وسرخس وبلخ والصغانيان والطخارستان وختلان وكش ونسف فتوافوا جميعا مسودى الثياب وقد سؤدوا أيضا أنصاف الخشب التي كانت معهم وسموها كافر كوبات وأقبلوا فرسانا وحمارة ورجالة يسوقون حميرهم ويزجرونها هراة مروان يسمونها مروان ترغيا لمروان بن محمد وكانوا زهاء مائة الف رجل . فلما بلغ نصر بن سيار ظهور أبي مسلم سقط في يديه وخاف على نفسه ولم يأمن أن ينحاز الكرمانى فى اليمانية والربيعة اليهم فيكون فى ذلك اصطلامه فأراد أن يستطف من كان مع الكرمانى من ربيعة فكتب اليهم وكانوا جميعا بمرو

أبلغ ربيعة فى مرو واخوتها	أن يفضبوا قبل أن لا ينفع الغضب
ما بالكم تلقحون الحرب بينكم	كان أهل الحجاء عن فعلكم غيب
وتتركون عدوا قد أظلكم	من تأشب لادين ولا حسب
ليسوا الى عرب منا فنعرفهم	ولا صميم الموالى ان هم نسبوا

قوما يدينون ديننا ما سمعت به عن الرسول ولا جاءت به الكتب
 فمن يكن سائلي عن أصل دينهم فانّ دينهم أن تقتل العرب
 فلم تحفل ربيعة بهذه الايات . وبلغ أبا العباس الامام وهو مستخف بالكوفة
 ان أبا مسلم لو أراد أن يصطلم عسكر نصر والكرماني لفعل غير انه يدافع
 الحرب فكتب اليه يؤثبه في ذلك وكان أبو مسلم يحب أن يستميل أحد
 الرجلين ليفصم به شوكة الآخر فأرسل الى الكرماني يسأله أن ينضم اليه
 لينتقم له من نصر بن سيار فعزم على المسير اليه وأقبل أبو مسلم في عساكره
 الى أرض مرو فمسكر على ستة فراسخ من المدينة وخرج اليه الكرماني
 ليلا في نفر من قومه فاستأمن لجميع أصحابه فأمنهم أبو مسلم وأكرم الكرماني
 فأقام معه وشق ذلك على نصر بن سيار وأيقن بالهلكة فكتب الى الكرماني
 يسأله الرجوع اليه على أن يعتزلا ويوليا الامر رجلا من ربيعة يرضيانه وهو
 الامر الذي كان سأله اياه فأصغى الكرماني الى ذلك وتحمل ليلا من معسكر
 أبي مسلم حتى انصرف الى معسكره واسترسل الكرماني الى نصر فلما أصاب
 منه غرة دس اليه من قتله ويقال بل وجه اليه نصر رجلا من قواده في ثلثمائة
 فارس فكمنوا له ليلا عند منصرفه من معسكر أبي مسلم فلما حاذاهم وهو
 غافل عنهم حملوا عليه فقتلوه . وبلغ ذلك أبا مسلم فقال لا يبعد الله غيره لو
 صبر معنا لقمنا معه ونصرناه على عدوه وقال نصر في ظفره بالكرماني

لعمرى لقد كانت ربيعة ظافرت عدوى بغدر حين خابت جدودها
 وقد غمزوا مني قناة صليية شديدا على من رامها الكسر عودها

وكنت لها حصنا وكهفاً وُجَّةً يؤوّل الى كهلها ووليدها
فألوا الى السوات ثم تعذروا وهل يفعل السوات الامر يدها
فأوردت كرمانيها الموت عنوة كذاك منايا الناس يدنو بعيدها

قالوا ولما قتل الكرمانى مضى ابنه على من خندقه الى ابي مسلم فسأله أن يطلب له بثأر أبيه فأمر قحطبة بن شيب أن يستعد ويسير حتى ينيخ على نصر في خندقه فينازله الحرب أو ينيب الى الطاعة فسار قحطبة فبدأ بالمدينة فدخلها واستولى عليها وأرسل الى نصر يؤذنه بالحرب فكتب نصر الى ابي مسلم يسأله الأمان على أن يدخل معه في أمره فأجابه الى ذلك وأمر قحطبة أن يمسك عنه فلما أصاب نصر من قحطبة غفلة تحمل في حشمه وولده وحاشيته ليلا فخرج من معسكره من غير أن يعلم أصحابه وسار نحو العراق وجعل طريقه على جرجان فأقام بها ففرض فيها فسادا منها الى ساوة فأقام بها أياما ثم توفى بها فاستأمن جميع أصحابه وأصحاب الكرمانى الى ابي مسلم الا أناسا كرهوا أمر ابي مسلم فساروا من مدينة مرو هربا حتى أتوا طوس فأقاموا بها وان ابا مسلم استولى على خراسان واستعمل عماله عليها فكان أول من عقد له منهم زنباع بن النعمان على سمرقند وولى خالد بن ابراهيم على طخارستان وولى محمد بن الاشعث الطبسين ثم وجه أصحابه الى سائر تلك البلاد وضم الى قحطبة بن شيب ابا عون مقاتل بن حكيم العكي وخالد ابن برمك وحاتمة بن خزيمة وعبد الجبار بن نهيك وجهور بن مراد العجلي والفضل بن سليمان وعبد الله بن النعمان الطائى وضم الى كل واحد من

هو لاء القواد صناديد الجنود وأبطالهم وأمر قحطبة أن يسير الى طوس فياقي من قد اجتمع بها من جنود نصر بن سيار والكرمانى فيحاربهم حتى يطردهم عنها ثم يتقدم قُدُما قُدُما حتى يرد العراق فسار قحطبة حتى اذا دنا من طوس هرب أولئك الذين قد كانوا تجمعوا بها فتفرقوا وسار قحطبة من طوس الى جرجان فافتتحها وسار منها الى الرى فواقع عامل مروان عليها فهزمه ثم سار من الرى الى أصبهان حتى وافاها وبها عامر بن ضبارة من قبل يزيد بن عمر فهرب منه ودخلها قحطبة واستولى عليها ثم سار حتى أتى نهاوند وبها مالك بن أدهم الباهلى فتحصن أياما ثم استأمن الى قحطبة فأمنه فخرج اليه وسار قحطبة حتى نزل حلوان فأقام بها وكتب الى أبي مسلم يعلمه خبره وأن مروان بن محمد قد أقبل من الشام حتى وافى الزابين فأقام بها فى ثلاثين الفا وان يزيد ابن عمر بن هبيرة قد استعد بواسطة فأتاه كتاب أبي مسلم يأمره أن يوجه أبا عون العكي فى ثلاثين ألف فارس من أبطال جنوده الى مروان بن محمد بالزابين فيحاربه ويسير هو فى بقية الجنود الى واسط فيحارب يزيد بن عمر ليشغله عن توجيه المدد الى مروان ففعل قحطبة ذلك وبلغ مروان فصول أبي عون اليه بالجيش من حلوان فاستقبله فالتقيا بشهرزور فاقتلوا فانهزم اهل الشام حتى صاروا الى مدينة حران . قال الهيثم فحدثنى اسمعيل بن عبد الله القسرى أخو خالد بن عبد الله قال دعانى مروان عند وصوله الى حران وكنت أخص الناس عنده فقال لى يا أبا هاشم وما كنانى قبل ذلك فقلت لىك يا أمير المؤمنين قال ترى ما قد نزل من الامر وأنت الموثوق برأيه فما ترى قلت وعلام أجمعت

ياأمير المؤمنين قال أجمعت على أن أرتحل بأهلي وولدي وخاصة أهل بيتي
 ومن اتبعني من أصحابي حتى أقطع الدرب وأصير الى ملك الروم فأستوثق
 منه بالامان ولا يزال يأتيني الخائف والهارب من أهل بيتي وجنودي حتى
 يكثف أمرى وأصيب قوة على محاربة عدوى قال اسمعيل وذلك والله كان
 الرأي له عندي غير اني ذكرت سوء أثره في قومي ومعاداته ايامم وتحامله
 عليهم فصرفت الرأي عنه وقلت له ياأمير المؤمنين أعيدك بالله أن تحكم أهل
 الشرك في نفسك وحرّمك لان الروم لاوفاء لهم قال فما الرأي عندك
 قلت الرأي أن تقطع الفرات وتستقرى مدن الشام مدينة مدينة فان لك
 بكل مدينة صنائع ونصحاء وتضمهم جميعا اليك وتسير حتى تنزل ببلاد
 مصر فهي أكثر أهل الأرض مالا وخيلا ورجالا فتجعل الشام أمامك
 وأفريقية خلفك فان رأيت ما تحب انصرفت الى الشام وان تكن الاخرى
 اتسع لك المهرب نحو افريقية فانها أرض واسعة نائية منفردة قال صدقت
 عمري وهو الرأي . فسار من حرّان حتى قطع الفرات وجعل يستقرى مدن
 الشام فيستنهضهم فيروغون عنه ويهابون الحرب فلم يسر معه منهم الا قليل
 وسار أبو عون صاحب قحطبة في أثر مروان حتى اتحنى الى الشام وقصد
 دمشق فقتل من أهلها مقتلة عظيمة فيهم ثمانون رجلا من ولد مروان بن
 الحكم ثم عبر الشام سائرا نحو مصر حتى واقاها واستعد مروان فيمن كان
 معه من أهل الوفاء له وكانوا نحوًا من عشرين ألف رجل وسار مستقبلا أبا
 عون حتى التقى الفريقان فاقتلوا فلم يكن لاصحاب مروان ثبات فقتل منهم

خلق وانهمزم الباقون فبئدوا وهرب مروان على طريق افريقية وطلبته الخيل فحال بينها وبينه الليل فعبر مروان النيل في سفينة فصار في الجانب الغربي وكان منجما فقال لغلامه اني ان سلمت هذه الليلة رددت خيل خراسان على أعقابها حتى أبلغ بها خراسان ثم نزل ودفع دابته الى غلامه وخلع درعه فتوسدها ونام لشدّة ماقد كان مرّا به من التعب ولم يكن معه دليل يدلّه على الطريق وخاف أن يوغل في تلك المفاوز فيضلّ وأقبل رجل من أصحاب أبي عون يسمى عامر بن اسماعيل في طلب مروان حتى أتى المكان الذي عبر فيه مروان فدعا بسفينة فجلس فيها وعبر فانتهى به السير الى مروان وهو مستقل نوما فضره بالسيف حتى قتله قالوا ولما بلغ محمد بن خالد بن عبد الله القسريّ وكان مستترا بالكوفة في بجيلة موافاة قحطبة بن شيب حلوان بجموع أهل خراسان جمع اليه نفرا من أشرف قومه ثم ظهر ودعا لابي العباس الامام فطلبه زياد بن صالح عامل يزيد بن عمر فاجتمع اليه قومه فمنعوه وقاموا دونه وبلغ ذلك يزيد بن عمر بن هبيرة فأمدّ زياد بن صالح بالرجال واجتمع الى محمد جميع من كان بالكوفة من اليمانية والربعية فهرب زياد بن صالح حتى لحق يزيد بن عمر بواسط وكتب محمد بن خالد الى قحطبة وهو بحلوان يسأله أن يوليّه أمر الكوفة ويبعث اليه عهده عليها ففعل فاتى المسجد الاعظم في جمع كثير من اليمانية وقد أظهروا السواد وذلك يوم عاشوراء من المحرم سنة اثنتين وثلاثين ومائة وقال محمد بن خالد فيما كان من قتله الوليد بن يزيد ابن عبد الملك

قتلنا الفاسقَ المختالَ لما أضاعَ الحقَّ واتَّبَعَ الضلالا
يقولُ خالدُ ألاَّ حَمَتَهُ بنو قحطانَ إن كانوا رجلا
فكيف رأَى غداةَ غَدَتِ عليه كراديسٌ يشبَّهها الجبالا
ألا أبلغُ بني مروانَ عني بأنَّ الملكَ قد أودى فزالا

وسار يزيد بن عمر بن هبيرة الى الكوفة يريد محمد بن خالد فدخل محمد على أبي سلمة الداعي فأخبره بفصول بن هبيرة نحوه وتخوفه أن لا يقوى بكثرة جموعه فقال له أبو سلمة انه قد كان منك من الدعاء الى الامام أبي العباس مالا ينسأه لك فلا تفسد ذلك بقتلك نفسك ومن معك ودع الكوفة فانها في يديك وسر بمن معك حتى تنضم الى قحطبة قال محمد لست بخارج من الكوفة حتى أبلى عذرا في محاربة ابن هبيرة فاستعدت بمن كان بالكوفة من اليمن وربيعة وسار مستقبلا لابن هبيرة حتى اتقى فنادى محمد بن خالد من كان مع ابن هبيرة من قومه تبا لكم أنسيتم قتل أبي خالد بن عبد الله وتحاملت بني أمية عليكم ومنعهم اياكم أعطياتكم يا بني عم قد أزال الله ملك بني أمية وأدال منهم فانضموا الى ابن عمكم فان هذا قحطبة بجلوان في جموع أهل خراسان وقد قتل مروان فلم تقتلون أنفسكم وان الأمير قحطبة قد ولاني الكوفة وهذا عهدى عليها فليكن لكم أثر في هذه الدولة فلما سمعوا ذلك مالوا اليه جميعا ولم يبق مع ابن هبيرة الا قيس وتميم فلما رأى ذلك ولّى منزهما بمن معه حتى وافى واسط ووجه في نقل الميرة اليها واستعدت للحصار وانصرف محمد بن خالد الى الكوفة فخطب الناس ودعا لأبي العباس وأخذ بيعة أهل

الكوفة وأقبل قحطبة من حلوان حتى وافى العراق فنزل دِيمًا وهي فيما بين بغداد والانباء وذلك قبل أن تبني بغداد وإنما كانت قرية يقوم بها سوق في كل شهر مرة فأقام معسكرًا بها فقال علي بن سليمان الأزدي يذكر محمد بن

خالد وسبقه الى الدعاء الى بني هاشم

يا حادينا بالطريق قوماً يعملاتٍ كالتقى رؤسًا
تنجو باحواز الفلاة مقدما الى امرئٍ أكرم من تكرما
محمد لما سما واقدمًا نارًا بكوفانٍ بها معلمًا
في عصبية تطلب أمرًا مبرمًا حتى علا منبرها معممًا
أكرم بما فاز به وأعظمًا اذ كان عنها الناس كلاً نوماً

وان قحطبة عند مسيره الى العراق استخلف على أرض الجبل يوسف بن عقيل الطائي وأقبل ابن هبيرة حتى صار على شاطئ الفرات الغربي وهو في نحو من ثلاثين ألف رجل وأقبل قحطبة حتى نزل في الجانب الشرقي فأقام ثلاثًا ثم نادى في جنوده ان اقموا خيلكم الماء فاقحموها وقحطبة امام أصحابه ولما عبر أصحاب قحطبة قاتلهم ابن هبيرة فلم يبق لهم فانهزم حتى أتى واسط فتحصن فيها وقد قحطبة بن شبيب فلم يُدر أين ذهب ويزعم بعض الناس ان فرسه غاص به ففرق وتولى أمر الناس ابنه الحسن بن قحطبة . ولما تحصن ابن هبيرة بواسط خلف الحسن بن قحطبة عليه بعض قواده في عشرين ألف رجل وسار نحو الكوفة وقد أخذها محمد بن خالد فوافاه الحسن بن قحطبة وبها الامام أبو العباس

(ظهور أبي العباس السفاح ويعتبه)

* فأظهر أبا العباس وأقبل به حتى دخل المسجد الأعظم واجتمع له الناس فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه عليه السلام ثم ذكر انتهاك بني أمية المحارم وهدمهم الكعبة ونصبهم عليها المجانيق وما أبدعوا من خيث السير ثم نزل فأكثر الناس له من الدعاء وأقبل نحو دار الامارة فنزلها وأمر الحسن بن قحطبة بالانصراف الى واسط والاناخة بيزيد بن عمر بن هبيرة فسار الحسن وحاصر يزيد اشهرا كثيرة . قال الهيثم بن عدى بويح لابي العباس بالخلافة ولابي جعفر بولاية العهد من بعده في رجب من سنة اثنتين وثلاثين ومائة فلما استدف لابي العباس الامرة وتى أبا سلمة الداعي جميع ما وراء بابه وجعله وزيره وأسند اليه جميع أموره فكان يسمى وزير آل محمد فكان ينفذ الامور من غير مؤامرة وبلغ ذلك أبا مسلم وهو بخراسان فدعا مروان الضبى وكان أحد قواده وقال له انطلق الى الكوفة فاخرج أبا سلمة من عند الامام أبي العباس فاضرب عنقه وانصرف من ساعتك ففعل الضبى ذلك فقال الشاعر يرثى أبا سلمة

ان الوزير وزير آل محمدٍ أودى فن يشناك كان وزيراً

ثم ان الامام أبا العباس رأى أن يوجه أخاه أبا جعفر المنصور الى واسط ليتولى محاربة ابن هبيرة فوجهه وكتب الى الحسن بن قحطبة يعلمه أن العسكر عسكره وأحب أن يكون أخوه المتولى للامر فلما وافى أبو جعفر واسط تحوّل الحسن بن قحطبة عن سرادقه وخلاه بجميع ما فيه له فنزله أبو جعفر بحريمه

وحشمه وكتب أبو جعفر إلى قواد يزيد بن عمر وأشرف من معه من العرب
يستميلهم بالاطماع وينبهم على حظوظهم ويعرفهم انصرام دولة بني أمية
فأجابوه جميعا . وكان أول من أجابه وانحرف إليه زياد ابن صالح الحارثي
وكان عامل ابن هبيرة على الكوفة وأخص أصحابه عنده وقد كان ابن
هبيرة ولأه حراسة مدينته بالليل ودفع إليه مفاتيح أبوابها . قال الهيثم فحدثني
أبي قال لما همّ زيد بالحقوق بأبي جعفر أرسل إلى وكان وصي أبي فكنت
أدعوه أبا وعمّا وقد كان رسوله أتاني عند اختلاط الظلام يأمرني بالمصير إليه
فأتيته فخلابى وقال يا ابن أخي انك لست ممن أكنه شيئا وقد أتاني كتاب
أبي جعفر يدعوني إلى اللحقوق به ويذلل لي على ذلك منزلة سنّية واعلم في
كتابه انه راع للخوثة وكانت أمّ أبي العباس حارثية قال والدي فقلت له
يا عمّ ان لابن هبيرة أيادي جميلة وأكره لك الغدر به فقال يا ابن أخي أنا من
أشكر الناس له غير أئى لا أرى أن أقيم على ملك قد انقضت قواه ووهت
عراه وأنا لابن هبيرة اليوم عند أبي جعفر أنفع منى له هاهنا وأرجو أن يصلح
الله أمره بى وعلى يدي فأقم عندي إلى وقت خروجي لاسلم اليك المفاتيح
فأقمت عنده فلما مضى ثلث الليل أمر غلماناه فحملوا أثقاله وأسرجوا دوابه ثم
ركب وخرج من منزله وأنا أمشى معه حتى انتهى إلى باب المدينة الذي يلي
دجلة وكانت المفاتيح معه وأمر الاحراس أن يفتحوا الباب وقال لهم أريد
الخروج لاستطلاع بعض الامور وأنا منصرف بعد ساعة . ثم خرج وأمرني
باغلاق الباب وأخذ المفاتيح فقال لي فيما بينى وبينه اذا أصبحت فانطلق

بالمفاتيح حتى تدفعها الى ابن هبيرة من يدك الى يده وأعلمه اني له هناك
أفضل مني له ها هنا ثم ودعني ومضى وانصرفت الى منزلي فلما أصبحت
أتيت باب قصر الامارة فاستأذنت على ابن هبيرة فقال لي الحاجب هو
قاعد في مصلاه لم يقيم عنه قلت أعلمه اني أتيت في مهم فأذن لي فدخلت وهو
قاعد في محرابه وعليه كساء برّ كانيّ معلّم فسلمت عليه بالامرة فردّ السلام
وقال مهمّ فحدثته بأمر زياد بن صالح فدمعت عيناه وقال بمن تتق اليوم بعد
زياد وتوليتق اياه الكوفة وبرّى به فقلت أيها الامير ان الله ربما جعل في
الكره خيرا وأرجو أن ينفك الله بمكانه هناك فقال لا حول ولا قوة الا بالله
ثم قال يا غلام على بطارق بن قدامة القسري فدخل عليه وأنا جالس عنده
فدفع اليه تلك المفاتيح وقال يا طارق اني قد اخترتك لحراسة هذه المدينة
على جميع أصحابك من خاصتنا فكن كنعو ثقى بك . ولما طال على ابن
هبيرة الحصار بعث الى المنصور يسأله الامان فأرسل اليه ان أردت أن أوثمنك
على حكم أمير المؤمنين أبي العباس فمات فشاور ابن هبيرة نصحاءه فأشاروا
عليه أن يفعل فأرسل الى أبي جعفر يعلمه اني راض بذلك فكتب اليه أبو
جعفر ذلك بخطه وأشهد على نفسه بذلك القواد فخرج ابن هبيرة الى أبي
جعفر في نفر من بطانته فدخل عليه وهو في سرادقه وحول السرادق عشرة
آلاف نفر من أهل خراسان مستلثمين في السلاح فأمر أبو جعفر له بوسادة
فجلس عليها قليلا ثم نهض ودعى له بدابته فركب وانصرف الى منزله وفتحت
أبواب المدينة ودخل الناس بعضهم في بعض . قالوا وأحصى ما في الخزائن
(٢٣ - الاخبار)

من الاموال والسلاح وما بقي من الطعام والعلف الذي كان ابن هبيرة قد
ادخر وأعدَّ للحصار فكان المال ثلاثة آلاف ألف درهم ومن السلاح شيء
كثير وطعام ثلاثين ألف رجل وعلف عشرين ألف رأس من الدواب سنة
وان أبا جعفر كتب الى أبي العباس يخبره بخروجه ابن هبيرة على حكمه
ويسأله أن يعلمه الذي يرى فيه فكتب أبو العباس لا حكم لابن هبيرة
عندي الا السيف فلما انتهى الكتاب بذلك الى أبي جعفر كتبه عن جميع
الناس وقال لحاجبه مر ابن هبيرة اذا ركب الينا أن لا يركب الا في غلام
واحد ويدع عنه هذه الجماعات فلما كان من غد ركب ابن هبيرة الى أبي
جعفر في موكب عظيم فقال له سلام الحاجب أبا خالد كأنك انما تأتي ولي
العهد مباحيا ولا تأتيه مسلما قال ابن هبيرة ان كنتم كرهتم ذلك لم آتكم إلا
في غلام واحد قال فلا تأتينا الا في غلام واحد فاني لم أقل ذلك استخفافا
بحقك الا ان أهل خراسان ينكرون كثرة من يركب معك فكان ابن
هبيرة بعد ذلك لا يأتيهم الا في غلام واحد فيدخل ويسلم وينصرف ثم ان
أبا جعفر قال للحسن بن قحطبة اجمع اليك أبا بكر العقيلي والحوثرية بن سهل
ومحمد بن بُنانة وعبد الله بن بشر وطارق بن قدامة وسويد بن الحرث المزني
وهؤلاء كانوا قواد يزيد بن عمر فاذا اجتمعوا عندك فاضرب أعناقهم واثنى
بخواتيمهم ووجه حرسا يحرسون ابن هبيرة لا نفذ فيه أمر الامام أبي العباس
فانطلق الحسن بن قحطبة فأنفذ أمره في أولئك وأتاه بخواتيمهم قال فما نطق
منهم أحد عند قتله وما كان منه جزع ولا امتناع فلما كان في اليوم الثاني دعا

أبو جعفر خازم بن خزيمة وإبراهيم بن عقيل فقال لهما انطلقا في عشرة نفر من الحرس حتى تدخلوا على ابن هبيرة فقتلاه فأقبلا حتى دخلا عليه عند طلوع الشمس وهو جالس في مسجده في القصر مسند ظهره الى المحراب ووجهه الى رحبة القصر فلما نظر اليهم قال لحاجبه يا أبا عثمان أحلف بالله ان في وجوه القوم لشرا فمضى أبو عثمان مستقبلا لهم وقال لهم ما تريدون فبعجه إبراهيم بن عقيل بالسيف فقتله وقام إبراهيم ابنه في وجوه القوم فقتل ثم قام ابنه داود في وجوههم فقتل ثم قام كاتبه عمرو فقتل وأقبلوا نحو ابن هبيرة فلما دنوا منه حول وجهه الى القبلة وسجد فضربوه بأسيا فمهم حتى خمد ثم انصرفوا الى أبي جعفر فأخبراه بذلك فأمر أبو جعفر مناديا فنادى أيها الناس أنتم آمنون الا الحكم بن عبد الملك بن بشر ومحمد بن ذر وخالد بن سلمة المخزومي قال الهيثم فحدثني أبي قال قال محمد بن ذر فضاقت عليّ الارض برحبها فخرجت ليلا من مدينة واسط على قدمي وأنا أقرأ آية الكرسي فما عرض لي أحد من الناس حتى نجوت فلم أزل خائفا حتى استأمن لي زياد بن عبد الله من الامام أبي العباس فأمتني . قال وهرب الحكم بن عبد الملك الى كسكر فاستخفى بها وضاقت بخالد بن سلمة المخزومي الارض فأتى باب أبي جعفر المنصور ليلا فاستأمن له فأمنه ثم نودي أيها الناس أنتم جميعا آمنون يا اهل الشام الحقوا بشامكم ويا اهل الحجاز الحقوا بحجازكم فسكن الناس وأمنوا واطمأنوا . واستعمل المنصور على واسط الهيثم بن زياد الخزاعي في خمسة آلاف فارس من اهل خراسان ثم انصرف بسائر الناس حتى قدم على الامام ابي العباس وهو بالحيرة . ثم

ان الامام سار من الحيرة في جموعه حتى أتى الانبار فاستطابها فابتنى بها مدينة بأعلى المدينة عظيمة لنفسه وجموعه وقسمها خططا بين أصحابه من أهل خراسان وبنى لنفسه في وسطها قصرا عاليا منيفا فسكنه وأقام بتلك المدينة طول خلافته وتسمى الى اليوم مدينة أبي العباس ثم ان أبا العباس وجه أخاه أبا جعفر المنصور الى خراسان وأمره أن يأتي أبا مسلم فيناظره في بعض الامور ووجه معه ثلاثين رجلا من وجوه القواد وفيهم الحجاج بن ارطاة الفقيه واسحاق بن الفضل الهاشمي فلما قدم المنصور على أبي مسلم لم يبائع أبو مسلم في برّه واكرامه ولم يُظهر السرور التام بقدمه فانصرف الى أبي العباس وقال لست بخليفة ما دام أبو مسلم حيا فاحتل لقتله قبل أن يفسد عليك أمرك فلقد رأيته وكأنه لا أحدٌ فوقه ومثله لا يؤمن غدُرُه ونكثه فقال أبو العباس وكيف يمكن ذلك ومعه أهل خراسان وقد أشرب قلوبهم حبه واتباع أمره وايتار طاعته فقال أبو جعفر فذاك والله أحرى أن لا تأمنه فاحتل له فقال أبو العباس يا أخى اضرب عن هذا ولا تعلمن رأيك في ذلك أحدا . وان أبا العباس قال ذات يوم للحجاج بن ارطاة وقد خلا معه ما تقول في أبي مسلم فقال يا أمير المؤمنين ان الله تعالى يقول في كتابه (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) قال أبو العباس أمسك فقد فهمت ما أردت ثم ان أبا مسلم وجه محمد بن الاشعث بن عبد الرحمن أمير اعلی فارس ورأى أبو العباس أن يستعمل عليها عمه عيسى بن علي فعقد له عليها وأمره بالمسير اليها فلما قدم عيسى على محمد بن الاشعث أبي أن يسلم اليه فقال له عيسى

يا ابي الاشعث ألت في طاعة الامام ابي العباس قال بلى غير ان ابا مسلم امرني الا
اسلم لعيل الى احد من الناس قال عيسى فاما ابو مسلم عبد للامام وان الامام
لا يرضى ان يرد امره قال محمد دع عنك هذا لست اسلم العمل اليك الا بكتاب
ابي مسلم فانصرف عيسى الى ابي العباس فأخبره ذلك فكظم وأمر عمه بالمقام
عنده فأقام . وان ابا مسلم عقد للمغلس بن السرى على أرض طخارستان
حتى وافاها فخرج اليه منصور مستعدا للحرب فالتقوا فاقتلوا فكان
الظفر للمغلس وهرب منصور في نفر من أصحابه حتى وقعوا في الرمال فماتوا
عطشا وأقام المغلس على باب بلاد السند . وان ابا مسلم كتب الى الامام
ابي العباس يستأذنه في القدوم عليه والمقام عنده الى اوان الحج ليحج فأذن له
أبو العباس في ذلك فسار أبو مسلم حتى اذا قرب الامام أمر أبو العباس جميع
من كان معه بالحضرة من القواد والأشراف أن يستقبلوه فاستقبل بالكرامة
وترجل له الأشراف والقواد وأقبل حتى وافى مدينة ابي العباس فأنزله معه
في قصره ولم يأل جهده في بره واكرامه حتى اذا حان وقت الحج استأذنه
في الحج فقال له أبو العباس لولا ان أخى ابا جعفر قد عزم على الحج لوليتك
الموسم فكونا جميعا قال أبو مسلم وذاك أحب الي ثم خرجا فكان يرتحل
أبو جعفر وينزل أبو مسلم حتى وافيا مكة فقضيا حجهما وانصرفا

(خلافة ابي جعفر منصور)

فلما وصل أبو جعفر الى ذات عرق في منصرفه أتاه نعي الامام ابي
العباس فأقام بمكانه حتى وافاه أبو مسلم فأخبره بوفاة ابي العباس فحنقت أبا

مسلم العبرة وقال رحم الله أمير المؤمنين انا لله وانا اليه راجعون فقال أبو جعفر انى قد رأيت أن تخلف أثقالك ومن معك من جنودك على فيكونوا معي وتركب أنت في عشرة نفر البريد حتى ترد الانبار فتضبط العسكر وتسكن الناس قال أبو مسلم أفعل فركب في عشرة نفر من خاصته وسار بالحث الشديد حتى وافى العراق وانتهى الى مدينة أبي العباس بالانبار فوجد عيسى بن عليّ ابن عبد الله بن عباس قد دعا الناس الى بيعته وخلع ولاية العهد عن أبي جعفر فلما رأوا أبا مسلم مالوا معه وتركوا عيسى فلما وافى أبو جعفر اعتذر اليه عيسى وأعلمه أنه انما أراد بذلك ضبط العسكر وحفظ الخزائن وبيوت الاموال فقبل أبو جعفر منه ذلك ولم يؤاخذه بما كان منه . واجتمع الناس وبايعوا المنصور أبا جعفر ثم أتاه انتقاصُ الشام وقد كان أبو العباس استعمل عليها عمه عبد الله بن عليّ فلما بلغه وفاة أبي العباس دعا لنفسه واستمال من كان معه من جنود خراسان فقالوا معه فلما بلغ أبا جعفر ذلك قال لأبي مسلم أيها الرجل انما هو أنا أو أنت فاما أن تسير الى الشام فتصلح أمرها أو أسير أنا قال أبو مسلم بل أسير أنا فاستعد وسار في اثني عشر الفا من أبطال جنود خراسان حتى اذا وافى الشام انحاز اليه من كان بها من الجنود جميعهم وبقى عبد الله ابن عليّ وحده فعفا أبو مسلم عنه ولم يؤاخذه بما كان منه . وكانت خلافة أبي العباس أربع سنين وستة أشهر وار أبا جعفر عند مسير أبي مسلم نحو الشام وجه يقطين بن موسى في أثر أبي مسلم وقال ان تكن هناك ذنائب فتول قبضها وبلغ ذلك أبا مسلم فشق عليه وقال ان أمير المؤمنين لم يأتني على

ماها هنا حتى استظهر على بأمين ودخلته من ذلك وحشة شديدة . ولما بلغ
 المنصور اصلاح الشام كره المقام بمدينة أبي العباس التي بالانبار فسار بعسكره
 الى المدائن فنزل المدينة التي تدعى الرومية وهي من المدائن على فرسخ
 وهي المدينة التي بناها كسرى أنوشروان وأنزلها السبي الذي سباه من بلاد
 الروم فأقام المنصور بتلك المدينة . وان أبا مسلم انصرف فأخذ على الفرات
 حتى وافى العراق على الانبار وجاز حتى وافى كرخ ببغداد وهي اذذاك قرية
 ثم عبر دجلة من بغداد وأخذ طريق خراسان وترك طريق المدائن وبلغ
 ذلك أبا جعفر فكتب الى أبي مسلم أريد مناظرتك في أمور لم يحتملها
 الكتاب فحلف عسكرك حيث ينتهي اليك كتابي فأقدم على فلم يلتفت أبو
 مسلم الى كتاب المنصور ولم يعأ به وكان مع المنصور رجل من ولد جرير
 ابن عبد الله البجلي واسمه جرير بن يزيد بن عبد الله وكانت له خلافا
 وتأن في الامور ومكيدة فقال له أبو جعفر اركب البريد حتى تلحق أبا مسلم
 فتحاول رده الى فانه قد مضى مغاضبا ولا آمن افساده على وتأن في رده
 بأفضل الثاني فسار الرجل حتى لحقه في بعض الطريق وقد نزل بعض المنازل
 بعسكره فدخل عليه مضر به فقال أيها الأمير أجهدت نفسك وأسهرت
 ليلك وأتعبت نهارك في نصرة مواليك وأهل بيت نبيك حتى اذا استحکم لهم
 الامر وتوطد لهم السلطان ونلت أمنيته فيهم تنصرف على هذه الحال فما
 تقول الناس ألا تعلم أن ذلك مطعنة عليك ومسبة في حياتك وبعد وفاتك
 فلم يزل به حتى عزم على الانصراف معه الى المنصور وخلف عسكره بمكانه

ذلك وسار منصورا في الف فارس من أفاضل من كان معه من جنود خراسان والقواد وقد كان أبو مسلم يقول ان المنجمين أخبروني أن لا أقتل الا بالروم حتى وافى أبا جعفر بالرومية فدخل عليه فقام اليه أبو جعفر وعاتقه وأظهر السرور بانصرافه وقال له كدت تمنى من قبل أن أراك وأفضى اليك بما أريد فقم فضع عنك ثيابك وانزل حتى يذهب كلال السير عنك فخرج أبو مسلم الى قصر قد أعد له ونزل أصحابه حوله مكث ثلاثة أيام يغده كل يوم الى أبي جعفر فيدخل على دابته حتى يتهي الى باب المجلس الذي فيه الامام فينزل ويدخل اليه فيجلس عنده مليا فيتناظران في الامور فلما كان في اليوم الرابع وطّن له أبو جعفر عثمان بن نهيك وكان على حرسه وشبث بن روح وكان على شرطته وأبا فلان بن عبد الله وكان على الخيل وأمرهم أن يكتنوا في بيت الى جنب المجلس الذي كان فيه وقال لهم اذا أنا صفتُ يديّ ثلاثا فاخرجوا الى أبي مسلم فبضعوه وأمر الحاجب اذا دخل أبو مسلم أن يأخذ عنه سيفه وأقبل أبو مسلم فدخل وأخذ الحاجب سيفه فدخل مغضبا وقال يا أمير المؤمنين فعل بي ما لم يفعل بي مثله قط أخذ السيف من عاتقي قال أبو جعفر ومن أخذه لعنه الله اجلس لاعليك فجلس وعليه قباء أسود خرز ووضع له متكأ ولم يكن في البيت غيرها فقال أبو جعفر ما أردت بمضيك نحو خراسان قبل لقائي قال أبو مسلم لأنك وجهت في أثرى الى الشام أمينا في احصاء الغنائم أما وثقت بي فيها فأغاظ له أبو جعفر الكلام فقال يا أمير المؤمنين أنسيت حسن بلائي وفضل قيامي واتعابى نفسي ليلي ونهاري حتى

سقتُ هذا السلطان اليكم قال أبو جعفر يا ابن الخبيثة والله لو قامت مقامك
أمة سوداء لا غنت غناك إنما تأتي لك الامور في ذلك بما أحب الله من
اظهار دعوتنا أهل البيت ورد حقنا اليها ولو كان ذلك بحولك وحيلتك
وقوتك ما قطعت قبيلة ألت يا ابن اللخناء الذي كتبت الي تخطب عمي
آمنة بنت علي بن عبد الله وتزعم في كتابك انك ابن سليط بن عبد الله
ابن عباس لقد ارتقيت مرتقى صعبا فقال أبو مسلم يا أمير المؤمنين لا تدخل
على نفسك الغم والغيظ بسببي فاني أصغر قدرا من أن أبلغ منك هذا فصفق
أبو جعفر بكفيه ثلاثا وخرج عليه القوم بالسيوف فلما رآهم أبو مسلم أيقن بالامر
فقام الى أبي جعفر فتناول رجلاه ليقبها فرفسه أبو جعفر برجله فوقع ناحية فأخذته
السيوف فقال أبو مسلم أما من سلاح يحامي به المرء عن نفسه فضر به حتى
خمد وأمر به أبو جعفر فلُف في بساط ووضع ناحية من البيت وقد كان أبو
مسلم قبل دخوله على أبي جعفر قال لعيسى بن علي ادخل معي الى أمير
المؤمنين فاني أريد معاتبته في بعض الامور فقال له عيسى تقدم فاني على
أترك فأقبل عيسى حتى دخل على أبي جعفر فقال يا أمير المؤمنين أين أبو
مسلم قال أبو جعفر ها هو ذاك ملفوف في ذلك البساط قال عيسى أقتله انا لله
فكيف تصنع بجنوده وهو لاء قد جعلوه ربًا فأمر أبو جعفر فهبئت ألف صرة
في كل صرة ثلاثة آلاف درهم وأحسن أصحاب أبي مسلم بالأمر فصاحوا
وسلوا السيوف فأمر أبو جعفر بتلك الصرر فقذفت اليهم مع رأس أبي مسلم
وصعد عيسى بن علي الى أعلى القصر وقال يا أهل خراسان إنما كان أبو

مسلم عبدا من عبيد أمير المؤمنين وجدّ عليه فقتله فليفرخ روعكم فان أمير المؤمنين بالغ آمالكم فترجل القوم وتناولوا تلك الصرر كل واحد صرّة وترك الرأس مقدوفا ثم ان أبا جعفر وضع لأصحاب أبي مسلم العطاء ووجه الاموال الى عسكر أبي مسلم حيث خلفه فأسنى لهم العطاء وكتب كتابا فقرأ عليهم يبسط فيه آمالهم وأجزل صلوات القواد والاشراف منهم فأرضاهم ذلك. واستدفقت الخلافة لأبي جعفر المنصور سنة ثمان وثلاثين ومائة فوجه عماله الى أقطار الأرض

(بناء بغداد)

وان أبا جعفر أحب أن يبني لنفسه وجنوده مدينة ليتخذها دار المملكة فسار بنفسه يرتاد الاماكن حتى انتهى الى بغداد وهي اذ ذاك قرية يقوم بها سوق في كل شهر فأعجبه المكان فخط لنفسه وحشمه ومواليه وولده وأهل بيته المدينة وسمّاها مدينة السلام وبني قصره وسطها الى المسجد الأعظم ثم خطّ لجنوده حول المدينة وجعل أهل كل بلد من خراسان في ناحية منها منفردة وأمر الناس بالبناء ووسع عليهم في النفقات وأمر فحفر نهر الفرات من ثمانية فراسخ وقوّه النهر من ديمّا فأجرى الى بغداد ليأتي فيه مواد الشام والجزيرة كما تأتي مواد الموصل وما اتصل بالموصل في دجلة وكان بناؤه اياها في سنة تسع وثلاثين ومائة . ثم ان أبا جعفر حج بالناس سنة أربعين ومائة وجعل منصرفه على مدينة الرسول فوضع لاهلها العطاء فأسنى لهم في الرزق وفرّق فيهم الجوائز ومضى نحو الشام قاصدا لبيت المقدس حتى وافاها فأقام

بها شهرا ثم سار الى الرقة فأقام بها بقية عامه ذلك ثم سار من الرقة حتى وافى
مدينة السلام فأقام بها حولا كاملا

(خروج الراوندية)

ثم سار منها سنة اثنتين وأربعين ومائة نحو البصرة حتى وافاها فبلغه ان
الراوندية تداعوا وخرجوا يطلبون بثأر أبي مسلم وخلصوا الطاعة فوجه اليهم خازم
ابن خزيمه فقتلهم وبددهم في الارض ثم عقد لمعن بن زائدة من البصرة على
اليمين وأقام عامه ذلك بالبصرة

(نصيحة عمرو بن عبيد للمنصور)

وزعموا ان عمرو بن عبيد دخل اليه فلما رآه أبو جعفر صاحفه وأجلسه
الى جانبه فتكلم عمرو فقال يا أمير المؤمنين ان الله قد أعطاك الدنيا بأسرها
فاشتر نفسك من الله ببعضها واعلم بأن الله لا يرضى منك الا بما ترضاه منه
فانك لا ترضى من الله الا بأن يعدل عليك وان الله لا يرضى منك الا بالعدل
في رعبتك يا أمير المؤمنين ان من وراء بابك نيرانا تأجج من الجور وما
يُعمل من وراء بابك بكتاب الله ولا بسنة رسول الله يا أمير المؤمنين (ألم
تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد) حتى أتى على آخر السورة ثم قال
ولن عمل والله بمثل عملهم قالوا فبكي أبو جعفر فقال ابن مجالد له يا عمرو قد
شقت على أمير المؤمنين منذ اليوم قال عمرو من هذا يا أمير المؤمنين قال هذا أخوك
ابن مجالد قال عمرو يا أمير المؤمنين ما أحدث أعدى لك من ابن مجالد أبطوى عنك
النصيحة ويمنعك من ينصحك وانك لمبعوث وموقوف ومسؤول عن مثايل الدر

من الخير والشرّ قال فرمى اليه أبو جعفر بخاتمه وقال قد وليتكم ما وراء بابي فادع أصحابك فولهم فقال ان أصحابي لن يأتوك حتى يروك قد عملت بالعدل كما قلت بالعدل ثم انصرف. وسار أبو جعفر من البصرة سنة ثلاث وأربعين نحو الجبل حتى وافى مدينة نهاوند وقد كان بلغه طيبتها فأقام بها شهرا ثم انصرف حتى أتى المدائن فأقام بها بقية عامه ذلك وعقد منها خزيمة بن خازم على جميع طبرستان حتى اذا آن أوان الحجّ خرج منها حاججا سنة أربع واربعين ومائة ونزل الرّبذة فلما قضى حجه انصرف ولم يدخل المدينة

(خروج محمد بن عبد الله على المنصور)

وفي ذلك العام خرج عليه محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام الملقب بالنفس الزكية فوجه اليه أبو جعفر عيسى ابن موسى بن عليّ في خيل فقتل رحمه الله وخرج أخوه ابراهيم بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن فقتل رضوان الله عليهم

(وفاة المنصور)

وفي سنة ثمان وخمسين ومائة حجّ أبو جعفر فنزل الأبطح على بئر ميمون فمرض بها وتوفي غداة السبت لست خلون من ذي الحجة فأقام الحجّ للناس في ذلك العام ابراهيم بن محمد بن يحيى بن محمد بن عليّ بن عبد الله ابن العباس وصلى على أبي جعفر عيسى بن موسى فكانت الخلافة عشرين سنة وتوفي وله ثلاث وستون سنة ودفن بأعلى مكة

(خلافة محمد المهدي)

ثم بويج للمهدي بن المنصور يوم السبت لسبع عشرة ليلة خلت من ذى الحجة وفي ذلك العام أمر المهديّ باتخاذ المقاصير في جميع مساجد الجماعات ثم حج المهدي سنة ستين ومائة فانصرف على المدينة فأمر أن يشتري ما حول المسجد من المنازل والدور فيوسع به المسجد وفي سنة اثنتين وستين ومائة خرجت المحمرة بجزان فسار اليهم عمر بن العلاء ففرّقهم وفي ذلك العام عقد المهدي ولاية العهد لابنه موسى الهادي ومن بعده لابنه هرون الرشيد وفي سنة تسع وستين خرج موسى بن المهديّ الى جزان وخرج المهديّ الى ماسبذان فأقام بها متنزها ومات بها وهو ابن ثلاث وأربعين سنة وكانت خلافته عشر سنين وشهرا ونصفا

(خلافة موسى الهادي)

وأنت الخلافة موسى الهادي وهو بجزان وبويج بمدينة السلام لثمان بقين من المحرم وفي ذلك العام خرج الحسين بن عليّ بن الحسن بالمدينة وسار نحو مكة فلقبه عيسى بن موسى والعباس بن عليّ فقتلاه . وفي سنة سبعين ومائة توفي الامام موسى بن المهديّ بعيساباذ في النصف من شهر ربيع الاول وكان له يوم توفي أربع وعشرون سنة وكانت خلافته سنة وشهرا وأربعة وعشرين يوما .

(خلافة هارون الرشيد)

وفي ذلك العام استخلف هرون الرشيد وحج وانصرف على المدينة

فوضع لأهلها العطاء وأجزل لهم فأقبل الى العراق فوافى الكوفة . وعقد لابي
العباس الطوسي على خراسان فلبث عليها عامين ثم عزله واستعمل عليها محمد
ابن الأشعث وفي سنة أربع وسبعين ومائة وقعت العصبية بأرض الشام بين
المضرية واليمانية فتحاربوا حتى قتل بين الفريقين بشر كثير . وحجّ الرشيد
في ذلك العام بالناس ومعه ابناه محمد وعبد الله وكتب بينهما كتابا بولاية
المهد لمحمد ومن بعده لعبد الله المأمون وعلق الكتاب في جوف الكعبة ثم
انصرف الى مدينة السلام واستعمل على خراسان الفطريف بن عطاء . قال
علي بن حمزة الكسائي ولأني الرشيد تأديب محمد وعبد الله فكنت أشدد
عليهما في الأدب وآخذهما به أخذا شديدا وبخاصة محمدا فأنتني ذات يوم
خالصة جارية أم جعفر فقالت يا كسائي ان السيدة تقرأ عليك السلام وتقول
لك حاجتي اليك ان ترفق بابني محمد فانه ثمرة فوادي وقرّة عيني وأنا أرقّ
عليه رقة شديدة فقلت خالصة ان محمدا مرشح للخلافة بعد أبيه ولا يجوز
التقصير في بابه فقالت خالصة ان لركة السيدة سببا انا مخبرتك به انها في الليلة
التي ولدته أريت في منامها كان أربع نسوة أقبلن اليه فاكتنفنه عن يمينه وشماله
وأمامه وورائه فقالت التي بين يديه ملك قليل العمر ضيق الصدر عظيم
الكبر واهي الأمر كثير الوزر شديد الغدر وقالت التي من ورائه ملك
قصاف مبذر متلاف قليل الانصاف كثير الاسراف وقالت التي عن يمينه
ملك ضخم قليل الحلم كثير الاثم قطع للرحم وقالت التي عن يساره ملك
غدار كثير العثار سريع الدمار ثم بكت خالصة وقالت يا كسائي وهل يغني

الحذر . وذكر عن الأصمعيّ قال دخلتُ على الرشيد وكنت غبت عنه
حولين بالبصرة فأوماً الىّ بالجلوس قريبا منه فجلستُ قليلا ثم نهضت فأوماً
اليّ أن اجلس فجلست حتى خف الناس ثم قال لي يا أصمعيّ ألا تحب أن
تري محمدا وعبد الله قلت بلى يا أمير المؤمنين اني لأحب ذلك وما أردت
القيام الا اليهما لاسلم عليهما قال تكفي ثم قال عليّ بمحمد وعبد الله فانطلق
الرسول وقال أجبيا أمير المؤمنين فأقبلا كأنهما قرا أفق قد قار باخطاهما وضربا
ببصرهما الارض حتى وقفنا على أبيهما فسما عليه بالخلافة وأوماً اليهما فدنيا
منه فأجلس محمدا عن يمينه وعبد الله عن شماله ثم أمرني بمطارحتهما فكنت
لألقى عليهما شيئا من فنون الأدب الا أجابا فيه وأصابا فقال كيف ترى
أدبهما قلت يا أمير المؤمنين ما رأيتُ مثلهما في ذكائهما وجودة ذهنهما فأطال
الله بقاءهما ورزق الأمة من رأقتهما ومعطقتهما فضمهما الى صدره وسبقته
عبرته حتى تحدّرت دموعه ثم أذن لها حتى اذا نهضا وخرجا قال كيف بكم
اذا ظهر تعاديهما وبدأتباغضهما ووقع بأسهما بينهما حتى تسفك الدماء ويود
كثير من الاحياء انهم كانوا موتى قلت يا أمير المؤمنين هذا شيء قضى به
المنجمون عند مولدهما أو شيء أثرتة العلماء في أمرهما قال لا بل شيء أثرتة
العلماء عن الأوصياء عن الانبياء في أمرهما قالوا فكان المأمون يقول في
خلافته قد كان الرشيد سمع جميع ماجرى بيننا من موسى بن جعفر بن محمد
فلذلك قال ما قال . قال الاصمعيّ وكان الرشيد يحبّ السمر ويشتهي أحاديث
الناس فكان يرسل اليّ اذا نشط لذلك وجن عليه الليل فأسامره فأنتيت

ذات ليلة ولم يكن عنده أحد فسامرته ساعة ثم أطرق وفكر ثم قال يا غلام
عليّ بالعباسيّ يعني الفضل بن الربيع فحضر ودخل فأذن له بالجلوس فقال
يا عباسيّ اني عنيتُ بتولية العهد ومثبتُ الأمر في محمد وعبد الله وقد علمت
أني ان وليتُ محمداً مع ركوبه هواه وانهما كه في الله والذات خلط على
الرعية وضع الرأي حتى يطمع فيه الأقصى من أهل البغي والمعاصي وان
حرفت الأمر الى عبد الله ليسلكن بهم المحجة وليصلحن الملكة وان فيه
لحزم المنصور وشجاعة المهدي فما ترى قال الفضل يأمر المؤمنين ان هذا أمر
خطير عظيم والزلة فيه لا تستقال والكلام فيه مكان غير هذا فعلتُ انهما
يجبان الخلوة فعمت عنهما وجلست ناحية من صحن الدار فما زالا يتناظران
الى أن أصبحا واتفق رأيهما على تولية محمد العهد وتصيير عبد الله من بعده
وقسمة الاموال والجنود بينهما وأن يقيم محمد بدار الخلافة ويتولى المأمون
خراسان فلما أصبح أمر بجمع القواد فاجتمعوا اليه فدعاهم الى بيعة محمد ومن
بعده الى بيعة المأمون فأجابوا الى ذلك وبايعوا . وفي سنة ثمانين ومائة عقد
الرشيد لعلّي بن عيسى بن ماهان على خراسان وفي ذلك العام خرج الرشيد
الى أرض الشام وأخذ على الموصل فلما واقاها أمر بهدم مدينتها وقد كانوا
وثبوا بعامله . وفي ذلك العام وثب أهل خراسان بعاملهم فقتلوه فأقام بالشام
عامه ذلك ثم خرج حاجا فلما انصرف قصد الانبار فنزل به بمدينة أبي العباس
وهي من الانبار على نصف فرسخ وقد كان بقي بها جمع عظيم من أبناء أهل
خراسان توالدوا بها حتى كثروا فهم الى الآن فأقام بها شهرا ثم توجه منها

الى الرقة فأقام بها شهرا وخرج منها غازيا الى أرض الروم فافتتح مدينة من
 نزلهم تسمى مصوقا ثم انصرف الى الرقة فأقام بها بقية عامه ذلك . فلما
 كان أو ان الحج حج فقصى نسكه وجعل منصرفه على الرقة فأقام بها وولى
 يزيد بن مزيدي ارمينية ثم قدم من الرقة سنة أربع وثمانين ومائة حتى وافى
 مدينة السلام ونزل قصره بالرصافة وأخذ عماله بالبقايا . ثم سار من مدينة
 السلام في سنة خمس وثمانين ومائة عائدا الى الرقة وقد كان استطابها فلما كان
 أو ان الحج حج فر بالمدينة فأعطاهم ثلاث أعطيات وأعطى أهل مكة عطاءين
 ثم انصرف فقصد الانبار فأقام بها شهرا ثم انصرف الى مدينة السلام ثم عقد
 البيعة لابنه القاسم بعد محمد وعبد الله وولاه الشام فوجه القاسم عليها عماله .
 وحج الرشيد سنة ثمان وثمانين ومائة وانصرف فنزل الحيرة وأقام بها أياما
 ثم دخل مدينة السلام . وفي سنة تسع وثمانين سار الى الري فأقام بها شهرا ثم
 انصرف نحو مدينة السلام فضحى بقصر اللصوص ثم دخل بغداد ولم ينزلها
 ومضى حتى انتهى الى السالحين وهي من مدينة السلام على ثلاثة فراسخ فبات
 بها ثم سار حامدا للرقة حتى وافاها وأمر عند مره ببغداد بنخشة جعفر بن يحيى
 أن تحرق وأقام بالرقة بقية ذلك العام فلما دخلت سنة تسعين ومائة خرج غازيا
 لارض الروم حتى وغل فيها وانتهى الى هرقة فافتتحها . وفي ذلك العام خرج
 رافع بن نصر بن سيار مقاضيا بأرض خراسان وكان سبب خروجه أن علي بن
 عيسى بن ماهان لما ولى خراسان أساء السيرة وتعامل على من كان بها من
 العرب وأظهر الجور فخرج عليه رافع فواقعه وقعات ثم انحاز فيمن اتبعه من

أهل خراسان وكانوا زهاء ثلاثين ألف رجل في سمرقند وأقام بمدينتها وبلغ ذلك الرشيد فعزل علي بن عيسى عنها واستعمل عليها هرثمة بن أعين ثم انصرف الرشيد قافلا من الروم حتى نزل مدينة السلام عامه ذلك واستخلف ابنه محمدا على دار المملكة وخرج عامدا لارض خراسان ليتولى حرب نافع بنفسه. ودخلت سنة اثنتين وتسعين ومائة وفيها خرجت الخُرَّمَة بأرض الجبل في المرة الاولى فوجه اليهم محمدا الامين ببداالله بن مالك الخزاعي فقتل منهم مقتلة عظيمة وشرد بقيتهم في البلدان وسار الرشيد حتى وافى مدينة طوس فنزل في دار حميد الطوسي ومرض بهامرضا شديدا فجمع له الاطباء يعالجونه فقال ان الطيب بطبه ودوائه لا يستطيع دِفاعَ محذورٍ جرى ما للطيب يموتُ بالداء الذي قد كان يشفي مثله فيما مضى فلما اشتد به الوجع قال للفضل بن الربيع يا عباسي ما تقول الناس قال يقولون ان شائي أمير المؤمنين قد مات فأمر أن يُسرج له حمار ليركبه ويخرج فأسرج له وحمل حتى وُضع على السرج فاسترخت فخذاه ولم يستطع الثبوت فقال أرى الناس قد صدقوا ثم توفي وذلك في سنة ثلاث وتسعين ومائة يوم السبت لخمس ليال خلون من جمادى الآخرة وكانت خلافه ثلاثا وعشرين سنة وشهرا ونصفا

(خلافة محمد الامين)

فانت الخلافة محمدا الأمين بيغداد يوم الخميس للنصف من جمادى الآخرة ونعاه للناس يوم الجمعة ودعاهم الى تجديد البيعة فبايعوا. ووصل الخبر

بوفاة الرشيد الى المأمون وهو بمدينة مرو يوم الجمعة لثمان خلون من الشهر
فركب الى المسجد الاعظم ونودي في الجنود وسائر الوجوه فاجتمعوا وصعد
المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي وآله ثم قال أيها الناس أحسن الله
عزاءنا وعزاءكم في الخليفة الماضي صلوات الله عليه وبارك لنا ولكم في خليفتمكم
الحادث مد الله في عمره ثم خفته العبرة فمسح عينه بسواده ثم قال يا أهل
خراسان جدّدوا البيعة لامامكم الامين فبايعه الناس جميعا ولما أتت الخلافة
محمدًا وبايعه الناس دخل عليه الشعراء وفيهم الحسن بن هاني فأنشده وقلم
الحسن في آخرهم فأنشده قوله

الا دارها بالماء حتى تليها	فلن تكرم الصبياء حتى شهينا
وحراء قبل المزج صفراء بعده	كأن شعاع الشمس يلقاك دونها
كأن يواقيتاروا كده حولها	وزرقة سنانير تدبر عيونها
لقد جلل الله الكرامة أمة	يكون أمير المؤمنين أمينها
حيت جماها بالقنابل والقنا	ووقرت دنياها عليها ودينها
يراك بنو المنصور أولاهم بها	وان أظهر واغير الذي يكتمونها

فوصلهم جميعا وفضله . ثم ان محمدًا الامين دعا اسماعيل بن صبيح كاتب السر
فقال ما الذي ترى يا ابن صبيح قال أرى دولة مباركة وخلافة مستقيمة وأمرًا
مقبلاً فتمم الله ذلك لأمر المؤمنين بأفضله وأجزله قال له محمد اني لم أبغك
قاصًا انما أردت منك الرأي قال اسماعيل ان رأي أمير المؤمنين أن يوضح
لي الأمر لأشير عليه بمبلغ رأيي ونصحي فعل قال اني قد رأيت أن أعزل

أخى عبد الله عن خراسان وأستعمل عليها موسى بن أمير المؤمنين قال اسماعيل أعينك بالله يا أمير المؤمنين أن تنقض ما أسسه الرشيد ومهده وشيد أركانه قال محمد ان الرشيد موه عليه في أمر عبد الله بالزخرفة ويحك يا ابن صبيح ان عبد الملك بن مروان كان أحزم رأياً منك حيث قال لا يجتمع فخلان في هجمة الا قبل أحدهما صاحبه قال اسمعيل أما اذا كان هذا رأيك فلا تجاهره بل اكتب اليه وأعلمه حاجتك اليه بالحضرة ليعينك على ما قللك الله من أمر عباده وبلاده فاذا قدم عليك وفرقت بينه وبين جنرده كسرت حده وظفرت به وصار رهنا في يديك فانت في أمره ما أردت قال محمد أجدت يا ابن صبيح وأصبت هذا لعمرى الراى . ثم كتب اليه يعلمه ان الذى قلده الله من أمر الخلافة والسياسة قد أثقله ويسأله أن يقدم عليه ليعينه على أموره ويشير عليه بما فيه مصلحته فان ذلك أعود على أمير المؤمنين من مقامه بخراسان وأعمر للبلاد وأدرّ للنبيء وأكبت للعدو وآمن للبيضة ثم وجه الكتاب مع العباس ابن موسى ومحمد بن عيسى وصالح صاحب المصلّى فساروا نحو خراسان فاستقبلهم طاهر بن الحسين مقبلاً من عند المأمون على ولاية الرى حتى انتهوا الى المأمون وهو بمدينة مرو فدخلوا عليه وأوصلوا الكتاب اليه وتكلموا قد كروا حاجة أمير المؤمنين الامين اليه وما يرجو في قر به من بسط المملكة والقوة على العدو فأبلغوا في مقاتلهم وأمر المأمون بانزالهم واكرامهم . ولما جنّ عليه الليل بعث الى الفضل بن سهل وكان أخص وزرائه عنده وأوثقهم في نفسه وقد كان جرّب منه وثاقة رأى وفضل حزم فلما أتاه

خلا به وأقرأه كتاب محمد وأخبره بما تكلم به الوفد من أمر التحضيض
 على المسير الى أخيه ومعاوته على أمره قال الفضل ما يريد بك خيرا وما
 أرى لك الا الامتناع عليه قال المأمون فكيف يمكن الامتناع عليه والرجال
 والأموال معه والناس مع المال قال الفضل أجلنى ليلتى هذه لآتيك غدا
 بما أرى قال له المأمون امض فى حفظ الله فانصرف الفضل بن سهل الى
 منزله وكان منجما فنظر ليلته كلها فى حسابه ونجمه وكان بها ماهرا فلما أصبح
 خدا على المأمون فأخبره أنه يظهر على محمد ويغلبه ويستولى على الأمر ، فلما
 قال له ذلك بعث الى الوفد فأحسن صلاتهم وجوائزهم وسألهم أن يحسنوا
 أمره عند الأمين وييسطوا من عذره وكتب معهم اليه أما بعد فان الامام
 الرشيد ولآتى هذه الارض على حين كآب من عدوها ووهى من سدها
 وضعف من جنودها ومتى أخلقتُ بها أو زلت عنها لم آمن انتقاض الامور
 فيها وغلبة أعدائها عليها بما يصل ضرره الى أمير المؤمنين حيث هو فرأى
 أمير المؤمنين فى ان لا ينقض ما أبرمه الامام الرشيد . وسار القوم بالكتاب
 حتى وافوا به الامين وأوصلوا الكتاب اليه فلما قرأه جمع القواد اليه فقال
 لهم انى قد رأيت صرف أخى عبد الله عن خراسان وتصييره معى ليعاوننى
 فلا غنى بى عنه فما ترون فأسكت القوم فتكلم خازم بن خزيمه فقال يا أمير
 المؤمنين لا تحمل قوادك وجنودك على الغدر فيغدروا بك ولا يرون منك
 نقض العهد فينقصوا عهدك قال محمد ولكن شيخ هذه الدولة على بن عيسى
 ابن ماهان لا يرى ما رأيت بل يرى أن يكون عبد الله معى ليوازرنى ويحمل

عنى ثقل ماأنا فيه بصدده . ثم قال لعلى بن عيسى انى قد رأيت أن تسير بالجيش الى خراسان قتلى أمرها من تحت يدى موسى ابن أمير المؤمنين فانتخب من الجنود والجيش على عينك ثم أمر بديوان الجند فدفع اليه فانتخب ستين ألف رجل من أبطال الجنود وفرسانهم ووضع لهم العطاء وفرق فيهم السلاح وأمره بالمسير فخرج بالجيش وركب معه محمد فجعل يوصيه ويقول اكرم من هناك من قواد خراسان وضع عن أهل خراسان نصف الخراج ولا تُبق على أحد يشهر عليك سيفاً أو يرمى عسرك بسهم ولا تدع عبد الله يقيم الاثلاثا من يوم تصل اليه حتى تشخصه الى ما قبلى . وقد كانت زبيدة تقدمت الى على بن عيسى وكان أتاها مودعا فقالت له ان محمدا وان كان ابني وثمره فوآدى فان لعبد الله من قلبى نصيبا وافرا من المحبة وأنا التى ربيته وأنا أحنو عليه فاياك أن يبدأه منك مكروه أو تسير أمامه بل سر اذا سرت معه من ورائه وان دعاك فليه ولا تركب حتى يركب قبلك وخذ بركابه اذا ركب وأظهر له الاجلال والا كرام ثم دفعت اليه قيذا من فضة وقالت ان استعصى عليك فى الشخصون فقيده بهذا القيد . وان محمدا انصرف عنه بعد أن أوعز اليه وأوصاه بكل ما أراد وسار على بن عيسى بن ماهان حتى صار الى حلوان فاستقبله غير مقبلة من الرى فسألهم عن خبر طاهر فأخبروه انه يستعد للحرب فقال وما طاهر ومن طاهر ليس بينه وبين إخلاء الرى الا أن يبلغه أنى قد جاوزت عقبة همدان ثم سار حتى خلف عقبة همدان وراه فاستقبله غير أخرى فسألهم عن الخبر فقالوا ان طاهرا

قد وضع العطاء لأصحابه وفرق فيهم السلاح واستعد للحرب فقال في كم هو
 فقالوا في زهاء عشرة آلاف رجل فأقبل الحسن بن عليّ بن عيسى على أبيه
 فقال يا أبت ان طاهرا لو أراد الهرب لم يقم بالرى يوما واحدا فقال يا بنيّ انما
 تستعد الرجال لأقرانها وان طاهرا ليس عندي من الرجال الذين يستعدون
 لمثلّي ويستعد له مثلى . وذكروا ان مشايخ بغداد قالوا لم نرجيشا كان
 أظهر سلاحا ولا أكل عُدّة ولا أفره خيلا ولا أنبل رجالا من جيش عليّ بن
 عيسى يوم خرج انما كانوا نجبا . وان طاهر بن الحسين جمع اليه رؤساء
 أصحابه فاستشارهم في أمره فأشاروا عليه ان يتحصن بمدينة الرى ويحارب
 القوم من فوق السور الى أن يأتيه مدد من المأمون فقال لهم ويحك انى أبصر
 بالحرب منكم انى متى تحصنت استضعفت نفسى ومال أهل المدينة اليه لقوته
 وصاروا أشد عليّ من عدوى لخوفهم من عليّ بن عيسى ولعله أن يستميل
 بعض من معى بالاطماع . والرأى أن ألف الخليل بالخليل والرجال بالرجال والنصر
 من الله . ثم نادى فى جنوده بالخروج عن المدينة وان يعسكروا بموضع يقال
 له القلوصة فلما خرجوا عمد أهل الرى الى أبواب مدينتهم فأغلقوها فقال
 طاهر لأصحابه يقوم اشد تغلوا بمن أمامكم ولا تلتفتوا الى من وراءكم واعلموا
 أنه لا وزر لكم ولا ملجأ الا سيوفكم ورماحكم فاجعلوها حصونكم وأقبل
 عليّ بن عيسى نحو القلوصة فتواقف العسكران للحرب والتقوا فصدقهم
 أصحاب طاهر الحملة فانتقضت تعبىة عليّ بن عيسى وكانت منهم جولة شديدة
 فناداهم عليّ بن عيسى وقال أيها الناس ثوبوا واحملوا معى فرماه رجل من

أصحاب طاهر فأثبته بعد ان دنا منه وتمكّن رماه بنشابة وقعت في صدره فنذت الدرع والسلاح حتى أفضت الى جوفه وخرّ مغشيا عليه ميتا واستوت الهزيمة بأصحابه فما زال أصحاب طاهر يقتلونهم وهم مولون حتى حال الليل بينهم وغنموا ما كان في عسكرهم من السلاح والأموال . وبلغ ذلك محمدا فعقد لعبد الرحمن الابناوى في ثلاثين الف رجل من الابناء وتقدّم اليهم أن لا يغتروا كاعتزاز عليّ بن عيسى ولا يتهاونوا كنهاونه فسار عبد الرحمن حتى وافى همدان وبلغ ذلك طاهرا فتقدم وسار نحوه فالتقوا جميعا فاقتلوا شيئا من قتال فلم يكن لأصحاب عبد الرحمن ثبات فانهزم واتبه أصحابه فدخلوا مدينة همدان فتحصنوا فيها شهرا حتى نفذ ما كان معهم من الزاد قال فطلب عبد الرحمن الابناوى الأمان له ولجميع أصحابه فأعطاه طاهر ذلك ففتح أبواب المدينة ودخل الفريقان بعضهم في بعض وسار طاهر حتى هبط العقبة فعسكر بناحية أسد اباد ففكر عبد الرحمن وقال كيف أعتذر الى أمير المؤمنين فعبا أصحابه فلما طلع الفجر زحف بأصحابه الى طاهر وهو غار فوضع فيهم السيوف فوقفت طائفة من أصحاب طاهر رجالة يذبون عن أصحابهم حتى ركبوا واستعدوا ثم حملوا على عبد الرحمن وأصحابه فأكثروا فيهم القتل فلما رأى ذلك عبد الرحمن ترجل في حُماة أصحابه فقاتلوا حتى قتل عبد الرحمن وقتلوا معه وبلغ ذلك محمدا فسقط في يده وبرّز جنوده فعقد لعبد الله الحرشى في خمسة آلاف رجل وليحيى بن عليّ بن عيسى في مثل ذلك فسارا حتى واقيا قرْمِيسين وبلغ طاهرا ذلك فسار نحوه فانهزما من غير قتال حتى رجعا الى

حلوان فأقاما هناك . فزحف طاهر نحو حلوان فانهزم ما حتى لحقا ببغداد وأقام
طاهر بحلوان حتى وافاه هرثمة بن أعين من عند المأمون في ثلاثين الف
رجل من جنود خراسان فأخذ طاهر من حلوان نحو البصرة والاهواز وتقدم
هرثمة الى بغداد فلم تتم لمحمد قائمة حتى قُتل وكان من أمره ما كان . وان
طاهر بن الحسين صعد من البصرة وتقدم هرثمة حتى أحداق ببغداد وأحاطا
بمحمد الأمين ونصبا المنجنيق على داره حتى ضاق محمد بذلك ذرعا وكان
هرثمة بن أعين يجب صلاح حال محمد والبقاء على حشاشة نفسه فأرسل
اليه محمد يسأله القيام بأمره واصلاح ما بينه وبين المأمون على أن يخلع نفسه عن
الخلافة ويسلم الامر لأخيه فكتب اليه هرثمة قد كان ينبغي لك أن تدعوا الى
ذلك قبل تفاقم الأمر فأما الآن فقد جاوز السيل الزبا وشغل الحلي أهله أن
يُعارا ومع ذلك فأتى مجتهد في اصلاح أمرك فصر الى ليلا لا كتب بصورة
أمرك الى أمير المؤمنين وأخذ لك عهدا وثيقا ولست أكو جدا ولا اجتهدا
في كل ما عاد بصلاح حالك وقرّبتك الى أمير المؤمنين فلما سمع ذلك محمد
استشار نصحاءه ووزراءه فأشاروا بذلك عليه وطمعوا في بقاء مهجته فلما جنه
الليل ركب في جماعة من خاصته وثقاته وجواريه يريد العبور الى هرثمة
فأحس طاهر بن الحسين بالمراسلة التي جرت بينهما والمواقفة التي اتفقا عليها
فلما أقبل محمد وركب بمن معه الماء شد عليه طاهر فأخذه ومن معه ثم دعا به
في منزله فاحتز رأسه وأنفذه من ساعته الى المأمون وأقبل المأمون حتى دخل
مدينة السلام وصفت له الملكة واستوسقت له الامور وكان قتل محمد الأمين

لميلة الاحد لحس خلون من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة وقتل وله ثمان وعشرون سنة وكانت ولايته اربع سنين وثمانية اشهر

(خلافة عبد الله المأمون)

وبويع المأمون وهو عبد الله بن الرشيد يوم الاثنين لحس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة وكان سهما بعيد الهمة أبي النفس وكان نجم ولد العباس في العلم والحكمة وقد كان أخذ من جميع العلوم بقسط وضرب فيها بسهم وهو الذي استخرج كتاب أقليدس من الروم وأمر بترجمته وتفصيله وعقد المجالس في خلافته للمناظرة في الاديان والمقالات وكان استاذه فيها أبا الهذيل محمد بن الهذيل العلاف ودخل بلاد الجزيرة والشام فأقام بها مدة طويلة ثم غزا الروم وفتح فتوحا كثيرة وأبلى بلاء حسنا ثم توفي على نهر البدندون ودفن بطرسوس يوم الاربعاء ثمان خلون من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين وكانت ولايته عشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة عشر يوما وقد كان بلغ من السن تسعا وثلاثين سنة وقد كان بايع لابنه العباس بن المأمون بولاية العهد من بعده وخلفه بالعراق

(خلافة محمد المعتصم)

فلما مات هو على نهر البدندون جمع أخوه أبو اسحق محمد بن هرون المعتصم بالله اليه وجوة القواد والاجناد فدعاهم الى بيعته فبايعوه فسار من طرسوس حتى وافى مدينة السلام فدخلها وخلع العباس بن المأمون عنها وغلبه عليها وبايعه الناس بها وكان قدومه بغداد مستهل شهر رمضان سنة ثمان عشرة

ومائتين فأقام بها سنتين ثم مرَّ باترا كه الى سُرَّ من رأى فابتناها واتخذها داراً
ومعسكراً وكانت في خلافته فتوحات لم تكن لاحد من الخلفاء الذين مضوا
مثلاً قبله منها فتح بابك وأسرته وقتله آياه وصلبه ومنها ما زيار صاحب قلعة
طبرستان فانه تحصَّن في القلاع والجبال فما زال به حتى أخذه فقتله وصلبه الى
جنب بابك ومنها جعفر الكرديّ وقد كان أخرب البلاد وسبي الذراريّ
فوجه الخيول في طلبه ولم يزل به حتى أخذه وقتله وصلبه الى جنب بابك
وما زيار ومن ذلك فتح عمورية وهي القسطنطينية الصغرى والآخرى فتحها
الله على يديه * وكان ابتداء أمر بابك انه تحرَّك في آخر أيام المأمون وقد
اختلف الناس في نسبه ومذهبه والذي صحَّ عندنا وثبت أنه كان من ولد
مطهر بن فاطمة بنت أبي مسلم هذه التي يتسب إليها الفاطمية من الحرّمية
لا الى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فنشأ بابك والحبل مصطرب
والفتن متصلة فاستفتح أمره بقتل من حوله بالبذّ وخراب تلك الامصار والقرى
التي حواله لتصفو له البلاد ويصعب مطلبه وتشتدّ المونة في التوصل اليه
واشتدّت شوكته وأستفحل أمره وقد كان المأمون وجه اليه حين اتصل به
خبره عبد الله بن طاهر بن الحسين في حيتس عظيم فسار اليه ونزل في طريقه
الدينور في ظاهرها في مكان يعرف الى يومنا هذا بقصر عبد الله بن طاهر
وهو كرم مشهور ومكان مذكور نم سار منها حتى وافى البذّ وقد عظم أمر
بابك وتهيّئه الناس فخار بوه فلم يقدروا عليه ففض جمعهم وقتل صناديدهم
وكان ممن قتل في تلك الوقعة محمد بن حميد الطوسي وهو الذي رثاه أبو تمام

بقصيدته التي يقول فيها

كانَ بنى نهبانَ يومَ وفاته نجومُ سما- خرَّ من بينها البدرُ

وفيه يقول

فأثبتَ في مُستنقعِ الموتِ رِجله وقال لها من تحتِ أخمصك الحشر
فلما أفضى الأمر الى أبي اسحاق المعتصم بالله لم تكن همته غيره فاعد له
الاموال والرجال وأخرج مولاه الافشين حيدر بن كاوس فسار الافشين
بالعساكر والجيوش حتى وافى برزند فأقام بها حتى طاب الزمان وانحسرت
الثلوج عن الطرقات ثم قدم خليفته يوباره وجعفر بن دينار وهو المعروف
بجعفر الخياط في جمع كثير من الفرسان الى الموضع الذي كان فيه معسكرا
وأمرها أن يحفرا خندقا حصينا فسارا حتى نزلا هناك واحفرا الخندق فلما
فرغا من حفر الخندق استخلف الافشين ببرزند المرزبان مولى المعتصم في
جماعة من القواد وسار هو حتى نزل الخندق ووجه يوباره وجعفر الخياط في
جمع كثير الى رأس نهر كبير وأمرها بحفر خندق آخر هناك فسارا حتى
احفراه فلما فرغا وافاهما الافشين ثم خلف في موضعه محمد بن خالد بنجار اخذاه
وشخص الى درود في خمسة آلاف فارس وألفى راجل ومعه ألف رجل من
الفعلة حتى نزل درود واحفر بها خندقا عظيما وبني عليها سورا شاهقا فكان
بابك وأصحابه يقفون على جبال شاهقة فيشرفون منها على العسكر ويولولون
ثم ركب الافشين يوم الثلاثاء لثلاث بقين من شعبان في تعية وحمل المجانيق
وأمر بابك آذين ان يحصن تلاً مشرقاً على المدينة ومعه ثلاثة آلاف